

رُوضَةُ الْعُقَلَاءِ وَنُزْهَةُ الْفُضَلَاءِ

للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان البستي
المتوفى ٣٥٤هـ رحمه الله

بتحقيق وتصحيح

محمد محي الدين عبد الحميد

عفا الله عنه

محمد حامد الفقي

رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية

محمد عبد الرزاق حمزة

المدرس بالمسجد الحرام

دار الكتب العلمية

جميع الحقوق محفوظة

ترجمة الإمام ابن حبان^(١)

أبو حاتم محمد بن حبان بن معاذ بن معبد بن سعيد بن شهيد التيمي - كذا
نسبه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد البخاري ، المعروف بفنجان ، وواقفه غيره
إلى معبد - ثم قال : ابن هديبة بن مرة بن سعد بن يزيد بن مرة بن زيد بن عبد الله
ابن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة
ابن إلياس بن مضر .

الإمام العلامة الفاضل المتقن ، كان مكثراً من الحديث والرحلة ، والشيوخ ،
غالباً بالمتون والأسانيد ، أخرج من علوم الحديث ما عجز عنه غيره . ومن تأمل
تصانيفه تأمل منصف علم أن الرجل كان بجرأ في العلم .

سافر ما بين الشاش والاسكندرية ، وأدرك الأئمة والعلماء ، والأسانيد
العالية ، وأخذ فقه الحديث والفرض على معانيه : عن إمام الأئمة أبي بكر بن
خزيمة ، ولازمه وتلمذ له ، وصارت تصانيفه عُدّة لأصحاب الحديث ، غير أنها
عزيزة الوجود .

سمع يبيلده بُسْت : أبا أحمد إسحاق بن إبراهيم القاضي ، وأبا الحسن محمد
بن عبد الله بن جنيد البستي .

وبهراة : أبا بكر محمد بن عثمان بن سعد الدارمي .

وبمرو : أبا عبد الله وأبا عبد الرحمن عبد الله بن محمود بن سليمان السعدي ،
وأبا يحيى محمد بن يحيى بن خالد المديني .

(١) عن معجم البلدان لياقوت (ج ٢ ص ١٧١ - ١٧٨) .

وبقرية سنَج: أبا علي الحسين بن محمد بن مصعب السنجي ، وأبا عبد الله محمد بن نصر بن ترقل الهورقاني .

وبالصغد بما وراء النهر : أبا حفص عمر بن محمد بن يحيى الهمداني .

و بنسًا : أبا العباس الحسن بن سفيان الشيباني ، ومحمد بن عمر بن يوسف ، ومحمد بن محمود بن عدي النَّسَوِيِّينَ .

و بنيسابور : أبا العباس محمد بن إسحاق بن إبراهيم السراج النخعي ، وأبا محمد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن شيرويه الأذري .

و بأرغِيانَ : أبا عبد الله محمد بن المسيب بن إسحاق الأرخياني .

و بمرجان : عمران بن موسى بن مجاشع ، وأحمد بن محمد بن عبد الكريم الوزان الجرجانيين .

و بالري : أبا القاسم العباس بن الفضل بن عاذان المقرئ ، وعلي بن الحسن ابن سلم الرازي .

و بالكرج : أبا عمارة أحمد بن عمارة بن الحجاج الحافظ ، والحسين ابن إسحاق الأصبهاني .

و بعسكر مُكْرَمَ : أبا محمد عبد الله بن محمد موسى الجوالقي ، المعروف بعبدان الأهوازي .

و بتُسْتَرَ : أبا جعفر محمد بن محمد بن يحيى بن زهير الحافظ .

و بالأهواز : أبا العباس محمد بن يعقوب الخطيب .

و بالأبُلَّةَ : أبا يعلى محمد بن زهير ، والحسين بن بسطام الأبلين .

و بالبصرة : أبا خليفة الفضل بن الحباب الجمحي ، وأبا يعلى زكرياء بن يحيى

الساجي ، وأبا سعيد عبد الكريم بن عمر الخطابي :

وبواسط : أبا محمد جعفر بن أحمد بن سنان القطان ، والخليل بن محمد
الواسطى ابن بنت تميم بن المنتصر .

وبقم الصلح : عبد الله بن قحطبة بن مرزوق الصلحى .

وبنهر سائبس ، قرية من قرى واسط : خلاد بن محمد بن خالد الواسطى .

وببغداد : أبا العباس حامد بن محمد بن شعيب البلخى ، وأبا أحمد الهيثم

خلف الدورى ، وأبا القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوى .

وبالكوفة : أبا محمد عبد الله بن زيدان البجلى .

وبمكة : أبا بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابورى الفقيه ، صاحب

كتاب الإشراف فى اختلاف الفقهاء ، وأبا سعيد المفضل بن محمد بن إبراهيم

الجندى .

وبسامرا : على بن سعيد العسكرى - عسكر سامرا .

وبالموصل : أبا يعلى أحمد بن على بن المتنى الموصلى وهارون بن المسكين

البلدى ، وأبا جابر زيد بن على بن عبد العزيز بن حيان الموصلى ، وروح بن

عبد المجيد الموصلى :

وببلد سنجان : على بن إبراهيم بن الهيثم الموصلى .

وبنصيبين : أبا السرى هاشم بن يحيى النصيبينى ، ومسدد بن يعقوب بن

إسحاق الفلوسى .

وبكفرتوتى ، من ديار ربيعة : محمد بن الحسين بن أبى معشر السلمى .

وبسمر غامرطا ، من ديار مضر : أبا بدر أحمد بن خالد بن عبد الملك بن

عبد الله بن مسرح الحرانى .

وبالرافقة : محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن فروخ البغدادى .

- وبالرقّة : الحسين بن عبد الله بن يزيد القطان .
وبمَنْبِج : عمر بن سعيد بن سنان الحافظ ، وصالح بن الأصمغ بن عامر التنوخي .
وبحلب : علي بن أحمد بن عمران الجرجاني .
وبالمصيصة : أبا طالب أحمد بن داود بن محسن بن هلال المصيصي .
وبأنطاكية : أبا علي وصيف بن عبد الله الحافظ .
وبطرسوس : محمد بن يزيد الدورقي ، وإبراهيم بن أبي أمية الطرسوسي .
وبأذنة : محمد بن علان الأذني .
وبصَيْدَا : محمد بن أبي المعافى بن سليمان الصَيْدَاوى .
وببيروت : محمد بن عبد الله بن عبد السلام البيروتي المعروف بيمكحول .
وبحِمَصَ : محمد بن عبد الله بن الفضل الكلاعي الراهب .
وبدِمَشَقَ : أبا الحسن أحمد بن عمير بن حوصاء الحافظ ، وجعفر بن أحمد
ابن عاصم الأنصاري ، وأبا العباس حاجب بن أركين الفرغاني الحافظ .
وبالبيت المقدس : عبد الله بن محمد بن مسلم المقدسي الخطيب .
وبالرملة : أبا بكر محمد بن الحسن بن قتيبة العسقلاني .
وبمصر : أبا عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي ، وسعيد بن داود
ابن وردان المصري ، وعلي بن الحسين بن سليمان المعدل .
وجماعة كثيرة من أهل هذه الطبقة سوى من ذكرناهم .
وروى عنه الحاكم أبو عبد الله الحافظ ، وأبو عبد الله بن منته الأصبهاني ،
وأبو عبد الله محمد بن أحمد الغنجار الحافظ البخاري ، وأبو علي منصور بن عبد الله
ابن خالد الذهلي الهروي ، وأبو مسلمة محمد بن محمد بن داود الشافعي ، وجعفر
ابن شعيب بن محمد السمرقندي ، والحسن بن منصور الإسيجاني ، والحسن بن
محمد بن سهل الفارسي ، وأبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن هارون الزوزني ،

وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله بن خُشام الشُّروطي ، وجماعة كثيرة لا تحصى .

أخبرنا القاضي الإمام أبو القاسم عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل الأنصاري الحرسَاني - إذنا - عن أبي القاسم زاهر بن طاهر الشحامي عن أبي عثمان سعيد البحرى قال : سمعت الحاكم أبا عبد الله الحافظ يقول :

أبو حاتم البستي القاضي كان من أوعية العلم في اللغة والفقه والحديث والوعظ ، ومن عقلاء الرجال ، صنف ، فخرج له من التصنيف في الحديث ما لم يُسبق إليه ، وولى القضاء بسمرقند وغيرها من المدن . ثم ورد نيسابور سنة ٣٣٤ و حضرناه يوم الجمعة بعد الصلاة ، فلما سألناه الحديث نظر إلى الناس ، وأنا أصغرهم سنًا - فقال : استمَلِ ، فقلت : نعم فاستمليت عليه ، ثم أقام عندنا ، وخرج إلى القضاء بنيسابور وغيرها ، وانصرف إلى وطنه ، وكانت الرحلة بخراسان إلى مصنفاته .

أخبرنا أبو اليمين زيد بن الحسن الكندي - شفاهًا - قال : أخبرنا القاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي - إذنا - عن أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت - كتابة - قال : ومن الكتب التي تكثر منافعها ، إن كانت على قدر ما ترجمها به واضعوها : مصنفات أبي حاتم محمد بن حبان البُستي التي ذكرها لي مسعود بن ناصر السجزي ، ووقفني على تذكرة بأسمائها ، ولم يقدر لي الوصول إلى النظر فيها ، لأنها غير موجودة بيننا ، ولا معروفة عندنا ، وأنا أذكر منها ما استحسنته ، سوى ما عدلت عنه وطرحته .

فمن ذلك : كتاب الصحابة ، خمسة أجزاء . وكتاب التابعين : اثنا عشر جزءا . وكتاب أتباع التابعين : خمسة عشر جزءا . وكتاب تبع الأتباع : سبعة عشر جزءا . وكتاب تبع التابعين : عشرون جزءا . وكتاب الفصل بين النقلة :

عشرة أجزاء . وكتاب العلل ، علل أوهام أصحاب التواريخ : عشرة أجزاء . وكتاب
علل حديث الزهري : عشرون جزءا . وكتاب علل حديث مالك : عشرة أجزاء .
وكتاب علل مناقب أبي حنيفة ومثالبه : عشرة أجزاء . وكتاب علل ما استند إليه
أبو حنيفة : عشرة أجزاء . وكتاب ما خالف الثوري [فيه] شعبة : ثلاثة أجزاء .
وكتاب ما انفرد فيه أهل المدينة من السنن : عشرة أجزاء . وكتاب ما انفرد به
أهل مكة من السنن : عشرة أجزاء ، وكتاب ما عند شعبة عن قتادة ، وليس عند
سعيد عن قتادة . جزءان . وكتاب غرائب الأخبار : عشرون جزءا . وكتاب
ما أغرب [فيه] الكوفيون عن البصريين : عشرة أجزاء . وكتاب ما أغرب
البصريون [فيه] عن الكوفيين : ثمانية أجزاء ، وكتاب أسامي من يُعرف
بالمكنية : ثلاثة أجزاء . وكتاب كُنَى من يعرف بالأسامي : ثلاثة أجزاء .
وكتاب الفصل والوصل : عشرة أجزاء . وكتاب التمييز بين حديث النضر
الحدّاني ، والنضر الحزاز : جزءان . وكتاب الفصل بين حديث أشعث بن مالك
وأشعث بن سوار : جزءان ، وكتاب الفضل بين حديث منصور بن المعتمر
ومنصور بن راذان : ثلاثة أجزاء . وكتاب الفصل بين مكحول الشامي
ومكحول الأزدي : جزء . وكتاب موفوف مارفع : عشرة أجزاء . وكتاب
آداب الرجال : جزءان . وكتاب ما أسند جُنادة عن عبادة : جزء . وكتاب
الفصل بين حديث ثور بن زيد وثور بن يزيد : جزء . وكتاب ما جعل
عبد الله بن عمر عبيد الله بن عمر : جزءان . وكتاب ما جعل شيبان سفيان ،
أو سفيان شيبان : ثلاثة أجزاء ، وكتاب مناقب مالك بن أنس : جزءان ، وكتاب
مناقب الشافعي : جزءان ، وكتاب المعجم على المدن : عشرة أجزاء . وكتاب المقلّين
من الحجازيين : عشرة أجزاء . وكتاب المقلّين من العراقيين : عشرون جزءا .
وكتاب الأبواب المتفرقة : ثلاثون جزءا . وكتاب الجمع بين الأخبار التسادة :

جزءان . وكتاب وصف المعدل والمعدل : جزءان . وكتاب الفصل بين حدثنا وأخبرنا : جزء . وكتاب وصف العلوم وأنواعها : ثلاثون جزءا . وكتاب الهداية إلى علم السنن ، قصد فيه إظهار الصناعتين اللتين هما صناعة الحديث والفقهاء ، يذكر حديثاً ويترجم له ، ثم يذكر من يفرد بذلك الحديث ، ومن مفاريد أي بلد هو ؟ ثم يذكر كل اسم في إسناده من الصحابة إلى شيخه بما يعرف من نسبه ومولده وموته وكنيته وقبيلته وفضله وتيقظه ، ثم يذكر مافي ذلك الحديث من الفقه والحكمة . فإن عارضه خبر ذكره وجمع بينهما . وإن تضاد لفظه في خبر آخر تلتطف للجمع بينهما حتى يعلم مافي كل خبر من صناعة الفقه والحديث معاً . وهذا من أنبل كتبه وأعزها .

قال أبو بكر الخطيب : سألت مسعود بن ناصر - يعني السجزي - فقلت له : أكل هذه الكتب موجودة عندهم ، ومقدور عليها ببلاذكم ؟ فقال : إنما يوجد منها الشيء اليسير ، والنزر الحقيق . قال : وقد كان أبو حاتم بن حبان سبّل كتبه ووقفها ، وجمعها في دار رسمها بها . فكان السبب في ذهابها مع تطاول الزمان ، وضعف السلطان ، واستيلاء ذوى العيث والفساد ، على أهل تلك البلاد .

قال الخطيب : ومثل هذه الكتب الجليلة كان يجب أن يكثر بها النسخ ، ويتنافس فيها أهل العلم ويكتبوها ، ويجلدوها ، إحرازاً لها ، ولا أحسب المانع من ذلك إلا قلة معرفة أهل تلك البلاد بمحل العلم وفضله ، وزهدهم فيه ، ورغبتهم عنه ، وعدم بصيرتهم به . والله أعلم .

قال الإمام تاج الإسلام : وحصل عندي من كتبه بالإسناد المتصل سماعاً : كتاب التقسيم والأنواع خمس مجلدات ، قرأتها على أبي القاسم الشحامى عن أبي الحسن البجائي عن أبي هارون الزوزني عنه . وكتاب روضة العقلاء

[وهو هذا] قرأته على حنبل السجزي عن أبي محمد التوني عن أبي عبد الله الشروطي عنه .

وحصل عندي من تصانيفه غير مسندة عدة كتب ، مثل كتاب الهداية إلى علم السنن ، من أوله قدر مجلدين .

وله - وهو أشهر من هذه كلها - كتاب الثقات ، وكتاب الجرح والتعديل ، وكتاب شعب الإيمان ، وكتاب صفة الصلاة ، أدرك عليه في كتاب التقاسيم . فقال : في أربع ركعات يصلها الإنسان ستائة سنة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أخرجناها بقصولها في كتاب صفة الصلاة ، فأغنى ذلك عن نظمها في هذا النوع من هذا الكتاب .

قال أبو سعد : سمعت أبا بكر وجيه بن طاهر الخطيب ، بقصر الريح ، سمعت أبا محمد الحسن بن أحمد السمرقندي ، سمعت أبا بشر عبد الله بن محمد بن هارون ، سمعت عبد الله بن محمد لأستراباذي يقول : أبو حاتم بن حبان البستي كان على قضاء سمرقند مدة طويلة ، وكان من فقهاء الدين ، وحفاظ الآثار والمشهورين في الأمصار والأقطار ، عالما بالطب والنجوم وفنون العلم . ألف كتاب المسند الصحيح والتاريخ والضعفاء والكتب الكثيرة من كل فن .

أخبرتني الحرة زينب الشعرية - إذنا - عن زاهر بن طاهر ، عن أحمد بن حسين الإمام ، سمعت الحافظ أبا عبد الله الحاكم يقول : أبو حاتم بن حبان داره التي هي اليوم مدرسة لأصحابه ومسكن للغرباء الذين يقيمون بها من أهل الحديث والمتفقهة ، ولهم جرايات يستنشقونها ، داره ، وفيها خزانة كتبه في يدي وصى ، سامها إليه ليبدلها لمن يريد نسخ شيء منها في الصفة ، من غير أن يخرجها منها ، شكر الله له عنايته في تصنيفها ، وأحسن مثوبته على جميل نيته في أمرها بفضله ورأفته .

وأخبرني القاضي أبو القاسم الحرستاني في كتابه ، قال : أخبرني وجيه بن طاهر الخطيب بقصر الريح - إذنا - سمعت الحسن بن أحمد الحافظ ، سمعت أبا بشر النيسابوري يقول : سمعت أبا سعيد الإدريسي يقول : سمعت أبا حامد أحمد بن محمد بن سعيد النيسابوري - الرجل الصالح بسمرقند - يقول : كنا مع أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة في بعض الطريق من نيسابور ، وكان معنا أبو حاتم البستي ، وكان يسأله ويؤذيه ، فقال له محمد بن إسحاق بن خزيمة : يا بارد ، تنح عني ، لا تؤذيني ، أو كلمة نحوها ، فكتب أبو حاتم مقالته ، فقيل له : تكتب هذا ؟ فقال : نعم أكتب كل شيء يقوله .

أخبرني الخطيب أبو الحسن السديدي - مشافهة بمرؤ - قال : أخبرني أبو سعد - إذنا - أخبرنا أبو علي إسماعيل بن أحمد بن الحسين البيهقي - إجازة - سمعت والدي سمعت الحاكم أبا عبد الله يقول : سمعت أبا علي الحسين بن علي الحافظ - وذكر كتاب المجروحين لأبي حاتم البستي ، فقال : كان لعمر بن سعيد ابن سنان المنبجعي ابن رحل في طلب الحديث ، وأدرك هؤلاء الشيوخ ، وهذا تصنيفه - وأسأء القول في أبي حاتم .

قال الحاكم : أبو حاتم كبير في العلوم ، وكان يحسد لفضله وتقدمه . ونقلت من خط صديقنا الإمام الحافظ أبي نصر عبد الرحيم بن النفيس بن هبة الله بن وهبان السلمي الحديثي - وذكر أنه نقله من خط أبي الفضل أحمد بن علي بن عمر السليمانى البيكندى الحافظ من كتاب شيوخه - وكان قد ذكر فيه ألف شيخ في باب الكذابين - قال : وأبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد البستي ، قدم علينا من سمرقند سنة ٣٣٠ أو سنة ٣٢٩ ، فقال لي أبو حاتم سهل بن السري الحافظ : لا تكتب عنه ، فإنه كذاب . وقد صنف لأبي الطيب المصعبى كتاباً في القرامطة حتى قلده قضاء سمرقند ، فلما أخبر أهل سمرقند بذلك أرادوا أن

يقتلوه ، فهرب ودخل بخارى ، وأقام دلالاً في البزازين ، حتى اشترى له ثياباً
بخمسة آلاف درهم إلى شهرين وهرب في الليل ، وذهب بأموال الناس .

قال : وسمعت السليمانى الحافظ بنيسابور قال لى كتبت عن أبى حاتم البستي ؟
قللت : نعم ، فقال : إياك أن تزوى عنه ، فإنه جاءنى فكتب مصنفاتى ، وروى
عن مشايخى ، ثم إنه خرج إلى سجستان بكتابه فى القرامطة . إلى ابن بابو ،
حتى قبله وقلده أعمال سجستان ، فمات به .

قال السليمانى : فرأيت وجهه وجه الكذابين ، وكلامه كلام الكذابين .
وكان يقول : يا بنى : اكتب : أبو حاتم محمد بن حبان البستي إمام الأئمة ،
حتى كتبت بين يديه ، ثم محوته ، قال أبو يعقوب إسحاق بن أبى إسحاق
القرّاب : سمعت أحمد بن محمد بن صالح السجستانى يقول : توفى أبو حاتم محمد
ابن أحمد بن حبان سنة ٣٥٤ .

وعن شيخنا أبى القاسم الحرّستانى عن أبى القاسم الشحامى عن أبى عثمان
سعيد بن محمد البحرى سمعت محمد بن عبد الله الضبى يقول : توفى أبو حاتم
البستي ليلة الجمعة لثمان ليالٍ بقين من شوال سنة ٣٥٤ .

ودفن بعد صلاة الجمعة فى الصّفّة التى ابتناها بمدينة بُستَ بقرب داره .

وذكر أبو عبد الله الفنجار الحافظ فى تاريخ بخارى : أنه مات بسجستان
سنة ٣٥٤ بُست معروف إلى الآن يزار ، فإن لم يكن نقل من سجستان إليها
بعد الموت ، وإلا فالصواب أنه مات ببست .

مسند الكتاب إلى المؤلف

أخبرنا الشيخ الإمام الحافظ أبو محمد عبد القادر بن عبد الله الرهاوي أدام الله
تأييده ! وأجزل من كل خير مزيدَه ، في شهور سنة اثنتين وستائة .

قال : حدثنا الأمير القاضي الإمام عمدة الدين معين الإسلام ناصر السنة
أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحسين بن محمد بن سعيد بن محمد بن سعيد بن محمد
البوسنجي من لفظه ببوسنج^(١) في شهور سنة اثنتين وستين وخمسة .

قال : أخبرنا الشيخ الإمام العالم الزاهد عفيف الدين أبو جعفر حنبل بن علي
ابن الحسين البخاري الصوفي السني رحمه الله .

قال : أخبرنا الشيخ أبو محمد أحمد بن محمد بن أحمد التوني^(٢) سنة تسع
وسبعين وأربعمائة .

قال : أخبرنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن عبد الله الشروطي .

قال : أخبرنا أبو حاتم محمد بن حبان البستي رضي الله عنه قال :

(١) بالسين المهملة من قرى ترمذ ، والشين المعجمة بليدة من نواحي هراة .
(٢) التوني : نسبة إلى تون ، مدينة من ناحية قهستان قرب قانن ، حكاه ياقوت
ونسب إليها أبا محمد هذا ، وذكر روايته عن شيخه الشروطي .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله المتفرد بوحداية الألوهية ، المتعزز بعظمة الربوبية القائم على نفوس العالم بأجلها ، والعالم بتقلبها وأحوالها ، المانّ عليهم بتواتر آلائه ، المتفضل عليهم بسوايغ نعمائه الذي أنشأ الخلق حين أراد بلا معين ولا مشير ، وخلق البشر كما أراد بلا شبيه ولا نظير ، فضت فيهم بقدرته مشيئته ، ونفذت فيهم بعزته إرادته ، فألهمهم حسن الإطلاق ، وركّب فيهم تشبّ الأخلاق ، فهم على طبقات أقدارهم يمشون ، وعلى تشعب أخلاقهم يدورون ، وفيما قضى وقدر عليهم يهيمنون و (٢٣ : ٥٣ كل حزب بما لديهم فرحون) .

وأشهد أن لا إله إلا الله فاطر السموات العلا ، ومنشئ الأرضين والثرى ، لا معقّب لحكمه ولا راد لقضائه (٢١ : ٢٣ لا يسألُ عما يفعل وهم يسألون) .
وأشهد أن محمداً عبده المّجّتبى ، ورسوله المرتضى ، بعثه بالنور المضيّ ، والأمر المرضيّ ، على حين فترة من الرسل . ودرّوس من السُّبل ، فدمغ به الطغيان ، وأكمل به الإيمان ، وأظهره على كل الأديان ، وقمع به أهل الأوثان ، فصلى الله عليه وسلم مادار في السماء فلك ، وما سبح في الملكوت ملك ، وعلى آله أجمعين ! .

أما بعد ، فإن الزمان قد تبين للعاقل تغيرة ، ولاح للبيب تبدله ، حيث يدسّ ضرعه بعد الغزارة ، وذبل فرعه بعد النضارة ، ونحلّ عوده بعد الرطوبة ، وبسّع مذاقه بعد العنوبة ، فنبع فيه أقوام يدعون التمكّن من العقل باستعمال ضد ما يوجب العقل من شهوات صلورهم ، وترك ما يوجب نفس العقل بهجسات

قلوبهم ، جعلوا أساس العقل الذى يعقدون عليه عند العضلات : النفاق والمداهنة ، وفروعه عند ورود الثابتات حسن اللباس والفصاحة ، وزعموا أن من أحده هذه الأشياء الأربع فهو العاقل ، الذى يجب الاقتداء به ، ومن تخلف عن إحكامها فهو الأنوك^(١) الذى يجب الإزورار عنه^(٢) .

فلما رأيت الرعاع^(٣) من العالم يعفرون بأفعالهم والهمج من الناس يقتدون بأمثالهم ، دعانى ذلك إلى تصنيف كتاب خفيف ، يشتمل متضمنه على معنى لطيف ، مما يحتاج إليه العقلاء فى أيامهم ، من معرفة الأحوال فى أوقاتهم ، ليكون كالتذكرة لدوى الحجى^(٤) عند حضرتهم ، وكالمعين لأولى النهى عند غيبتهم ، يفوق العالم به أقرانه ، والحافظ له أترابه ، يكون النديم الصادق للعاقل فى الخلوات ، والمؤنس الحافظ له فى الفلوات ، إن خص به من يجب من إخوانه ، لم يفتقده من ديوانه ، وإن استبد به دون أوليائه ، فاق به على نظرائه .

أبين فيه ما يحسن للعاقل استعماله من الخصال المحمودة ، ويقبح به إتيانه من الخلال المذمومة ، مع القصد فى لزوم الاختصار ، وترك الإمعان فى الإكثار ، ليخفف على حامله ، وتعيه أذن مستمعه ، لأن فنون الأخبار وأنواع الأشعار ، إذا استقصى المجتهد فى إطالتها ، فليس يرجو النهاية إلى غايتها ، ومن لم يرج التمكن من الكمال فى الإكثار ، كان حقيقاً أن يقنع بالاختصار .

والله الموفق للسداد ، والهادى إلى الرشاد ، وإياه أسأل إصلاح الأسرار ، وترك المعاقبة على الأوزار ، إنه جواد كريم ، رءوف رحيم .

(١) الأنوك : أى الأحمق

(٢) الإزورار : الابتعاض والتباعد

(٣) الرعاع : أى الجهلة والدهماء (٤) الحجى - بالكسر مقصوراً - العقل

والنهي : جمع تبية - بالضم - وهى العقل أيضاً

ذكر الحث على لزوم العقل

وصفة العاقل اللبيب

حدثنا محمد بن يوسف بن مطر حدثنا عبد الله بن أحمد بن شَبْوَيْه حدثنا أحمد بن يونس حدثنا فضيل بن عياض عن محمد بن ثور عن مَعْمَرٍ عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب مكارم الأخلاق ، ويكره سفاسفها ^(١) » .

قال أبو حاتم : لست أحفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم خبراً صحيحاً في العقل ؛ لأن أبان بن أبي عياش ، وسلمة بن وردان ، وعُمَيْر بن عمران ، وعلي بن زيد ، والحسن بن دينار ، وعبد بن كثير ، وميسرة بن عبد ربه ، وداود ابن المحبر ، ومنصور بن صفر وذويهم ، ليسوا ممن أحتج بأخبارهم ، فأخرج ما عندهم من الأحاديث في العقل ^(٢) .

وإن محبة المرء المكارم من الأخلاق وكرهته سفاسفها هو نفس العقل . فالعقل به يكون الحظ ، ويؤنس الغربة ، وينفي الفاقة ، ولا مال أفضل منه ، ولا يتم دين أحد حتى يتم عقله .

والعقل : اسم يقع على المعرفة بساوك الصواب ، والعلم باجتنب الخطأ ، فإذا كان المرء في أول درجته يسمى أديباً ، ثم أريباً ، ثم لبيباً ، ثم عاقلاً ، كما أن الرجل إذا دخل في أول حد الدهاء قيل له : شيطان ، فإذا عتا في الطغيان قيل : مارد ، فإذا زاد على ذلك قيل : عبقرى ^(٣) فإذا جمع إلى خُبثه شدة شر قيل : عقرىت

(١) سفاسفها : أى دنيتها وخسيسها (٢) أى أن هؤلاء الضعفاء والمجروحين رووا أحاديث في فضل العقل لا يراها المؤلف حجة لسقوط رواياتها

(٣) عبقرى : نسبة إلى عبقر ، وهو مسكن الجن في زعم العرب ، وهم ينسبون كل ما يتعاطونه ويرونه فوق متناولهم إلى عبقر .

وكذلك الجاهل ، يقال له في أول درجته : المائق ، ثم الرقيق ، ثم الأنوك ، ثم الأحق .

وأفضل مواهب الله لعباده العقل ، ولقد أحسن الذي يقول :

وأفضل قَسَمَ اللهُ للمرء عقله فليس من الخيرات شيء يقاربه
إذا أكمل الرحمن للمرء عقله فقد كملت أخلاقه ومآربه
يعيشُ الفتي في الناس بالعقل ، إنه على العقل يجرى علمه وتجاربه
يزيد الفتي في الناس جودة عقله وإن كان محظوراً عليه مكاسبه

أخبرنا محمد بن سليمان بن فارس حدثنا أحمد بن سيّار حدثنا حبيب الجلاب

قال : قيل لابن المبارك « ما خير ما أعطى الرجل ؟ قال : غريزة عقل ، قيل : فإن

لم يكن ؟ قال : أدب حسن ، قيل : فإن لم يكن ؟ قال : أخ صالح يستشيره ، قيل :

فإن لم يكن ؟ قال : صمتٌ طويل ، قيل : فإن لم يكن ؟ قال : موت عاجل »

أخبرنا محمد بن داود الرازي حدثنا محمد بن حميد حدثنا ابن المبارك قال

« سئل عقيل : ما أفضل ما أعطى العبد ؟ قال : غريزة عقل ، قال : فإن لم يكن ؟

قال : فأدب حسن ، قال : فإن لم يكن ؟ قال : فأخ شقيق يستشيره ، قال : فإن لم

يكن ؟ فطولُ صمت ، قال : فإن لم يكن ؟ قال : فموت عاجل » .

قال أبو حاتم : العقل نوعان : مطبوع ومسموع ، فالمطبوع منها كالأرض ،

والمسموع كالبذر والماء . ولا سبيل للعقل المطبوع أن يخلص له عمل محصول دون

أن يرد عليه العقل المسموع ، فينبه من رقده ، ويطلقه من مكانه ، يستخرج

البذر والماء مافي قعور الأرض من كثرة الربيع .

فالعقل الطبيعي من باطن الإنسان بموضع عروق الشجرة من الأرض ،

والعقل المسموع من ظاهره . كندلى ثمرة الشجرة من فروعها .

أنشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :

رأيت العقل نوعين فطبوع ومسموع^(١)
ولا ينفع مسموع إذا لم يك مطبوع
كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع

أخبرنا القطان بالرقعة حدثنا موسى بن مروان حدثنا بقية عن عبد الله بن
حسان حدثني ابن عامر، قال: قلت لعطاء بن أبي رباح «يا أبا محمد، ما أفضل
ما أعطى العبد؟ قال: العقل عن الله».

أنشدني أحمد بن عبد الله الصنعاني لعبد الله بن عكراش:

يَزِينُ الفتي في الناس صحة عقله وإن كان محظوراً عليه مكاسبه
يَشِينُ الفتي في الناس خفة عقله وإن كرمت أعرافه ومناسبه
قال أبو حاتم: فالواجب على العاقل: أن يكون بما أحيا عقله من الحكمة
أكلف^(٢) منه بما أحيا جسده من القوت، لأن قوت الأجساد المطاعم، وقوت
العقل الحكم، فكأن الأجساد تموت عند فقد الطعام والشراب، وكذلك
العقول إذا فقدت قوتها من الحكمة ماتت.

والتقلب في الأمصار والاعتبار بخلق الله مما يزيد المرء عقلا، وإن عدم المال
في تقلبه.

أنشدني عبد الرحمن بن محمد المقاتلي:

إن ذا العقل يرى غنا له عدم المال، إذا ما العقل صح
ما على المرء بعدم سببه إن وفا العقل، وإن دينه صلح
أخبرنا محمد بن السيب حدثنا أحمد بن إسماعيل المدني قال: سمعت حاتم
ابن إسماعيل يقول «ما استودع الله عقلا عبداً إلا استنقذه به يوماً ما»
قال أبو حاتم: العقل دواء القلوب، ومطية المجتهدين، وبذر حرائة الآخرة،

(١) حفظي * رأيت العقل عقليين *

(٢) أكلف: أى اشد كلفاً، والكلف: الحجة

وتاج المؤمن في الدنيا، وعدته في وقوع النوائب، ومن عدم العقل لم يزد السطان
عزا، ولا المال يرفعه قدراً، ولا عقل لمن أغفله عن أخراه ما يجد من لذة
دنياه، فكما أن أشد الزمّانة الجهل، كذلك أشد الفاقة عدم العقل.

والعقل والهوى متعاديان، فالواجب على المرء: أن يكون لرأيه مسعفاً^(١)
ولهواه مسوّفاً^(٢). فإذا اشتبه عليه أمران اجتنب أقربهما من هواه؛ لأن في
مجانبته الهوى إصلاح السرائر، وبالعقل تصلح الضمائر.

أخبرنا عمرو بن محمد الأنصاري ثنا^(٣) ثنا محمد بن عبيد الله الجشمي
حدثنا اللدائني، قال: قال معاوية بن أبي سفيان لرجل من العرب عمر دهرأ
«أخبرني بأحسن شيء رأيته، قال: عقل طلب به مروءة مع تقوى الله
وطلب الآخرة»

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش:

إذا تم عقل المرء تمت أموره وتمت أياديه، وتم بناؤه
فإن لم يكن عقل تبين نقصه ولو كان ذاملاً كثيراً عطاؤه

أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا أبو كامل الجحدري^(٤) حدثنا عمران بن خالد
الجزاعي قال: سمعت الحسن^(٥) يقول «ما تم دين عبد قط حتى يتم عقله»
قال أبو حاتم: أفضل ذوى العقول منزلة أدمهم لنفسه محاسبة، وأقلهم
عنها فترة.

فبالعقل تعمر القلوب، كما أن بالعلم تستخرج الأحلام، وعمود السعادة العقل،
ورأس العقل الاختيار، ولو صور العقل صورة لأظلمت معه الشمس لنوره،
فتقرب العاقل مرّجوا خيره على كل حال، كما أن قرب الجاهل محوّف شره على
كل حال.

(١) مسعفاً: معينا مساعداً (٢) التسوية: التأخير عن كسل (٣) يياض

بالأصل (٤) اسمه: فضيل بن حسين (٥) هو ابن أبي الحسن البصرى

ولا يجب للعاقل أن يعتم ؛ لأن النعم لا ينفع ، وكثرته تُزْرِى بالعقل ،
ولا أن يحزن ؛ لأن الحزن لا يردُّ المَرزِئَةَ^(١) . ودوامه ينقص العقل .
والعاقل يحسم الداء قبل أن يبتلى به ، ويدفع الأمر قبل أن يقع فيه ، فإذا
وقع فيه رضى وصبر ، والعاقل لا يخيف أحداً أبداً ما استطاع ، ولا يقيم على خوف
وهو يجد منه مذهباً ، وإذا خاف على نفسه الهوان طابت نفسه عما يملك من
الطارف والتالد^(٢) ، مع لزوم العفاف ، إذ هو قُطْبُ شُعْبِ العقل .

أنشدنى المنتصر بن بلال بن المنتصر الأنصارى :

أولست تأمر بالعفاف وبالتقى وإليه آل الأمر حين يؤول ؟

فإن استطعت فخذ بعقلك فضلة إن العقول يرى لها تفضيل

أخبرنا الحسين بن إسحاق الأصبهاني بالكرج حدثنا محمد بن علي الطاحي
حدثنا عمرو بن عثمان الخزاز الحراي حدثنا مفضل بن صالح قال : علي^(٣) « لما
أهبط الله آدم من الجنة أتاه جبريل ، فقال : إني أمرت أن أخيرك في ثلاثة ،
فاختر واحدة ، ودع اثنتين ، فقال آدم : وما الثلاث ؟ قال : الحياء والدين
والعقل ، فقال آدم : فإني قد اخترت العقل ، قال : فقال جبريل للحياء والدين :
انصرفا ودعا ، فقلا : إنا أمرنا أن نكون مع العقل حيث كان ، ثم عرج
جبريل وقال : شأنكم »

قال أبو حاتم : من حسن عقله وقبح وجهه فقد أفقد فضائل نفسه قبائح
وجهه ، ومن حسن وجهه وقل عقله فقد أذهب محاسن وجهه نقائص نفسه ،
فلا يجب للعاقل أن يعتم إذا كان معدماً^(٣) ، لأن العاقل قد يرجى له الغنى ،
[ولا] يوثق للجاهل المكثّر ببقاء ماله ، ومال العاقل عقله وما قدم من صالح عمله .

(١) المصيبة التي ترزأ ، أي تثقل الكاهل فينوء بها (٢) الجديد والقديم

(٣) أي ابن أبي طالب رابع الخلفاء الراشدين

(٣) أي قديراً .

وآفة العقل الصَّلف^(١) والبلاء المُردى ، والرِخاء الفِرط ؛ لأنّ البِلايا إذا تواترت عليه أهلكت عقله ، والرِخاء إذا تواتر عليه أبطره ، والعدو العاقل خير للمرء من الصديق الجاهل .

أنشدني علي بن محمد البَّسَّامى :

عدوك ذو العقل أبقي عليك من الجاهل الوامق الأحمق^(٢)
وذو العقل يأتي جميل الأمور ويقصد للأرشد الأرفق
أخبرنا محمد بن الحسين بن قتيبة بعسقلان حدثنا ابن أبي السرى حدثنا
داود بن الجراح وضمرة بن ربيعة عن خلود بن دعلج قال : سمعت معاوية
ابن قرّة يقول « إن التوم ليحجون ويعتمرون ، ويجاهدون ويصلون ،
ويصومون ، وما يُفطّون يوم القيامة إلا على قدر عقولهم »

سمعت محمد بن محمود بن عدى النسائى يقول : سمعت علي بن خشرم يقول :
سمعت حفص بن حميد الأكَاف يقول : « العاقل لا يغيب ، والورع لا يغيب »
قال أبو حاتم : هذه لفظة جامعة ، تشتمل على معان شتى ، فكما لا ينفع
الاجتهاد بغير توفيق ، ولا الجمال بغير حلاوة ، ولا السرور بغير أمن ، كذلك
لا ينفع العقل بغير ورع ، ولا الحفظ بغير عمل ، وكما أن السرور تبع للأمن ،
والقراءة تبع للمودة ، كذلك المرءات كلها تبع للعقل .

وعقول كل قوم على قدر زمانهم ، فالعاقل يختار من العمر أحسنه وإن قل ،
فإنه خير من الحياة النكدة وإن طالت ، والعقل الموعى - غير المنتفع به -
كالأرض الطيبة الخراب .

والعاقل لا يبتدىء الكلام إلا أن يُسأل ، ولا يكثر التمارى^(٣) إلا عند
القبول ، ولا يسرع الجواب إلا عند التثبيت .

(١) أى الكبر (٢) الوامق : الحب ، ومق عمق مقه : أحب .

(٣) التمارى أى البحث والمحاورة .

والعاقل لا يستحقر أحداً ؛ لأن من استحقر السلطان أفسد دنياه ، ومن استحقر الأتقياء أهلك دينه ، ومن استحقر الإخوان أفنى مروءته ، ومن استحقر العام^(١) أذهب صيافته .

والعاقل لا يخفى عليه عيب نفسه ؛ لأن من خفى عليه عيب نفسه خفيت عليه محاسن غيره ، وإن من أشد العقوبة للمرء أن يخفى عليه عيبه ؛ لأنه ليس بمقلع عن عيبه من لم يعرفه ، وليس بنائل محاسن الناس من لم يعرفها ، وما أنفع التجارب للمبتدى

أنشدني المنتصر بن بلال بن المنتصر الأنصاري :

ألم تر أن العقل زين لأهله وأن كمال العقل طول التجارب
وقد وعظ الماضي من الدهر ذا النهي^(٢) ويزداد في أيامه بالتجارب

أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن الحكم ابن عبد الله قال « كانت العرب تقول : العقل التجارب ، والحزم سوء الظن » قال أبو حاتم : لا يكون المرء بالمصيب في الأشياء حتى تكون له خبرة بالتجارب والعاقل يكون حسن المآخذ في صغره ، صحيح الاعتبار في صباه ، حسن العفة عند إدراكه ، رضى الشائل في شبابه ، ذا رأى والحزم في كهولته يضع نفسه دون غايته برتوة^(٣) . ثم يجعل لنفسه غاية يقف عندها ، لأن من جاوز الغاية في كل شيء صار إلى النقص .

ولا ينفع العقل إلا بالاستعمال ، كما لا تنفع الأعوان إلا عند الفرصة ، ولا ينفع رأى إلا بالاتخاذ^(٤) ، كما لا تتم الفرصة إلا بحضور الأعوان .
ومن لم يكن عقله أغلب خصال الخير عليه أخاف أن يكون حثفه^(٥) في أقرب الأشياء إليه .

(١) العام : أى العوام والجمهور (٢) النهي : جمع نهي : أى العقل .

(٣) فى القاموس - الرتوة : بالتاء المثناة - الخطوة (٤) الاتخاذ : الاستخلاص والتحصين من نخل الطحين لأخذ حواراه (٥) حثفه : أى هلاكه .

ورأس العقل : المعرفة بما يمكن كونه قبل أن يكون .

والواجب على العاقل أن يجتنب أشياء ثلاثة ، فإنها أسرع في إفساد العقل من النار في يَبَيْسِ العَوْسَجِ : الاستغراق في الضحك ، وكثرة التمني ، وسوء التثبيت ؛ لأن العاقل لا يتكلف ما لا يطيق ، ولا يسعى إلا لما يدرك ، ولا يَعدُّ إلا بما يقدر عليه ، ولا ينفق إلا بقدر ما يستفيد ، ولا يطلب من الجزاء إلا بقدر ما عنده من الغناء ^(١) ولا يفرح بما نال إلا بما أُجِدَى ^(٢) عليه نفعة منه .

والعاقل يبذل لصديقه نفسه وما له ، ولمعرفته رِفْدَه ومحضره ، ولعدوه عدله وبره ، وللعامه بِشْرَه وتحيته ، ولا يستعين إلا بمن يجب أن يظفر بحاجته ، ولا يحدث إلا من يرى حديثه مغنياً ، إلا أن يغلبه الاضطرار عليه ، ولا يدعى ما يحسن من العلم ، لأن فضائل الرجال ليست ما ادَّعَوْهَا ولكن ما نسبها الناس إليهم ، ولا يبالي ما فاته من حُطَام الدنيا ، مع مارزق من الحظ في العقل .

أنشدني عبد الرحمن بن محمد المقاتلي :

فمن كان ذا عقل ، ولم يك ذاغني يكون كذى رجلٍ ، وليست له نعلٌ

ومن كان ذا مال ، ولم يك ذا حِجِي يكون كذى نعل ، وليست له رجل

قال أبو حاتم : كفى بالعاقل فضلا وإن عدم المال : بأن تُصَرَف مساوي أعماله إلى المحاسن ، فتجعل البلادة منه حِلماً ، والمسكر عقلاً ، والمهذر ^(٣) بلاغة ، والحدة ذكاء ، والعي صمتاً ، والعقوبة تأديباً ، والجرأة عزماً ، والجبن تأنيباً ، والإسراف جوداً ، والإمساك تقديراً ، فلا تكاد ترى عاقلاً إلا موقراً للرؤساء ، ناصحاً للأقران ، موافقاً للأخوان ، متحرزاً من الأعداء ، غير حاسد للأصحاب ، ولا مخادع للأحباب ، ولا يتحرش بالأشرار ، ولا يبخل في الغنى ، ولا يشتره في الفاقة ، ولا ينقاد للهوى ، ولا يجمع في الغضب ، ولا يبرح في الولاية ، ولا يتعنى ما لا يجيد ، ولا يكتنز إذا وجد ، ولا يدخل في دعوى ، ولا يشارك في مراء ،

(١) الغناء : النفع (٢) أُجِدَى : أى عاد عليه بالفع (٣) المهذر : كثرة الكلام

ولا يُدلي بحجة حتى يرى قاضياً ، ولا يشكو الوجد إلا عند من يرجو عنده البرء ،
ولا يمدح أحداً إلا بما فيه ؛ لأن من مدح رجلاً بما ليس فيه فقد بالغ في هجائه ،
ومن قبل المدح بما لم يفعله فقد استهدف للسخرية .

والعاقل يكرم على غير مال كالأسد يُهاب وإن كان رابضاً^(١) .
كلام العاقل يعتدل كاعتدال جسد الصحيح ، وكلام الجاهل يتناقض
كاختلاط جسد المريض .

وكلام العاقل وإن كان نزرأ^(٢) مُحظوة عظيمة ، كما أن مقارفة المأثم وإن
كان نزرأ مصيبة جليلة .

ومن العقل التثبت في كل عمل قبل الدخول فيه .

وآفة العقل العجب ، بل على العاقل أن يوطن نفسه على الصبر على جار
السوء ، وعشير السوء ، وجليس السوء ، فإن ذلك مما لا يخطئه على عمر الأيام .

ولا يجب للعاقل أن يجب أن يسمى به ، لأن من عرف بالدهاء حذر ، ومن
عقل العاقل دفن عقله ما استطاع ، لأن البذر وإن خفي في الأرض أياماً فإنه لا بد
ظاهر في أوانه ، وكذلك العاقل لا يخفي عقله وإن أخفى ذلك جهده .

وأول تمكن المرء من مكارم الأخلاق هو لزوم العقل .

أنشدني علي بن محمد البسامي :

إن المكارم أبوابٌ مُصنَّفة فالعقل أولها والصمت ثانيها
والعلم ثالثها ، والحلم رابعها ، والوجود خامسها ، والصدق سادسها^(٣)
والصبر سابعها ، والشكر ثامنها واللين تاسعها ، والصدق عاشيها

أخبرنا عمر بن عبد الله بن عمر الهجري بالأبلة حدثنا عبد الله بن خبيق حدثنا
موسى بن طريف قال شعيب بن حرب : قال لي شعبة « عقولنا قليلة ، فإذا
جلسنا مع من هو أقل عقلاً منا ذهب ذلك القليل ، وإني لأرى الرجل يجلس

(١) ربح الأسد : جثم (٢) نزرأ : قليلا (٣) سادسها : لغة في سادسها .

مع من هو أقل عقلا منه فأمقته (١) .

قال أبو حاتم : أول خصال الخير للمرء في الدنيا العقل ، وهو من أفضل ما وهب الله لعباده فلا يجب أن يدنس نعمة الله بمجالسة من هو بضدها قائم .
والواجب على العاقل : أن يكون حسن السمّت (٢) طويلا الصمت ، فإن ذلك من أخلاق الأنبياء ، كما أن سوء السمّت وترك الصمت من شيم الأشقياء .
والعاقل لا يطول أمله ؛ لأن من قوى أمله ضعف عمله ، ومن أتاه أجله لم ينفعه أمله .

والعاقل لا يقاتل من غير عُدّة ، ولا يناخصم بغير حجة ، ولا يصارع بغير قوة ، لأن بالعقل تحيا النفوس ، وتنور القلوب ، وتمضى الأمور ، وتعمر الدنيا .
والعاقل يقيس ما لم ير من الدنيا بما قد رأى ، ويضيف ما لم يسمع منها إلى ما قد سمع ، وما لم يصب منها إلى ما قد أصاب ، وما بقي من عمره بما فنى ، وما لم ينل منها بما قد أوتى ، ولا يتشكل على المال وإن كان في تمام الحال ، لأن المال يحل ويرتحل ، والعقل يقيم ولا يبرح ، ولو أن العقل شجرة لكانت من أحسن الشجر ، كما أن الصبر لو كان ثمرة لكان من أكرم الثمر .
والذى يزداد به العاقل من نماء عقله هو التقرب من أشكاله ، والتباعد من أضداده .

ولقد أخبرنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا أبو جعفر ابن ابنة أبي سعيد الثعلبي حدثنا محمد بن أبي مالك الغزوي ، قال : سمعت أبي يقول « جالسوا الألباء : (٣) أصدقاء كانوا أو أعداء ؛ فإن العقول تلتحق (٤) العقول » .

قال أبو حاتم : مجالسة العقلاء لا تخلو من أحد معنيين : إما تذكر الحالة

(١) المقت : أشد البغض (٢) السمّت : أى الهيئة والمنظر .

(٣) الألباء : جمع لبيب ، واللبيب : ذو اللب وهو العقل .

(٤) أى : تفيدها وتتورها . .

التي يحتاج العاقل إلى الانتباه لها ، أو الإفادة بالشيء الخطير الذي يحتاج الجاهل إلى معرفتها .

فقرّب العاقل غُفْمَ لأشكاله وعِبْرَةَ لأضداده ، على الأحوال كلها .
ولا يجب لمن تسمى به أن يتدلّل إلا على من يحتمل دلاله ، ويقبل إلا على من يجب إقباله ، ولو كان للعقل أبوان لكان أحدهما الصبر ، والآخر الثبت .
جعلنا الله ممن رُكِّبَ فيه حسن وجود العقل ، فسلك بتمام النعم مسلك الخصال التي تقر به إلى ربه ، في داري الأمد والأبد ؟ إنه الفعال لما يريد .

ذكر إصلاح السرائر بزوم تقوى الله

أخبرنا أحمد بن محمد بن يحيى بن زهير - بتُسْتَر - حدثنا عمر بن شَبَّه حدثنا مؤمل بن إسماعيل حدثنا شعبة عن زياد بن علاقة عن أسامة بن شريك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما كرهه الله منك شيئاً فلا تفعله إذا خلوت » قال أبو حاتم : الواجب على العاقل الخازم أن يعلم أن للعقل شعباً من المأمورات والمزجورات ، لا بد له من معرفتها ، واستعمالها في أوقاتها ، لمباينة العام ، وأوباش الناس بها

وإني ذاكر في هذا الكتاب - إن الله قضى ذلك وشاءه - خمسين شعبة من شعب العقل من المأمورات والمزجورات ، ليكون الكتاب مشتملاً على خمسين باباً ، بناء كل باب منها على سُنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم تتكلم في عقيب كل سُنَّة منها بحسب ما يمتنُّ الله به من التوفيق لذلك إن شاء الله .
فأول شعب العقل هو لزوم تقوى الله ، وإصلاح السريرة ، لأن من صلح جَوَانِيهِ أصلح الله بَرَانِيهِ ، ومن فسَد جَوَانِيهِ أفسد الله بَرَانِيهِ .

ولقد أحسن الذي يقول :

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقلُ ولكن قل : على رقيبُ
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما يخفى عليه يغيبُ

ألم تر أن اليوم أسرعُ ذاهبٍ وأنَّ غدًا للناظرين قريبٌ؟
أخبرنا عبد الله بن محمود بن سليمان السعدى حدثنا شعبة بن هيبرة حدثنا
جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار قال « اتخذ طاعة الله تجارة تأتكَ الأرباح
من غير بضاعة » .

قال أبو حاتم : قطبُ الطاعات للمرء في الدنيا : هو إصلاح السرائر ، وترك
إفساد الضائر .

والواجب على العاقل الاهتمام بإصلاح سريرته ، والقيام بحراسة قلبه عند
إقباله وإدباره ، وحركته وسكونه ؛ لأن تكدر الأوقات وتنقص اللذات
لا يكون إلا عند فساد .

ولو لم يكن لإصلاح السرائر سبب يؤدي العاقل إلى استعماله إلا إظهار الله
عليه كيفية سريرته ، خيراً كان أو شراً ، لكان الواجب عليه قلة الإغضاء
عن تعاهدها .

أشدنى عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

يُلبس الله في العلانية العبد الذي كان يختفي في السريرة
حسناً كان ، أو قبيحاً سيدي كل ما كان ثم من كل سيرة
فاستح الله أن تُراي للناس فإن الرياء بئس الدخيرة
أخبرنا أبو يعلى حدثنا شريح بن يونس حدثنا عبيدة بن حميد عز
منصور عن عطاء بن أبي رباح عن أبيه قال : قال كعب « والذي فلق البحر
لبنى إسرائيل ، إني لأجد في التوراة مكتوباً : يا بن آدم ، اتق ربك ، وصل
رحمك ، وبرِّ والديك ، يمدك في عمرك ، وييسر لك يسرك ، ويصرف
عنك عُسرك » .

حدثنا محمد بن سليمان بن فارس حدثنا محمد بن علي الشقيق حدثنا أبي
حدثنا جعفر بن سليمان الضبيعي عن مالك بن دينار قال « إن القلب إذا لم يكن

فيه حزن خرب ، كما يحرب البيت إذا لم يكن فيه ساكن . وإن قلوب الأبرار
تغلى بأعمال البر . وإن قلوب الفجار تغلى بأعمال الفجور . والله يرى همومكم ،
فانظروا ماهومكم ؟ رحمكم الله .

أشدني محمد بن مبد الله بن زنجي البغدادي :

وإذا أعلنتِ امرأةً حسناً فليكن أحسن منه ما تُسر

فسر الخير موسوم به ومسر الشر موسوم بشر

أخبرنا أبو يعلى حدثنا شريح بن يونس حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن
إبراهيم قال « إن الرجل ليتكلم بالكلام ينوي فيه الخير . فيلقى الله في قلوب
العباد ، حتى يقولوا : ما أراد بكلامه هذا إلا الخير . وإن الرجل ليتكلم بالكلام
الشر لا ينوي فيه الخير ، فيلقى الله في قلوب الناس حتى يقولوا : ما أراد بكلامه
هذا إلا الشر . »

حدثنا محمد بن عمر الهمداني حدثنا القطواني حدثنا سيار حدثنا حماد بن
زيد عن أيوب قال : سمعت الحسن يقول « إنكم وقوفها هنا تنتظرون آجالكم
وعند الموت تلقون الخير ، فخذوا مما عندكم لما بعدكم . »

قال أبو حاتم : الواجب على العاقل أن يأخذ مما عنده لما بعده من التقوى
والعمل الصالح : بإصلاح السريرة ، ونفى الفساد عن خلل الطاعات عند إجابة
القلب وإيائه . فإذا كان صحة السبيل في إقباله موجوداً أنفذه بأعضائه . وإن
كان عدم وجوده موجوداً كبحه عنها ، لأن بصفاء القلب تصفو الأعضاء .

وأشدني المنتصر بن بلال بن المنتصر الأنصاري :

وإن امرأة لم يصفُ الله قلبه لفي وحشة من كل نظرة ناظر

وإن امرأة لم يرتحل بيضاء إلى داره الأخرى فليس بتاجر

وإن امرأة ابتاع دنيا بدينه لمنقلب منها بصفقة خاسر

أخبرنا أحمد بن الحسين بن عبد الجبار الصوفي ببغداد حدثنا أبو نصر التمار

حدثنا أبو الأشهب عن خالد الربيعي قال « كان لقمان عبداً حبشياً نجاراً ، فأمره سيده أن يذبح شاة ، فذبح شاة ، فقال : أئتنى بأطيب مُضغَتين في الشاة ، فاتاه باللسان والقلب ، ثم مكث أياما ، فقال : اذبح شاة ، فذبح ، فقال : ائتنى بأخبث مضغتين في الشاة ، فألقى إليه اللسان والقلب ، فقال له سيده : قلت لك حين ذبحت ائتنى بأطيب مضغتين في الشاة ، فأتيتني باللسان والقلب ، ثم قلت لك الآن حين ذبحت الشاة : ائتنى بأخبث مضغتين في الشاة ، فألقيت اللسان والقلب ؟ فقال : إنه لا أطيب منها إذا طابا ، ولا أخبث منها إذا خبثا . »

وأنشدني منصور بن محمد الكُرَيْزِي :

وما المرء إلا قلبه ولسانه إذا حصلت أخباره ومدخله
إذا ما رداه المرء لم يك ظاهراً فبهات أن ينقيه بالماء غاسله
وما كل من تخشى ينالك شره وما كل ما أمّلته أنت نائله

أخبرنا أحمد بن عيسى بن السُّكَيْنِ - بواسط - حدثنا عبد الحميد بن محمد بن مُسْتَمَّام حدثنا مُحَمَّد بن يزيد حدثنا صالح بن حسان المؤذن قال « دخلت على عمر ابن عبد العزيز ، فسمعتة يقول : لا يتقى الله عبدٌ حتى يجدَ طعمَ النُّلِ . »

قال أبو حاتم : العاقل يفتش قلبه في ورود الأوقات ، ويكبح نفسه عن جميع المزجورات ، ويأخذها بالقيام في أنواع الأمور ، ولزوم الانتباه عند ورود الفترة في الحالات ، ولا يكون المرء يشاهد ما قلنا قائماً حتى يوجد منه صحة التثبت في الأفعال .

أنشدني علي بن محمد البسامي :

وإذا بحثت عن التقى وجدته رجلاً يصدق قوله بفعال
وإذا اتقى الله امرؤ وأطاعه فidah بين مكارم ومعال
وعلى التقى إذا راسخ في التقى تاجان : تاجُ سكينه ، وجمال
وإذا تناسبت الرجال ، فما أرى نسباً يكون كصالح الأعمال

أخبرنا القطان بالرقه حدثنا عبد الله بن رومي البراز عن أبيه قال : قلما دخلت على إسحاق بن أبي ربيعي الرافقي إلا وهو يتمثل بهذا البيت :

خيرٌ من المال والأيامُ مقبلةٌ جيبٌ نقيٌّ من الآثامِ والدَّاسِ (١)

أخبرنا محمد بن عبد الله بن الجنيد حدثنا عبد الوارث بن عبيد الله عن عبد الله

أخبرنا الربيع عن الحسن قال « أفضل العمل الورع والتفكر »

قال أبو حاتم : العاقل يدبر أحواله بصحة الورع ، ويمضى لسانه بلزوم

التقوى ، لأن ذلك أول شُعب العقل ، وليس إليه سبيل إلا بصلاح القلب .

ومثل قلب العاقل إذا لزم رعاية العقل - على ما نذكرها في كتابنا هذا إن الله

قضى ذلك وشاء - كأن قلبه شُرِّح بسكاكين التُّقى ، ثم مُلِّح بملح الحُشية ،

ثم جُفِّف برياح العظمة ، ثم أحيى بماء القربة ، فلا يوجد فيه إلا ما يرضى المولى

جل وعلا ، ولا يبالي المرء إذا كان بهذا النعمت أن يتتضع عند الناس ، ومحالٌ

أن يكون ذلك أبداً .

سمعت أحمد بن موسى بواسط يقول « وجد [ت] على خف عطاء السلمي

مكتوبا ، وكان حائكا » :

ألا إنما التقوى هو العز والكرمُ وفخرُك بالدنيا هو الذلُّ والعدمُ

وليس على عبد تقى نقيصةٌ إذا صحح التقوى ، وإن حاك أو حجمُ

أخبرنا محمد بن زنجويه القشيري حدثنا عمرو بن علي حدثنا طريف بن

سعيد حدثنا القاسم بن عبد الله الأنصاري عن محمد بن علي بن حسين قال « إذا

بلغ الرجل أربعين سنة ناداه مناد من السماء : دنا الرحيلُ ، فأعدَّ زاداً » .

وأشدنى عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

إذا انتسب الناسُ كان التقى بتقواه أفضل من ينتسبُ

ومن يتق الله يكتسبُ به من الحظِّ أفضل ما يكتسبُ

ومن يتخذ سبباً للنجاة فإن تقى الله خيرُ السببِ

(١) قضاء الحبيب : كناية عن طهارة القلب .

وأشدني أحمد بن محمد بن عبد الله الصنعاني لابن عكراش :
ومهما يُسِرَّ المرء يَبْدُ لِرَبِّهِ وما يَنْسَهُ الإنسان لا يَنْسُ كاتبه
ومن كان غَلَابًا بِجَهْدٍ وَنَجْدَةٍ فذو الحِطِّ في أمر المعيشة غالبه
وأشدني أبو بدر أحمد بن خالد بن عبيد الله بن عبد الملك بجران :
يا نفسُ ، ما هو إلا صبرٌ أيامَ كَأَنَّ لَدَاتِهَا أَضْعَافُ أَحْلَامِ
يا نفسُ ، جُوزِي عن الدنيا مبادِرَةً وَخَلَّ عنها ، فإن العيش قَدَّامِي
أخبرنا الحسين بن إدريس الأنصاري أخبرنا سويد بن نصر أخبرنا عبد الله
أخبرنا سفيان عن معن قال : قال عبد الله « إن لهذه القلوب شهوة وإقبالًا ،
وإن لها فِتْرَةً وإِدْبَارًا ، فخذوها عند شهوتها وإقبالها ، ودعوها عند فترتها
وإدبارها » .

قال أبو حاتم : الواجب على العاقل أن لا ينسى تعاهد قلبه بترك ورود
السبب الذي يُورث القساوة له عليه ؛ لأن بصلاح الملك تصلح الجنودُ ، وبفساده
تفسد الجنودُ ، فإذا اهتم بإحدى الخصلتين تجنّب أقربهما من هواء ، وتوَخَّى (١)
أبعدهما من الردى .

ولقد أحسن الذي يقول :

وإذا تشاجر في فؤادك مرّةً أمران ، فاعمدْ للأعفِّ الأجلِ
وإذا هممت بأمر سوء ، فاتنِّدْ وإذا هممتَ بأمر خير فافعلِ
أخبرنا بكر بن أحمد بن سعيد الطاحي بالبصرة ، حدثنا إبراهيم بن عزرة
الشامي عن مسعر بن كدام عن عون بن عبد الله قال : قال عمر بن الخطاب
« جالسوا التوابين ، فإنهم أرقُّ أفئدة » .

أخبرنا أبو يعلى حدثنا محمد بن عمرو بن جبلة حدثنا محمد بن مروان حدثنا
عطاء الأزرق قال : قال رجل للحسن « يا أبا سعيد ، كيف أنت ؟ وكيف حالك ؟

(١) توخى : قصد ، والردي : الهلاك .

قال: كيف حال من أمسى وأصبح ينتظر الموت، ولا يدري ما يصنع به.»

وأشدني منصور بن محمد الكرزي:

تخير قريناً من فعالك، إنما يزينُ الفتى في القبر ما كان يفعلُ
فإن كنت مشغولاً بشيء، فلا تكن بغير الذي يرزني به الله تُشغلُ
فلا بدَّ بعدَ القبرِ من أن تُعدهَ ليوم بنادى المرء فيه، فيسألُ
فلن يصحبَ الإنسان من قبل موته ولا بعده إلا الذي كان يعملُ
ألا إنما الإنسان ضيفٌ لأهله يُقيمُ قليلاً بينهم ثم يرحلُ

أخبرنا علي بن سعيد العسكري حدثنا إبراهيم بن الجعيد حدثنا محمد بن الحسين حدثنا إسماعيل بن زياد قال «قدم علينا عبد العزيز بن سليمان عبداً آن في بعض قدماه، فأتيناه نسلم عليه، فقال لنا: صفوا لنعلم قلوبكم، يكفكم المون عند همكم» ثم قال «لو خدمت مخلوقاً فأطلت خدمته، ألم يكن يرعي لخدمتك حرمة؟ فكيف بمن يُنعم عليك وأنت مُسيء إلى نفسك، تتقلب في نعمه، وتتعرض لغضبه؟ هيهات هيهات، همة البطالين، ليس لهذا خلقتم، ولا بدأ أمرتم، الك - كئيس رحمكم الله» وكان يفطر على ماء البحر.

قال أبو حاتم: لن تفسد القلوب من وجود الدرر فيها حتى تكون الهم في الله هما واحداً، فإذا كان كذلك كفي الهم في الهموم إلا الهم الذي يؤول متعبه^(١) إلى رضا الباري جل وعز، بلزوم تقوى الله في الخلوة والملا إذ هو أفضل راد العقلاء في دأريهم وأجل مطية الحكماء في حالهم.

وأشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الوسطي:

عليك بتقوى الله في كل أمره تجد غبه يوم الحساب المطول^(٢)

(١) متعبه - بضم الميم وفتح التاء والعين، وتشديد القاف مفتوحة - أراد

عاقبه.

(٢) الغيب بالكسر: عاقبة الشيء كالغلبة، بالفتح.

ألا إن تقوى الله خيرٌ مغبةً وأفضل زادٍ الطاعن المترحل
قال أبو حاتم: قد ذكرت هذا الباب بكامله بالعلل والحكايات في كتاب
محنة المبتدئين بما أرجو الغنية للناظر إذا ما تأملها ، فأغنى ذلك عن تكراره
في هذا الكتاب .

ذكر الحث على لزوم العلم والمداومة على طلبه

أخبرنا محمد بن إسحاق بن خزيمة حدثنا محمد بن يحيى ومحمد بن رافع قالوا :
حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش قال :
« أتيت صفوان بن عسال المرادي ، فقال : ما جاء بك ؟ قلت : جئت أنبئ
العلم ^(١) قال : فإني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من خارج
يخرج من بيته يطلب العلم إلا وضعت له الملائكة أجنحتها رِضًا بما يصنع » .
قال أبو حاتم : الواجب على العاقل إذا فرغ من إصلاح سيرته : أن يُدني
بطلب العلم والمداومة عليه ، إذ لا وصول للمرء إلى صفاء شيء من أسباب الدنيا
إلا بصفاء العلم فيه ، وحكمُ العاقل أن لا يُقصر في سلوك حالة توجب له بسط
الملائكة أجنحتها رِضًا بصنيعه ذلك .

ولا يجب أن يكون متأملًا في سعيه الدنو من السلاطين ، أو نوال الدنيا
به ، فما أقبح بالعالم التذلل لأهل الدنيا ! .

حدثنا محمد بن إبراهيم الخالدي حدثنا داود بن أحمد الدميأطي حدثنا
عبد الرحمن بن عَفَّان قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول « ما أقبح بالعالم
يؤتى إلى منزله ، فيقال : أين العالم ؟ فيقال : عند الأمير ، أين العالم ؟ فيقال :
عند القاضي ، ما للعالم وما للقاضي ؟ وما للعالم وما للأمير ؟ ينبغي للعالم أن يكون
في مسجده يقرأ في مصحفه » .

(١) نبط العلم : استخرجه ، والأصل فيه استنباط الماء من البئر ومحوه .

حدثنا أبو يعلى حدثنا غسان بن الربيع حدثنا سليم مولى الشعبي عن الشعبي قال « ياطلاب العلم ، لا تطلبوا العلم بسفاهة وطيش ، اطلبوه بسكينة ووقارٍ وِتْوَدَة » .

وأُشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

وفي العلم والإسلام للمرءِ وازع وفي ترك طاعاتِ الفؤادِ المتيمِّ
بصائرُ رُشدٍ للفتى مُستَيِّنة وإخلاص صدقِ علمها بالتعلمِ

أخبرنا إبراهيم بن نصر^(١) حدثنا عبد بن حميد حدثنا سعيد بن عامر عن حميد بن الأسود عن عيسى بن أبي عيسى الخياط قال : قال الشعبي « إنما كان يطلب هذا العلم من اجتمعت فيه خصلتان : العقل ، والنسك ، فإن كان عاقلاً ولم يك ناسكاً قيل : هذا أمر لا يناله إلا النساك ، فلم يطلبه ، وإن كان ناسكاً ولم يكن عاقلاً قيل : هذا أمر لا يناله إلا العقلاء ، فلم يطلبه » قال الشعبي : « فلقد رهبت أن يكون يطلبه اليوم من ليس فيه واحدة منهما ، لا عقل ولا نسك » .

قال أبو حاتم : العاقل لا يبيع حظ آخرته بما قصد في العلم لما يناله من حطام هذه الدنيا ؛ لأن العلم ليس القصد فيه نفسه دون غيره ؛ لأن المبتغى من الأشياء كلها نفعها لانفسها ، والعلم ونفس العلم شيان ، فمن أغضى عن نفعه لم ينتفع بنفسه ، وكان كالذي يأكل ولا يشبع ، والعلم له أول وآخر .

كما حدثنا أحمد بن علي بن المنثري حدثنا عمرو الناقد حدثنا يحيى بن الميан قال : سمعت سفيان يقول « أول العلم الإنصات ، ثم الاستماع ، ثم الحفظ ، ثم العمل به ، ثم النشر » وأُشدني الأبرش :

تعلّم فليس المرء يولد عالماً وليس أخو علم كمن هو جاهلٌ
وإن كبير القوم لاعلم عنده صغيرٌ إذا التفّت عليه المحافلُ

أخبرنا أبو يعلى حدثنا إسحاق بن إسماعيل الطالقاني حدثنا جرير عن
بُرْدِ بْنِ سَنان عن سليمان بن موسى قال : قال أبو الدرداء « لا تكون عالماً حتى
تكون متعلماً ، ولا تكون بالعلم عالماً حتى تكون به عاملاً » .

قال أبو حاتم : العاقل لا يشتغل في طلب العلم إلا وقصدُه العملُ به ؛ لأن
من سعى فيه لغير ما وصفنا ازداً فخرأً وتَجَبُّراً وللعمل تركاً وتضييعاً ، فيكون
فسادهُ في المتأسِّين به فيه أكثر من فساده في نفسه ، ويكون مثله كما قال الله
تعالى (١٦ : ٢٥) وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، أَلْسَاءٌ مَائِرُونَ)

أخبرنا محمد بن إبراهيم الخالدي حدثنا داود بن أحمد حدثنا عبد الرحمن
ابن عفان قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول « في جهنم أَرْحِيَةٌ تَطْحَنُ
العلماءَ طَحْنًا ، ثقيل : من هؤلاء ؟ قال : قوم علموا فلم يعملوا »

أخبرنا عبد الله بن محمد السعدي حدثنا محمد بن النضر بن مساور حدثنا جعفر
ابن سليمان عن مالك بن دينار قال « إذا طلب الرجل العلم ليعمل به سرَّه علمه ،
وإذا طلب العلم لغير أن يعمل به زاده علمه فخرأً »

أخبرنا محمد بن عمر بن سليمان حدثنا محمد بن رافع حدثنا محمد بن بشر حدثني
سلمة بن الخطاب عن عبد الحميد بن أبي جعفر الفراء قال : قال الحسن « مَنْ أَحَبَّ
الدنيا وسرته ذهب خوفُ الآخرة من قلبه ، ومن أراد علماً ثم ازداد على الدنيا
حرصاً لم يزد من الله إلا حسداً ، ولم يزد من الله إلا بغضاً »

أخبرنا محمد بن المنذر بن سعيد حدثني أحمد بن إبراهيم الخدثي حدثني إسماعيل
ابن الحارث حدثني محمد بن الحسن المديني حدثنا أبو العوام « أن إبراهيم سمع
صوت هاتف ، وهو يقول :

يا طالب العلم باشِرِ الورعاً ويا من النوم ، واهجر الشُّبُهَاتِ
ماضر عبداً صحت إرادته أجاع يوماً في الله أو شعباً

ماصر عبدا صحت عزائمہ أين من الأرض ، أينما صقعا (١)
ماطمعت نفس عابد فسوى سؤال قوم إلا لهم خضعاً
يأبئها الناس ، مال العالمكم في بحر ماء الملوك قد كرعاً (٢)
يأبئها الناس ، أنتم زرع يحصده الموت كلما طلعا
أخبرنا ابن سالم حدثنا الحسين بن عبد الرحمن الاحتياطي حدثنا يحيى بن الميثان
العجلي عن سفیان الثوري ، قال « العالم طيب الدين ، والدرهم داء الدين ، فإذا
اجتر الطيب الداء إلى نفسه ، فمتى يداوى غيره ؟ »

أشدني أحمد بن محمد الصنعاني أشدني محمد بن عبد الله العراقي :

عُنوا يطلبون العلم في كل بلدة شباباً ، فلما حصَّله وحشروا
وصحَّ لهم إسناده وأصوله وصاروا شيوخاً ضيعوه وأدبروا
ومالوا على الدنيا ، فهم يجلُّونها بأخلافها مفتوحها لا يُصرِّر (٣)
فبأهلها سوء ، أين عقولكم ؟ وأين الحديثُ المسند المتخَيَّر ؟
أخبرنا جعفر بن محمد الهمداني - بصور - حدثنا محمد بن عبد الله البعلبكي
قال : سمعت عمي محمد بن زيد قال « كنت مع ابن المبارك ببغداد ، فرأى إسماعيل
ابن عُديَّة راكباً بغلةً على باب السلطان ، فأنشأ يقول :

يا جاءل الدين له بازياً يصطاد أموال السلاطين
لاتبع الدين بدنيا ، كما بفعل ضلال الرهائين
احتلت للدنيا ولذاتها بحيلة تذهب بالدين
وصرت مجنوناً بها بعدما كنت دواء للمجانين

(١) أو « أينما وقع » والصقع : الوقوع على الأرض اليابسة المستحجرة

(٢) كرع من الماء : عب وشرب .

(٣) أخلاف : جمع خلف ، وهو ثدى الشاة ونحوها من كل حالب ، والتصرية :

جمع اللبن واختزانه في الضرع .

ففكر الناسُ جميعاً بأن زلَّ حمار العلم في الطين
أخبرنا عبدُ العزيز بن الحسن البرذعي حدثنا زكريا بن يحيى حدثنا أحمد بن
عبد الله التستري قال « لما ولى ابنُ عُلَيَّةَ صدقات الإبل والغنم بالبصرة ، كتب
إليه ابن المبارك كتاباً ، وكتب في أسفله :

يا جاعل الدين له بازياً يصطاد أموال المساكين
احتلت للدينا ولذاتها بجيلة تذهب بالدين
يا فاضح العلم ومن كان ذا لبٍّ ومن عاب السلاطين (١)
أين رواياتك في سردها عن ابن عون وابن سيرين ؟
وزاد غير أحمد بن عبد الله :

إن قلت : أكرهتُ ، فماذا كذا زلَّ حمار العلم في الطين
فلما قرأ ابن عُلَيَّةَ الكتاب بكى ، ثم كتب جوابه ، وكتب في أسفله :
أفٍ لدينا أبت تواتيني إلا بنقضى لها عرى ديني
عيني إحييني (٢) تدير مقلتها تطلب ماسرها لترديني

أخبرنا محمد بن علي الصيرفي بالبصرة حدثنا العباس بن الوليد النرسي حدثنا
وهيب عن أيوب عن أبي قلابة عن ابن مسعود قال «عليكم بالعلم قبل أن يقبضَ
وقبضه أن يذهب أصحابه ، وإنكم ستجدون أقواماً يزعمون أنهم يدعونكم إلى
كتاب الله ، وقد نبذوه وراء ظهورهم ، وعليكم بالعلم ، فإن أخذكم لا يدي متى
يفتقر ، أو يفتقر إليه عنده ؟ وعليكم بالعلم ، وإياكم والبدع ، وعليكم بالعتيق »
حدثنا محمد بن زنجوية القشيري حدثنا عمرو بن علي حدثنا أبو قتيبة حدثنا

(١) قد وقع هنا إقواء : قال في القاموس : أقوى في الشعر ، خالف في قوافيه
رفع بيت وجر آخر ، وقلت قصيدة لهم بلا إقواء ، وأما الإقواء بالنصب قليل اه
وقد تكرر في هذا الكتاب ، فينبغي أن يتنبه له .
(٢) الحين ، بالفتح : الموت والهلاك .

فرة بن خالد عن عون بن عبد الله قال : قال ابن مسعود « ليس العلم بكثرة الرواية ، إنما العلم الخشية » .

حدثني إسحاق بن إبراهيم القاضي ، حدثنا الحارث بن مسكين حدثنا ابن القاسم قال : سمعت مالكا يقول « ليس العلم بكثرة الرواية ، إنما العلم الخشية » قال أبو حاتم : الواجب على العاقل : مجانبة ما يدنس علمه من أسباب هذه الدنيا ، مع القصد في لزوم العمل بما قدرَ عليه ، ولو استعمال خمسة أحاديث من كل مائتي حديث ، فيكون كأنه قد أدى زكاة العلم ، فمن عجز عن العمل بما جمع من العلم فلا يجب أن يعجزَ عن حفظه .

ولقد أنبأنا ابن قحطبة حدثنا حسين بن محمد الكوفي قال : سمعت محمد ابن بشير الخزازي يقول :

أما لو أعى كل ما أسمعُ وأحفظ من ذاك ما أجمع
ولم أستفد غير ما قد جمع ت لقييل : هو العالم المنقح^(١)
ولكنّ نفسي إلى كل شيء من العلم تسمعه تنزع
وأحضر بالجهل في مجلسي وعلمي في الكتب مُستودع
فلا أنا أحفظ ما قد جمعت ولا أنا من جمعه أشبع
ومن يك في علمه هكذا يكن دهره التهقري يرجع
إذا لم تكن حافظاً واعياً فجمعك للكتب لا ينفع
وأنشدني محمد بن عبد الله المؤدب :

جامع العلم تراه أبداً غير ذي حفظ ولكن ذا غلط
وتراه حسن الخط إذا كتب الخط بصيراً بالنقط
فإذا قنشته عن علمه قال : علمي يا خليلي في السقط^(٢)

(١) شاهد منقح كمقعد : أي رضى يقنع به .

(٢) السقط - محرّكة كما في القاموس : كالجواقي ، أو كالتففة .

في كراريس جواد أحكمت وبخط أي خط أي خط
فإذا قلت له : هات لنا حكاً لحيته جميعاً وامتخط
أخبرنا محمد بن يعقوب الخطيب بالأهواز حدثنا حمص بن عمرو الرّبالي^(١)
حدثنا الحجاج بن نصير حدثنا عبد القدوس قال : سمعت وهب بن منبه
يقول « من تعلم علماً في حق وسنة : لم يذهب الله بعقله أبداً »
حدثنا عبد الله بن قحطبة حدثنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا المعتمر بن سليمان
قال « كتب إليّ أبي ، وأنا بالكوفة : اشتر الصحف ، واكتب العلم ؛ فإن المال
يفنى ، والعلم يبقى » .

حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا حبان بن موسى أنبأنا عبد الله بن المبارك
قال « كتب حكيم من الحكماء ثلاثين صحيفة حكيم ، فأوحى الله إليه : إنك قد
ملأت الأرض نفاقاً ، وإن الله لم يتقبل شيئاً من نفاقك » .

قال أبو حاتم : اقتناء المرء عمره بكثرة الأسفار ، ومباينة الأهل والأوطان في
طلب العلم دون العمل به ، أو الحفظ له ، ليس من شيم العقلاء ، ولا من زى
الألباء ، وإن من أجرد ما يستعين المرء به على الحفظ : الطبع الجيد ، مع الهمة
واجتناب المعاصي ، وأنشدني الأبرش :

نعم عون الفتى الطلّوب لعلم أو لبعض العقول صحة طبع
فإذا الطبع فاته بطل العا م وصار العناء في غير نفع
سمعت إبراهيم بن نصر العنبري يقول : سمعت علي بن خشرم يقول :
سمعت وكيعاً يقول « استعينوا على الحفظ بترك المعصية » .

قال أبو حاتم : يجب على العاقل أن لا يطلب من العلم إلا أفضله ، لأن
الازدياد من العلم آثر عند العاقل من الذكر بالعلم ، والعلم زين في الرخاء ، ومنجاة

(١) الربالي بالفتح ولام : نسبة إلى ربال اسم جده اه لباب الأنساب .

في الشدة ، ومن تعلم ازداد ، كما أن من حَلَم ساد ، وفضل العلم^(١) في غير خير مهلكة ، كما أن كثرة الأدب في غير رضوان الله موبقة ، والعاقل لا يسعى في فنونه إلا بما أجدى عليه نفعاً في الدارين معا ، وإذا رزق منه الحظ لا يبخل بالإفادة ، لأن أول بركة العلم الإفادة ، وما رأيتُ أحداً قط يبخل بالعلم إلا لم ينتفع بعلمه ، وكما لا ينتفع بالماء الساكن تحت الأرض ما لم ينبع ، ولا بالذهب الأحمر ما لم يستخرج من معدنه ، ولا باللؤلؤ النفيس ما لم يخرج من بحره ، كذلك لا ينتفع بالعلم مادام مكنونا لا ينشر ولا يفاد .

أنبأنا أحمد بن مضر الرباطي حدثنا محمد بن سهيل بن عسكر حدثنا أبو صالح الفراء قال : سمعت ابن المبارك يقول « من يبخل بالحديث يبتلئ بإحدى ثلاث : إما أن يموت فيذهب علمه ، أو ينسى ، أو يبتلئ بالسلطان » .

حدثنا أبو يعلى حدثنا إسحاق بن إسماعيل حدثنا جري ر عن برد عن سليمان ابن موسى قال : قال أبو الدرداء « الناس عالم ومتعلم ، ولا خير فيما بين ذلك » وأنشدني الكريزي :

أفد العلم ، ولا تبخل به وإلى علمك علماً فاستفد
استفد ما استطعت من علم وكن عاملاً بالعلم والناس أفد
من يقدم يحزه الله به وسيغني الله عن من لم يفد
ليس من نافس فيه عاجزاً إنما العاجز من لا يجتهد

حدثنا محمد بن إسحاق بن خزيمة حدثنا عمر بن حفص الشيباني حدثنا حماد ابن واقد عن هشام بن حسان عن الحسن قال « لأن يتعلم الرجل باباً من العلم فيعبد به ربه ، فهو خير له من أن لو كانت الدنيا من أولها إلى آخرها له ، فوضعها في الآخرة »

(١) أي : الفاضل والزائد من العلم عن الحاجة

قال أبو حاتم: قد ذكرت أسباب المتعلمين وأخلاق العلماء بعلها في كتاب «العالم والمتعلم»، بما أرجو أن يكون فيه غنية لمن أراد الوقوف على معرفتها فأغني ذلك عن التكرار؛ لأننا شرطنا في هذا الكتاب الاختصار، كراهية سلوك التطويل، والإشارة إلى قصد نفس التحصيل.

ذكر الحث على لزوم الصمت وحفظ اللسان

أخبرنا حامد بن محمد بن شعيب البلخي - ببغداد - حدثنا منصور بن أبي مزاحم حدثنا أبو الأحوص عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت».

قال أبو حاتم: الواجب على العاقل إذا ذكر المطيبتين - اللتين ذكرتهما قبل إصلاح السريرة ولزوم العلم: أن يبلغ مجهوده حيثئذ في حفظ اللسان حتى يستقيم له، إذ اللسان هو الموردُّ للهرء موارد العطب. والصمتُ يكسب المحبة والوقار، ومن حفظ لسانه أراح نفسه، والرجوع من الصمت أحسن من الرجوع عن الكلام، والصمت منام العقل، والمنطق يقظته.

حدثنا محمد بن زنجويه حدثنا عبد الأعلى بن حماد حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن لقمان قال «إن من الحكم الصمت، وقليل فأعله».

وأنشدني الكريزي.

أقلل كلامك واستعد من شره	إن البلاء يبعثه مقرون ^(١)
واحفظ لسانك واحتفظ من غيئه	حتى يكون كأنه مسجون
وكل فؤادك باللسان، وقل له	إن الكلام عليك موزون
فزنانه وليك محكما ذا قيلة	إن البلاغة في القليل تكون

أخبرنا ابن قتيبة حدثنا جعفر بن نوح حدثنا محمد بن عيسى بن الطباع قال:

(١) عجز هذا البيت من قولهم في مثل «إن البلاء موكل بالمنطق».

سمعت مالك بن أنس يقول « كل شيء ينتفع بفضله^(١) إلا الكلام فإن فضله يضر^ر » .

أخبرنا القطان حدثنا أحمد بن أبي الحواري حدثنا مروان بن محمد عن سعيد ابن عبد العزيز قال : قال أبو الدرداء « لا خير في الحياة إلا لأحد رجلين : مُنصتٍ واع ، أو متكلم عالم » .

قال أبو حاتم : الواجب على العاقل أن لا يغالب الناس على كلامهم ، ولا يعترض عليهم فيه ؛ لأن الكلام وإن كان في وقته حظوةً جليلة فإن الصمت في وقته مرتبة عالية ، ومن جهل بالصمت عي بالمنطق^(١) والإنسان إنما هو صورة ممثلة أو صالحة مهملة ، لولا اللسان ، والله جل وعز رفع جارحة اللسان على سائر الجوارح ، فليس منها شيء أعظم أجراً منه إذا أطاع ، ولا أعظم ذنباً منه إذا جنى .

وأنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي .

لئن كان يجنى اللوم ما أنت قائل ولم يك منه النفع فالصمت أيسرُ
فلا تبدِ قولاً من لسانك لم يرُضْ مواقعه من قبل^ه ذلك التفكرُ
أخبرنا ابن قتيبة حدثنا هرون بن محمد البكار قال : سمعت أبا مسهر ينشد
هذا البيت :

قد أرى كثرة الكلام قبيحاً كلُّ قول يشينه إلا كثارُ
أخبرنا محمد بن سعيد القزاز حدثني محمد بن داود بن سليمان الرملي حدثنا
المسيب بن واضح قال : سمعت ابن المبارك يقول :

تعاهد لسانك إن اللسان سريع إلى المرء في قتله
وهذا اللسان بريء الفؤاد يدلُّ الرجال على عقله

(١) الفضل ههنا : الزيادة

(٢) أي من وصفه الناس بالجهل لصمته كان منطقته عيا

أخبرنا محمد بن سليمان بن فارس حدثنا محمد بن علي الشقيقي أنبأنا إبراهيم بن الأشعث قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول « شيطان يقسيان القلب : كثرة الكلام ، وكثرة الأكل »

أخبرنا أبو يعلى حدثنا عمرو بن محمد الناقد قال : سمعت يحيى بن اليمان يقول : قال سفیان الثوري : « أول العبادة الصمت ، ثم طلب العلم ، ثم العمل به ، ثم حفظه ، ثم نشره »

حدثنا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا الغلابي حدثنا العتبي عن علي بن جرير عن أبيه قال : قال الأحنف بن قيس « الصمت أمان من تحريف اللفظ ، وعصمة من زيغ المنطق ، وسلامة من فضول القول ، وهيبة لصاحبه »
قال أبو حاتم : الواجب على العاقل أن يلزم الصمت إلى أن يلزمه التكلم ، فما أكثر من ندم إذا نطق ، وأقل من يندم إذا سكت ، وأطول الناس شقاء وأعظمهم بلاء من ابتلى بلسان مطلق ، وفؤاد مطبق .

واللسان فيه عشر خصال يجب على العاقل أن يعرفها ، ويضع كل خصلة منها في موضعها : هو أداة يظهر بها البيان ، وشاهد يخبر عن الضمير ، وناطق يرد به الجواب ، وحاكم يفصل به الخطاب ، وشافع تدرك به الحاجات ، وواصف تعرف به الأشياء ، وحاصد تذهب الضغينة ، ونازع يجذب المودة ، ومُسَلِّ يدكي القلوب ومُعزِّ ترد به الأحزان .

ولقد أحسن الذي يقول :

إن كان يعجبك السكوت فإنه قد كان يعجب قلبك الأخيارا
ولئن ندمت على سكوت مرة فلقد ندمت على الكلام مرارا
إن السكوت سلامة ، ولربما زرع الكلام عدوة وضرارا
وإذا تقرب خاسر من خاسر زادنا بذلك خسارة وتبارا^(١)

(١) التبار : الهلاك .

أخبرنا محمد بن المنذر بن سعيد حدثنا كثير بن عبد الله التيمي حدثنا الغلاء ابن سعيد الكندي حدثني أبو جحيفة قال « كنت أماشي إسماعيل بن سهيل ، وكان أحد الحكماء ، فقال لي : ألا أخبرك ببيت شعر خير لك من عشرة آلاف درهم ؟ قال : نعم . قال : أيما أحب إليك : نفسك أو عشرة آلاف درهم ؟ قال : قلت : نفسي ، فأنشأ يقول :

أخفض الصوت إن نطقت بليل والتفت بالنهار قبل المقال
قال أبو حاتم : الواجب على العاقل أن يكون ناطقا كعبي وعالما كجاهل ،
وساكتا كناطق ؛ لأن الكلام لا بد له من الجواب والجواب لو جعل له جواب
لم يكن للقول نهاية ، وخرج المرء إلى ما ليس له غاية ، والمتكلم لا يسلم من أن
ينسب إليه ^(١) الصلف والتكلف ، والصامت لا يلقى به إلا الوقار وحسن السميت .
ولقد أحسن الذي يقول :

حَتَفَ امرئ لسانه في جِدِّه أو لعبه
بين اللها مقتله رُكِبَ في مركبه ^(٢)

أخبرنا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا الغلابي حدثنا ابن عائشة حدثنا دريد ابن مجاشع عن غالب القطان عن مالك بن دينار عن الأحنف بن قيس قال : قال عمر بن الخطاب « يا أحنف ، مَنْ كَثَرَ كَلَامَهُ كَثَرَ سَقَطُهُ ، وَمَنْ كَثَرَ سَقَطَهُ قَلَّ حَيَاؤُهُ ، وَمَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ ، وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ »
وأنشدني الأبرش :

مَادَلَّ ذُو صَمْتٍ ، وَمَا مِنْ مَكْتَرٍ إِلَّا يَزِلُّ ، وَمَا يُعَابُ صَمَوْتُ
إِنْ كَانَ مَنْطِقُ نَاطِقٍ مِنْ فَضَّةٍ فَالصَّمْتُ دُرٌّ زَانَهُ الْيَاقُوتُ

(١) الصلف : الكبر

(٢) اللها : جمع لهاة ، وهي لحمة في سقف الحلق ، أي حنقه وهلاكه في لسانه

وهو مما ينسب إليه صلى الله عليه وسلم « مقتل المرء بين فكيه »

أنيابنا ابن قتيبة حدثنا المسيب بن واضح قال: سمعت علي بن بكر يقول
« جعل الله لكل شيء بايين ، وجعل للسان أربعة : الشفتين مصراعين
والأسنان مصراعين »

أنيابنا بكر بن أحمد بن سعيد الطاحي بالبصرة حدثنا نصر بن علي الجهضمو
أنيابنا محمد بن يزيد بن خنيس عن وهيب بن الورد « أن شابا كان يحضر مجلس
عمر بن الخطاب ، ويحسن الاستماع ، ثم ينصرف من قبل أن يتكلم ، ففطن له
عمر ، فقال له : إنك تحضر مجلسنا ، وتحسن الاستماع ، ثم تنصرف من قبل أن
تتكلم ، فقال الشاب : إني أحضر فأتوقى وأتقي ، وأصمت فأسلم »

قال أبو حاتم - رضي الله عنه : - الواجب على العاقل أن ينصف أذنيه من
فيه ، ويعلم أنه إنما جعلت له أذنان وفم واحد ليسمع أكثر مما يقول ، لأنه إذا
قال ربما ندم ، وإن لم يقل لم يندم ، وهو على رد ما لم يقل أقدر منه على رد
ما قال ، والكلمة إذا تكلم بها ملكته ، وإن لم يتكلم بها ملكها ، والعجب
من يتكلم بالكلمة ، إن هي رفعت ربما ضرته ، وإن لم ترفع لم تضره ، كيف
لا يصمت ؟ ورُبَّ كلمة سلبت نعمة ! »

أخبرنا أحمد بن قريش بن عبد العزيز حدثنا إبراهيم بن علي الذهلي قال :
أنشدني رجل من ربيعة :

لعمرك ما شيء علمت مكانه	أحق بسجن من لسان مدلل
على فيك مما ليس يعنك شأنه	بقفل وثيق ما استطعت فأقفل
فربَّ كلام قد جرى من مآزح	فساق إليه سهم حنفت معجل
وللصمت خير من كلام بمآثم	فكن صامتا تسلم ، وإن قلت فأعدل

أخبرنا أبو يعلى حدثنا إسحاق بن إسماعيل حدثنا جرير عن برد عن سليمان
ابن موسى قال : قال أبو الدرداء « كفى بك ظلما أن لا تزال محاصما ، وكفى بك

آثماً أن لا تزال مमारياً ، وكفى بك كاذباً أن لا تزال محدثاً ، إلا حديثاً في ذات الله تبارك وتعالى »

أخبرنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا معروف بن الحسن الكنتاني حدثنا كثير ابن هشام عن عيسى بن إبراهيم عن سعيد بن أبي سعيد عن كعب قال « العافية عشرة أجزاء ، تسعة منها في السكوت »

أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا يحيى القطان عن شعبة قال « من الناس من عقله بفنائه ، ومنهم من عقله معه ، ومنهم من لا عقل له ، فأما الذي عقله معه فالذي يبصر ما يخرج منه قبل أن يتكلم ، وأما الذي عقله بفنائه فالذي يبصر ما يخرج بعد أن يتكلم . ومنهم من لا عقل له ، فحدثت به عبد الرحمن بن مهدي بعد ما رجعنا من عند يحيى ، فقال : هذه صفتنا ، يعنى الذى عقله بفنائه ، واستحسن الكلام ، وقال : لا ينبغي أن يكون هذا من كلام شعبية ، لعله سمعه من غيره »

وأنشدنى البغدادى محمد بن عبد الله بن زنجى :

أنت من الصمت آمن الزلل^(١) ومن كثير الكلام فى وجل^(٢)
لا تنقل القول ثم تتبعه ياليت ما كنت قلت لم أقل

سمعت محمد بن المسيب يقول : سمعت العباس بن الوليد بن زيد يقول : سمعت أبي يقول : سمعت الأوزاعي يقول « ما بلى أحد في دينه ببلاء أضر عليه من طلاقة لسانه »

سمعت محمد بن محمود النسائي يقول : سمعت أبا أحمد بن أبي قديد يقول : سمعت العباس بن عبد العظيم يقول : سمعت عارماً يقول : سمعت خالد بن الحارث يقول « السكوت زين للعاقل ، وشين للجاهل »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لو لم يكن فى الصمت خصلة محمد ، إلا ترين

(١) الزلل : السقوط ، والوجل : الخوف ، وكلاهما بفتح أوله وثانيه .

العاقل وتُشِين الجاهل به - كان الواجب على المرء أن لا يفارقه الصمتُ ما وجد إليه سبيلاً ، وَمَنْ أَحَبَّ السَّلامه من الأثام فليقل ما يقبل منه ، وليقل مما يقبل منه ، لانه لا يجترىء على الكلام الكثير إلا فائق أو مائق (١) ،

وقد ترك جماعة من أهل العلم حديث أقوام أكثروا الكلام فيما لا يبيح بهم . من ذلك : ما حدثنا به محمد بن الحسن بن مكرم بالبصرة حدثنا عمرو بن علي حدثنا أمية بن خالد عن سعيد قال : قلت للحكم : مالك لا تكتب عن زاذان ؟ قال : كان كثير الكلام .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لسان العاقل يكون وراء قلبه ، فإذا أراد القول رجع إلى القلب ، فإن كان له قال ، وإلا فلا ، والجاهل قلبه في طرف لسانه ، ما أتى على لسانه تكلم به ، وما عمّل دينه من لم يحفظ لسانه .
واللسان إذا صلح تبين ذلك على الأعضاء ، وإذا فسد فكذلك .

أخبرنا محمد بن عبيد الله بن الجنيد حدثنا عبيد الوارث بن عبيد الله عن عبد الله أنبأنا سفيان عن رجل قال « إني لأكذب الكذبة فأعرفها في عملي » أنبأنا أبو عوانة يعقوب بن إبراهيم بن إسحاق حدثنا الفضل بن عبد الجبار حدثنا أبو إسحاق الطالقاني عن الوليد بن مسلم قال : قال الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير أنه قال « ما صلح منطق رجل إلا عرف ذلك في سائر عمله » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : والعاقل لا يبتدىء الكلام إلا أن يسأل ولا يقول إلا لمن يقبل ، ولا يجيب إذا شتم ، ولا يجازى إذا أسمع ؛ لأن الابتداء بالصمت وإن كان حسناً ، فإن السكوت عند التبيح أحسن منه «

(١) الفائق : المتفوق على المدرة على حسن التأتى واتقاء القول من واسع ما علم . فهذا يقدم على الكلام واتقاً مثبتاً فيفيد . والمائق : الأحمق السفه الذى لا يهمنه أن يلقى بنفسه فى كل ورطة ، وأن يزوج نفسه فى كل بلية لاخلص له منها لأنه لا يقدر العواقب ، ويفكر فى المصائر .

وأشدنى المنتصر بن بلال بن المنتصر الأنصارى :

الصمت عند القبيح يسمعه صاحبُ صدقٍ لكل مصطحبِ
فأثر الصمت ما استطعت ، فقد يُؤثرُ قول الحكيم في الكتب
لو كان بعضُ الكلام من ورق لكان جُلُّ السكوت من ذهب

أخبرنا بكر بن محمد بن عبد الوهاب القزاز حدثنا إسماعيل بن إبراهيم أبو بشر حدثنا أبي حدثنا المبارك بن فضالة عن المغيرة بن مسلم الهجيمي عن أسير ابن جابر قال « ما رضعت عزراً قط ، ولو قلت : لا أرضعها خفت أن يصير بي البلاء إلى أن أرضعها ، إن البلاء مُوكَّل بالقول »

وأشدنى الكريزى :

استر العي ما استطعت بصمت إن في الصمت راحةً للصموتِ
واجعل الصمت إن عييت جواباً رب قول جوابه في السكوت

وأبانا محمد بن المنذر حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن منصور حدثنا عبد الرحمن ابن مهدي حدثنا سفیان عن يزيد بن حيان عن عيسى بن عقبة قال : سمعت ابن مسعود يقول « والله الذى لا إله غيره ، ماشىء أحق بطول سجن من لسان » قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يحفظ أحواله من ورود الخلل عليها في الأوقات ، وإن من أعظم الخلل المفسد لصحة السرائر والمذهب لصلاح الضمائر : الإكثار من الكلام ، وإن أبيض له كثرة النطق ، ولا سبيل للمرء إلى رعايا الصمت إلا بترك ما أبيض له من النطق .

كما أبانا الحسن بن سفیان حدثنا حبان بن موسى حدثنا عبد الله عن سفیان عن نسير بن دعلوق عن إبراهيم التيمى أخبرنى من صحب الربيع بن خثيم عشرين عاماً فلم يسمع منه كلمة تعاب .

أبانا الجيندى حدثنا عبد الوارث بن عبيد الله عن عبد الله أبانا سفیان

عن أبي طعمة عن رجل من الحى قال : أتيت الربيع بن خثيم بنمى (١) الحسين .
وقالوا : اليوم يتكلم مقالة ، فتأوه ومدَّ بها صوته ، ثم قال : اللهم فاطر السموات
والأرض عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك بالحق فيما كانوا فيه
يختلفون .

أبنا عمرو بن محمد الأنصارى حدثنا الغلابى حدثنا إبراهيم بن عمرو بن
حبيب حدثنا الأصمعى قال « بينا أنا أطوف بالبادية إذا أنا بأعرابية تمشى وحدها
على بعير لها ، فقلت : يا أمة الجبار من تطلين ؟ فقلت : من يهد الله فلا مضل له
ومن يضل فلا هادى له ، قال : فعلت أنها قد أضلت أصحابها ، فقلت لها : كأنك
قد أضلت أصحابك ؟ قالت : ففهمناها سليمان ، وكلاً آتينا حكماً وعلماً ، فقلت
لها : يا هذه من أين أنت ؟ قالت : سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد
الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله ، فعلت أنها مقدسية ، فقلت لها :
كيف لا تتكلمين ؟ فقلت : ما يلفظ من قولٍ إلأى رقيبٍ عتيد ، فقال بعض
أصحابى : ينبغى أن تكون هذه من الخوارج ، فقلت : ولا تنف ما ليس لك
به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً ، فبينما نحن نمشيها
إذ رفعت لنا قباب وخيم ، فقلت : وعلامات وبالنجم هم يهتدون ، قال : فلم أظن
لقولها ، فقلت : ماتقولين ؟ فقلت : وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال
يا بشرى هذا غلام ، قلت : بمن أصوت وبمن أدعو ؟ فقلت : يا يحيى خذ
الكتاب بقوة ، يا زكريا إنا نبشرك ، يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض ،
قال : فإذا نحن بثلاثة أخوة كاللآلىء ، فقالوا : أمنا ورب الكعبة أضلناها منذ
ثلاث ، فقلت : الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور ، فأومأت
إلى أحدهم فقلت : فابعثوا أحديكم بورقكم هذه الى المدينة ، فلينظر أيها أزكى
طعاماً فليأتكم برزق منه ، فقلت : إنها أمرتهم أن يرودونا ، فجاءوا بخبز وكحك ،

(١) النعى - بفتح النون وكسر العين - الخبر بالموت .

فقلت : لا حاجة لنا في ذلك ، فقلت للفنية : من هذه منكم ؟ قالوا : هذه أمتنا ، ما تكلمت منذ أربعين سنة إلا من كتاب الله مخافة الكذب ، فذوت منها ، فقلت : يا أمة الله ، أوصني ، فقالت : ما أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى ، فعلمت أنها شيعية^(١) ، فانصرفت »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد ذكرت ما شاكل هذه الحكايات في كتاب حفظ اللسان فأغنى ذلك عن تكرارها في هذا الكتاب .

فالواجب على العاقل أن يروض نفسه على ترك ما أبيح له من النطق ، نثلا بغير في المزجورات ، فيكون حنثه فيما يخرج منه ؛ لأن الكلام إذا كثر منه أورت صاحبه التلذذ بصد الطاعات ، فإذا لم يوفق العبد لاستعمال اللسان فيما يجدي عليه نفعه في الآخرة ، كان وجود الإمساك عن السوء أولى به .

وأشدنى المنتصر بن بلال الأنصارى :

وإن يَهْلِكَ الإنسان إلا إذا أتى من الأمر ما لم يرضه نصحاؤه
وأقلل إذا ما قلت قولاً ، فإنه إذا قلَّ قول المرء قلَّ خطأؤه

أنبأنا محمد بن الحسين بن الخليل حدثنا عبد الله بن أبي زياد القَطَوَانِي حدثنا سيار حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا المعلى بن زياد قال : قال مُورِقُ العِجَلِي « أمر أنا في طلبه منذ عشر سنين ، ولست بتارك طلبه : قال : وما هو بأبا العتَمِر ؟ قال : اصمت عما لا يعنيني » .

أنبأنا إبراهيم بن نصر العبدي حدثنا علي بن الأزهر الرازي حدثنا إبراهيم

(١) إن صحت - فلها مقصد غير ما فهم : وهي إما توصيه أن يقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان يؤذيه أهله ، وهو يبرهم ويحسن إليهم ، ويبلغهم رسالة ربه ، رجاء نجاتهم من عذاب الله . ورجاء سعادتهم في الدنيا والآخرة ، لما كان بينهم وبينه من القربى .

ابن رستم قال : سمعت خارجة يقول « صحبت عبد الله بن عون خمس عشرة سنة
فما أظن الملائكة كتبت عليه شيئاً » .

ذكر الحث على لزوم الصدق ومجانبة الكذب

أخبرني أحمد بن محمد بن حبيب الجنيدي قال : حدثنا حميد بن زنجويه
حدثنا محاسن بن المودع حدثنا الأعمش عن أبي سفيان قال : قال عبد الله ، قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم « عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدي إلى البر ،
وإن البر يهدي إلى الجنة ، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب له أجرًا ، وإن الرجل
يكذب حتى يكتب له حسبة ، وإن النار إنما يوقها الصدق ، وإن الصدق يهدي إلى
النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن الله جل وعلا فضل اللسان على سائر
الجوارح ، ورفع درجته ، وأبان فضيلته ، بأن أنطقه من بين سائر الجوارح
بتوحيده ، فلا يجب للعاقل أن يعود آلة خلقها الله للنطق بتوحيده بالكذب ،
بل يجب عليه المداومة برعايته بلزوم الصدق ، وما يعود عليه نفعه في داريه ،
لأن اللسان يقتضى ما عود : إن صدقاً فصدقاً ، وإن كذباً فكذباً .

ولقد أحسن الذي يقول :

عود لسانك قول الخير تحفظ به إن اللسان لما عودت معتاد
مركل بتقاضى ماسنت له فاختر لنفسك ، وانظر كيف ترتاد

أخبرنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا الفضل بن العباس البغدادي حدثنا الهيثم
بن خارجة حدثنا الهيثم بن عمران قال : سمعت إسماعيل بن عبيد الله يقول :
« كان عبد الملك بن مروان يأمرني أن أجنب بنه السمن ، وكان يأمرني أن
لا أطعم طعاماً حتى يخرجوا إلى البراز ، وكان يقول : علم بني الصدق كما تعلمهم
القرآن ، وجنبهم الكذب ، وإن فيه كذا وكذا يعني القتل » .

وأنشدني الأبرش :

الكذب مُرديك ، وإن لم تخف والصدقُ منجيك على كل حال فانطق بما شئت تجد غيبه لم تبتخس وزنة مقال (١)

أخبرنا أبو يعلى حدثنا أبو خيثمة حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سليم ابن حيان عن قتادة عن حميد بن عبد الرحمن الحميري أن عمر بن الخطاب قال « إن أبا بكر قام فينا عام أول ، فقال : إنه لم يقسم بين الناس شيء أفضل من المعافاة بعد اليقين ، ألا إن الصدق والبر في الجنة ، ألا وإن الكذب والفجور في النار » أخبرنا أبو خليفة حدثنا أبو الوليد الطيالسي حدثنا عكرمة بن عمار حدثني طيسلة بن علي البهذلي قال « كنت مع ابن عمر يوماً في أصول الأراك يوم عرفة ، وبين يديه رجل من أهل العراق ، فقال له الرجل : يا ابن المنافق ، قال : المنافق ، - ويحك ! - الذي إذا حدث كذب ، وإذا وعد لم ينبجز ، وإذا أوتن لم يؤد » سمعت أحمد بن محمد بن الأزهر يقول : سمعت محمد بن خلف بن أبي الأزهر يقول : سمعت الفضيل بن عياض يقول « مامن مضعفة أحب إلى الله من لسان صدوق ، وما من مضعفة أبغض إلى الله من لسان كذوب » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : كل شيء يستعار ليتجمل به سهل وجوده ، خلا اللسان ، فإنه لا ينبىء الا عما عود ، والصدق ينبجى والكذب يُردى ، ومن غلب لسانه أمره قومه ، ومن أكثر الكذب لم يترك لنفسه شيئاً يصدق به ، ولا يكذب إلا من هانت عليه نفسه .

حدثنا أحمد بن محمد بن زنجويه حدثنا جعفر بن أبي عثمان الطيالسي حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا أنس بن عياض عن صالح بن حسان عن محمد بن كعب القرظي قال « إنما يكذب الكاذب من مهانة نفسه » وأشدنى الكريزي :

كذبت ، ومن يكذب فإن جزاءه إذا ما أتى بالصدق أن لا يُصدقا
إذا عرف الكذاب بالكذب لم يزل ، لدى الناس كذابا ، وإن كان صادقا
ومن آفة الكذاب نسيان كذبه وتلقاه إذا فقهه إذا كان حاذقا

(١) غب الشيء : عاقبته ، ولم تبتخس : معناه لم تنقص .

قال أبو حاتم : لو لم يكن للكذب من الشين إلا إنزاله صاحبه بحيث ان صدق لم يصدق ، لكان الواجب على الخلق كافة لزوم التثبت بالصدق الدائم ، وإن من آفة الكذب أن يكون صاحبه نسياً ، فإذا كان كذلك كان كالمنادى على نفسه بالخزى في كل لحظة وطرفة .

سمعت أحمد بن محمد بن الأزهر يقول : سمعت نصر بن علي الجهضمي يقول : « إن الله أعاننا على الكذابين بالنسيان » وأنشدني محمد بن عبد الله البغدادي :
إذا ما المرء أخطأه ثلاث فبعه ، ولو بكف من رَماد
سلامة صدره ، واسدق منه ، وكتان السرائر في الفؤاد

أنبأنا بكر بن أحمد الطاحي بالبصرة حدثنا إبراهيم بن عزرة حدثنا سفيان ابن عيينة عن معمر قال : قال الزهري « لو رأيت طاووساً لعلمت أنه لا يكذب » قال أبو حاتم رضي الله عنه : اللسان سبع عقور ، ان ضبطه صاحبه سلم ، وإن خلى عنه عقره ، وبغمه يفتضح الكذب ، فالعاقل لا يشتغل بالخوض فيما لا يعلم فيتهم فيما يعلم ؛ لأن رأس الذنوب الكذب ، وهو يبدى الفضاخ ويكتم المحاسن ، ولا يجب على المرء إذا سمع شيئاً يعيبه أن يحدث به لأن من حدث عن كل شيء أزرى برأيه ، وأفسد صدقه .

وقد أنبأنا أبو خليفة حدثنا ابن كثير أنبأنا سفيان الثوري عن أبي إسحاق عن الأحوص عن عبد الله قال « حسب المؤمن من الكذب أن يحدث بكل ماسع » .

أنبأنا الحسن بن سفيان ، حدثنا حبان بن موسى ، أنبأنا عبد الله ، أنبأنا سفيان عن منصور عن سالم بن أبي الجعد قال قال عيسى بن مريم عليه السلام « طوبى لمن خزن لسانه ، ووسع بيته ، وبكى على خطيئته » .

أنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

وإذا الأمور تزوجت فالصدق أكرمها نتاجا

الصدق يعقد فوق رأ س حليفه بالصدق تاجا
والصدق يقده زنده في كل ناحية سراجا
أبناء القطان بالرقه حدثنا نوح بن حبيب حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن
منصور عن ربي قالوا « من ذكرت يا أبا سفيان ؟ قال : ذكرت ربعا ،
وتدرون من كان ربي ؟ كان رجلا من أشجع زعم قومه أنه لم يكذب قط ،
فسعى به ساع إلى الحجاج ، فقال : هاهنا رجل من أشجع ، زعم قومه أنه لم
يكذب قط ، وأنه يكذب لك اليوم ، فإنك ضربت على ابنيه البعث فعصيا ،
وهما في البيت ، وكان عقوبة الحجاج للعاصي ضرب السيف ، قال : فدعاه ، فإذا
شيخ منحن ، فقال له : أنت ربي ؟ قال : نعم ، قال : ما فعل ابنك ؟ قال : هاهما
ذان في البيت ، قال : خمله وكساه وأوصى به خيرا » .

أبناء عمرو بن محمد حدثنا الغلابي حدثنا عبيد الله بن محمد التيمي عن أبيه
قال « كان عمر بن الخطاب بمنى فعمطش ، فاتمى إلى مجور ، فاستسقاها ماء .
فقال : ما عندنا ، فقال : لنا ، فقالت : ما عندنا ، فبدرت جارية ، فقالت
لها : تكذبين وما تستحين ؟ ثم قالت لعمر : هذا السقاء فيه لبن ، فسأل عمر عن
الجارية فإذا أبوها تقي فخطبها على عاصم بن عمر ، فزوجها منه ، فولد له منها
أم عاصم ، فتزوجها عبد العزيز بن مروان ، فولدت له عمر بن عبد العزيز بن
مروان ، رحمة الله عليه ! » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الصدق يرفع المرء في الدارين ، كما أن الكذب
يهوى به في الحالين ، ولو لم يكن الصدق خصلة تحمد إلا أن المرء إذا عرف به
قبل كذبه ، وصار صدقا عند من يسمعه - لكان الواجب على العاقل أن يبلغ
مجهوده في رياضة لسانه ، حتى يستقيم له على الصدق ومجانبة الكذب والعيا
في بعض الأوقات خير من النطق ، لأن كل كلام أخطأ صاحبه موضعه فالعيا
خير منه .

أنشدني المنتصر بن بلال :

تحدث بصدق إن تحدثت ، وليكن لكل حديث من حديثك حين
فما القول إلا كالثياب ، فبعضها عليك ، وبعض في التخوت مصون^(١)
وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

كم من حبيب كريم كان ذا شرف
قد شانه الكذب وسط الحى إن عمدا
وأخبر ، كان صعلوكا ، فشرّفه

صدق الحديث وقول جانب الفندأ
فصار هذا شريفا فوق صاحبه
وصار هذا وضيعاً تحته أبدا

أنبأنا أبو خليفة حدثنا محمد بن كثير ، أنبأنا سفيان الثوري عن حبيب بن
أبي ثابت ، عن ميمون بن أبي شبيب ، قال : قال عمر « لا يجد عبد حقيقة الإيمان
حتى يدع المرء وهو محقّ ، ويدع الكذب في المزاح وهو يرى أنه لو شاء
لغلب » .

أنبأنا ابن سعيد القزاز ، حدثني يوسف بن سعيد بن مسلم حدثنا علي بن بكار
عن يونس بن عبيد ، عن حميد بن هلال ، عن عبد الله بن عمرو قال : « ذر
مالست منه في شيء ، ولا تنطق فيما لا يعينك ، واخزن لسانك كما تحزن دراهمك »
وأنشدني محمد بن المنذر بن سعيد الهروي :

القول كاللبن المحلوب ، ليس له ردّ وكيف يردّ الحالب اللبن ؟
في ضرعه ، وكذلك القول ليس له في الجوف ردّ قبيحاً كان أو حسناً
قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل ترك الإغضاء عن تعهد
اللسان ، لأن من أكثر كلامه أكثر سقطه ، والسقط ربما تعدى غيره فيهلكه

(١) التخوت : جمع تخت ، وهو كل ما يحفظ فيه الثياب

في ورطة لا حيلة له في التخلص منها ، لأن اللسان لا يندمل جرحه ولا يلتئم ما قطع به ، وكلمة القول إذا وصل إلى القلب لم ينزع إلا بعد مدة طويلة ، ولم يستخرج إلا بعد حيلة شديدة ، ومن الناس من لا يُكْرَم إلا للسانه ، ولا يهان إلا به ، فالواجب على العاقل أن لا يكون ممن يهان به .

أنبأنا عبد الله بن محمد الأنماطي الهمداني ، حدثنا محمد بن عمير ، حدثنا عبد الله بن الحسين العقيلي ، حدثنا أبو سلمة الخزازي ، حدثنا شبيب بن شبة ، قال : سمعت ابن سيرين يقول « الكلام أوسع من أن يكذب فيه ظريف »

ذكر الحث على لزوم الحياء وترك القحة^(١)

أنبأنا الفضيل بن الحباب الجحفي ، حدثنا القعنبى عن شعبة عن منصور ، عن ربيع ، عن ابن مسعود : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستح فاصنع ما شئت » . قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لزوم الحياء ، لأنه أصل العقل وبذر الخير ، وتركه أصل الجهل وبذر الشر ، والحياء يدل على العقل كما أن عدمه دال على الجهل ، ومن لم ينصف الناس منه حياؤه ، لم ينصفه منهم قحته ، ولقد أحسن الذى يقول :

وليس بمنسوب إلى العلم والنهى
فواحدة : تقوى الإله التى بها
وثانية : صدق الحياء فإنه
وثالثة : حلم إذا الجهل أطلعت
ورابعة : جود بملك يمينه
فتى لأترى فيه خلأق أربع
يُنال جسيم الخير والفضل أجمع
طباع عليه ذو المروءة يطبع
إليه خبايا من فجور تسرع
إذا نابه الحق الذى ليس يدفع

وأشدى محمد بن عبد الله البغدادي :

(١) القحة - بكسر القاف وفتحها - مصدر قولهم . وقع الرجل - بالضم - إذا قل حياؤه

إذا قلَّ ماء الوجه قلَّ حياؤه فلا خير في وجه إذا قلَّ ماؤه
حياؤه فاحفظه عليك ، فإنما يدل على وجه الكريم حياؤه
أنبأنا أبو خليفة حدثنا ابن كثير حدثنا سفيان الثوري عن أبي إسحاق عن
أبي الأحوص عن عبد الله قال « الأم شيء في المؤمن الفحش » .
قال أبو حاتم رضى الله عنه : الحياء اسم يشتمل على مجانبة المكروه من الخصال
والحياء حيا آن :

أحدهما : استحياء العبد من الله جل وعلا عند الاهتمام^(١) بمباشرة ما خطر عليه .
والثاني : استحياء من المخلوقين عند الدخول فيما يكرهون من القول
والفعل معاً .

والحياء آن جميعاً محمودان ، إلا أن أحدهما فرض^٢ والآخر فضل ، فلزوم الحياء
عند مجانبة ما نهى الله عنه فرض ، ولزوم الحياء عند مقارفة ما كره الناس فضل .
وأنشدني محمد بن المنذر بن سعيد عن محمد بن خلف التيمي قال : أنشدني
رجل من خزاعة :

إذا لم تخش عاقبة الليالى ولم تستحي فاصنع ماتشاه
فلا والله ، مافى العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء
يعيش المرء ما استحيا بخير ويبقى العود ما بقى اللحاء
حدثنا إسحاق بن إبراهيم القاضى حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا الليث بن سعد
عن عقيل عن الزهرى : أن أبا بكر الصديق قال يوماً وهو يخطب « أيها الناس ،
استحيوا من الله ، فوالله ما خرجتُ لحاجة منذ بايعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم
أريد الغائط إلا وأنا مُقنّع رأسى حياءً من الله » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الحياء من الإيمان ، والمؤمن فى الجنة ، والبذاء
من الجفاء ، والجافى فى النار ، إلا أن يتفضل الله عليه برحمته فيخلصه منه .

(١) الاهتمام : أراد به الهم بالشىء والعزم على فعله .

فإذا لزم المرء الحياء كانت أسباب الخير منه موجودة ، كما أن الواقع إذا لزم
البداء كان وجود الخير منه معدوماً وتواتر الشر منه موجوداً ؛ لأن الحياء هو
الحائل بين المرء وبين المزجورات كلها فبقوة الحياء يضعف ارتكابه إياها ،
وبضعف الحياء تقوى مباشرته إياها .

ولقد أحسن الذي يقول :

وربَّ قبيحةٍ ماحل بيني وبين ركوبها إلا الحياء
فكان هو الدواء لها ، ولكن إذا ذهب الحياء فلا دواء
وأبناؤنا محمد بن المنذر بن سعيد حدثنا عمر بن شبة حدثنا عبد الأعلى
ابن عبد الأعلى حدثنا هشام عن محمد عن كثير بن أفلح عن زيد بن ثابت قال :
« من لا يستحي من الناس لا يستحي من الله »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يعوّد نفسه لزوم الحياء
من الناس ، وإن من أعظم بركته تعويد النفس ركوب الخصال المحمودة
ومجانبتها الخلال المذمومة ، كما أنّ من أعظم بركة الحياء من الله الفوز من النار
بترؤم الحياء عند مجانبته ما نهى الله عنه ؛ لأن ابن آدم مطبوع على السكرم واللؤم
معاً فى المعاملة بينه وبين الله والعشرة بينه وبين الخلقين ، وإذا قوى حياؤه قوى
كرمه ، وضعف لؤمه ، وإذا ضعف حياؤه قوى لؤمه وضعف كرمه ، ولقد أنشدنى
على بن محمد البسامى :

إذا رزق الفتى وجهاً وقاحاً تقلّب فى الأمور كما يشاء
ولم يك للدواء ولا لشيء يعالجه به فيه غناء
فمالك فى معاتبته الذى لا حياء لوجهه إلا العناء

قال أبو حاتم : إن المرء إذا اشتد حياؤه صان عرضه ، ودفن مساويه .
ونشر محاسنه ، ومن ذهب حياؤه ذهب سروره ، ومن ذهب سروره هان على
الناس ومقت ، ومن مقت أذى ، ومن أذى حزن ، ومن حزن فقد عقله ،
ومن أصيب فى عقله كان أكثر قوله عليه لاله ، ولا دواء لمن لاحياء له ،

ولا حياء لمن لا وفاء له، ولا وفاء لمن لا إخاء له، ومن قل حياؤه صنع ماشاء
وقال ما أحب .

وأشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

إذا لم تصن عرضاً ولم تحش خالقاً وتستحي مخلوقاً فاشتت فاصنع
إذا كنت تأتي المرء تُعْظِمُ حَقَّهُ ويجهل منك الحق فالصرم أوسع
أبناؤنا محمد بن سعيد القزاز حدثني عبد الله بن مسعود الثعلبي باليمن حدثنا
أحمد بن زيد بن السكن الجندی عن سفيان بن عيينة قال : قال يحيى بن جعدة
« إذا رأيت الرجل قليل الحياء فاعلم أنه مدخول في نسبه »

ذكر الحث على لزوم التواضع ومجانبة التكبر

أبناؤنا أبو خليفة حدثنا موسى بن إسماعيل النبوذكي حدثنا إسماعيل بن جعفر
عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « ما نقصت صدقة من مال ، ولا زاد الله عهداً بغيره إلا عزاً ولا تواضع
أحد الله إلا رفعه الله » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على العاقل لزوم التواضع ومجانبة
التكبر ، ولو لم يكن في التواضع خصلة تحمله إلا أن المرء كلما أكثر تواضعه ازداد
بذلك رفعة لكان الواجب عليه أن لا يترتياً بغيره .

والتواضع تواضعان : أحدهما محمود ، والآخر مذموم . والتواضع الحمود :
ترك التطاول على عباد الله ، والإزراء بهم . والتواضع المذموم : هو تواضع المرء
لدى الدنيا رغبةً في دنياه .

فالعاقل يلزم مفارقة التواضع المذموم على الأحوال كلها ، ولا يفارق التواضع
الحمود على الجهات كلها .

ولقد أبناؤنا الحسن بن سفيان ، حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا الليث عن ابن
عجلان عن بكير بن عبد الله ، عن عبيد الله بن عدى أن عمر بن الخطاب قال « إن

الرجل إذا تواضع لله رفع الله حَمَتَهُ ، (١) وقال : انتعش نعشك الله ، فهو في نفسه صغير ، وفي أعين الناس كبير ، وإذا تكبر العبد وعدا طوره وهصه الله إلى الأرض ، وقال : اخسأ ! أخسأك الله ، فهو في نفسه كبير ، وفي أعين الناس صغير» قال أبو حاتم رضى الله عنه : التواضع يرفع المرء قدراً ، ويعظم له خطراً ، ويزيده نُبْلاً .

والتواضع لله جن وعز على ضربين :

أحدهما : تواضع العبد لربه عند ما يأتي من الطاعات غير معجب بفعله ، ولا راء له عنده حالةٌ يوجب بها أسباب الولاية ، إلا أن يكون المولى جل وعز هو الذى يتفضل عليه بذلك ، وهذا التواضع هو السبب الدافع لنفس العُجْب عن الطاعات والتواضع الآخر : هو ازدراء المرء نفسه واستحقاره إياها عند ذكره ما قارف من المسآثم حتى لا يرى أحداً من العالم إلا ويرى نفسه دونه في الطاعات وفوقه في الجنایات .

كما أنبأنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفى ببغداد ، حدثنا يحيى بن معين حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث عن عبد الله بن بكر بن عبد الله المزنى قال : قال أبى « يا بنى لولم أحضر الموسم لرجوت أن يغفر لهم » .

أنبأنا عبد الرحمن بن يحيى بن معاذ البزاز ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا ابن صُمَيْع ، حدثنا زهير بن محمد عن ابن جريج عن مجاهد فى قوله (كانوا لنا خاشعين) قال « متواضعين »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يلزم مجانبية التكبر ، لما فيه من الخصال

المذمومة

(١) الحكمة - بفتحات - حديدة فى اللجام تكون على أنف الفرس وحسكه تمنعه عن مخالفة رآكبه ومنه حديث عمر « إن العبد إذا تواضع لله رفع الله حكته » ورفعه كناية عن الاعزاز . لأن من صفة الدليل تكيس رأسه .

إحداها : أنه لا يتكبر على أحد حتى يعيب بنفسه ، ويرى لها على غيرها الفضل ؟
والثانية : ازدراؤه بالعالم ، لأن من لم يستحقر الناس لم يتكبر عليهم ، وكفى
بالمستحقر لمن أكرمه الله بالإيمان طغيانا .

والثالثة : منازعة الله جل وعلا في صفاته ، إذ الكبرياء والعظمة من صفات
الله جل وعلا ؛ فمن نازعه إحداها ألقاه في النار ، إلا أن يتفضل عليه بعفوه :
ولقد أحسن الذى يقول :

التيهُ مفسدة للدين ، منقصة للعقل ، مهتكة للعرض ، فانتبه
لا تشرهنَّ ؛ فإن الذل في الشره والعز في الحلم لا في البطش والسفه
سمعت محمد بن محمود النسائي يقول : سمعت أبا داود السنجى يقول : سمعت
الأصمعى يقول : سمعت يحيى بن خالد البرمكى يقول « الشريف إذا تقرأ (١)
تواضع ، والدينء إذا تقرأ تكبر »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يمتنع من التواضع أحد ، والتواضع يكسب
السلامة ، ويورث الألفة ، ويرفع الحقد ، ويذهب الصد ، وثمره التواضع المحبة ،
كما أن ثمره القناعة الراحة ، وإن تواضع الشريف يزيد في شرفه ، كما أن تكبر
الوضع يزيد في ضعته ، وكيف لا يتواضع من خلق من نطفة مدرة ، وآخره
يعود جيفة قدرة ، وهو بينهما يحمل العذرة ؟

سمعت أبا يعلى يقول : سمعت إسحاق بن أبى إسرائيل يقول : سمعت ابن
عينة يقول : لو قيل : أخرجوا خيار هذه القرية لأخرجوا من لا نعرف .

وأشدنى الكريزى :

ولا تمش فوق الأرض إلا تواضعا فكم تحتها قوم هم منك أرفع
فإن كنت في عز وخير ومئنة فكم مات من قوم هم منك أمتع ؟

أنشدنا أبو عروبة أو ابن قتيبة ، أنشدنا المسيب بن واضح عن يوسف بن أسباط :
وكفى بلمتمس التواضع رفعةً وكفى بلمتمس العلو سفلاً
أبنا ابن خزيمة ، حدثنا محمد بن هشام المروزي ، حدثنا حفص بن غياث
عن جعفر بن محمد ، عن أبيه قال « حج الحسين بن علي عشر حجج ماشياً
ونُجِبهُ^(١) تقاد إلى جنبه » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : أفضل الناس من تواضع عن رفعة ، وزهد عن
قدرة ، وأنصف عن قوة ، ولا يترك المرء المتواضع إلا عند استحكام التكبر ، فلا
يتكبر على الناس أحد إلا بإعجابه بنفسه ، وعجب المرء بنفسه أحد حماد عقله ،
وما رأيت أحداً تكبر على من دونه إلا ابتلاه الله بالذلة لمن فوقه .
وأنشدني محمد بن أبي علي الخلابي :

ودع التيه والعبوس على الناس فإن العبوس رأس الحماقة
كلما شئت أن تعادي عادي ت صديقا وقد تفر الصداقة
قال أبو حاتم رضي الله عنه : ما استجلبت البغضة بمثل التكبر ، ولا
اكتسبت المحبة بمثل التواضع ، ومن استطال على الاخوان فلا يثقن منهم بالصفاء
ولا يجب لصاحب الكبر أن يطمع في حسن الثناء ، ولا تكاد تروى تأمها
إلا وضيعاً .

فالعاقل إذا رأى من هو أكبر سنًا منه تواضع له ، وقال : سبقني إلى
الإسلام ، وإذا رأى من هو أصغر سنًا تواضع له ، وقال : سبقته بالذنوب ، وإذا
رأى من هو مثله عده أخا ، فكيف يحسن تكبر المرء على أخيه ، ولا يجب
استحقاق أحد ، لأن العود المنبوذ ربما انتفع به فحك الرجل به أذنه .

أخبرنا محمد بن المسيب بن إسحاق ، حدثنا العباس بن الوليد بن مزيد ،
قال : سمعت محمد بن شعيب بن شابور يقول « دخل رجل الحمام وربد بن

(١) نجب - بضم النون والجيم - جمع نجيب ، وهو الجمل .

أبي حبيب فيه ، وكان أسود ، فقال له : يا أسود قم فاغسل رأسي قال : ققام فشد عليه إزاره فغسل رأسه ، وذلك جسده ، فلما فرغ قال له الرجل : كثر الله في السودان مثلك ، قال : أحببت أن يكثر من يخدمك .

أبنا محمد بن زنجويه القشيري ، حدثنا عبد العزيز بن عبد الله المدائني ، حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال « لو بغى جبل على جبل لك الله الباغي منهما » .

أبنا الحسن بن سفيان ، حدثنا نصر بن علي ، حدثنا نوح بن قيس عن أخيه عن قتادة قال : « ما نسيت شيئاً قط » ثم قال لغلامه « ناولني نعلي ، قال : نعلك في رجلك » (١) .

أبنا عبد الله بن محمد بن عمر ، أبنا علي بن خشرم ، قال : سمعت الفضل بن موسى يقول « كان مالك ينسى ، فقال ثمرمانه (٢) : اشتر لي غلاماً وسمه باسم خفيف حتى لا أنساه ، قال : فاشترى له غلاماً ، وأدخله عليه ، فقال : اشتريت لك هذا الغلام ، وسميته باسم خفيف ، قال : ما سميته ؟ قال : فرقد ، قال : فنظر إلى الغلام ، وقال : اجلس يا واقد »

ذكر استحباب التجنب إلى الناس من غير مقارفة المأثم (٣)

أبنا أحمد بن الحسين بن عبد الجبار ببغداد ، حدثنا يحيى بن معين ، حدثنا عبدة بن سليمان عن هشام بن عروة ، عن موسى بن عقبة ، عن عبد الله بن عمرو الأزدي ، عن ابن مسعود ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يحرم على النار أن تهين لئلين قريب سبيل » (٤)

(١) العبرة في هذا : أنه أنسى ما لا يصح أن ينسى ، فكان دليلاً على فساد دعواه

(٢) القهرمان : الخادم . ومالك : هو ابن أنس إمام دار الهجرة .

(٣) أي مع التحفظ والحذر أن يدنو مما فيه إثم وخطيئة لغضب الله ،

(٤) هين : ليس نافراً مستصعباً . لئلين الجانب ، ليس خشناً قريب الحلق ليس شكساً

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يتجنب إلى الناس
بلزوم حسن الخلق : وترك سوء الخلق ؛ لأن الخلق الحسن يذيب الخطايا ، كما
تذيب الشمس الجليد ، وإن الخلق السئ يفسد العمل ، كما يفسد الخلل العسل ،
وقد تكون في الرجل أخلاق كثيرة صالحة كلها ، وخلق سئ ، فيفسد الخلق
السئ الأخلاق الصالحة كلها . وأنشدني البغدادي :

خالق الناس بخلق حسن لا تكن كلباً على الناس يهرِّ
والقهم منك يبشر ، ثم صن عنهم عرضك عن كل قدر

أنبأنا حامد بن شعيب البلخي ببغداد ، حدثنا سريج بن يونس ، حدثنا
سفيان عن إبراهيم عن ميسرة عن طاوس قال : سمعت ابن عباس يقول « إن
الرحم تقطع ، وإن النعم تكفر ، ولم أر مثل تقارب القلوب » .

أنبأنا الخلالدي ، حدثنا محمد بن المغيرة النوفلي ، حدثنا عبد العزيز بن منيب
حدثنا إبراهيم بن الأشعث ، قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول « إذا
خالطت فخالط حسن الخلق ، فإنه لا يدعو إلا إلى خير ، وصاحبه منه في راحة
ولا تخالط سيئ الخلق فإنه لا يدعو إلا إلى شر ، وصاحبه منه في عناء ، ولأن
يصحبنى فأجر حسن الخلق أحب إلى من أن يصحبنى قارىء سئ الخلق ،
إن الفاسق إذا كان حسن الخلق عاش بعقله وخف على الناس وأحبوه ، وإن
العابد إذا كان سئ الخلق ثقل على الناس ومقتوه » .

وأنشدني محمد بن المهاجر المعدل ، أنشدني محمد بن إبراهيم اليعمرى :

حافظ على الخلق الجميل ومز به ما بالجميل وبالتبيح خفاء
إن ضاق مالك عن صديقك فألقه بالبشر منك إذا يحين لقاءه

أنبأنا الحسين بن إسحاق الأصبهاني ، حدثنا يحيى بن حكيم المقومى ،
حدثنا الخليل بن عبد العزيز ، قال : سمعت حماد بن سلمة يقول « الصوم

في البستان من الثقل» (١)

قال أبو حاتم رضي الله عنه : حسن الخلق بذراكتساب المحبة ، كما أن سوء الخلق بذراستجلاب البغضة ، ومن حسن خلقه صان عرضه ، ومن ساء خلقه هتك عرضه ؛ لأن سوء الخلق يورث الضغائن ، والضغائن إذا تمكنت في القلوب أورثت العداوة ، والعداوة إذا ظهرت من غير صاحب الدين أهوت صاحبها إلى النار ، إلا أن يتداركه المولى بتفضل منه وعفو .

أنبأنا محمد بن المنذر ، حدثنا أبو حاتم الرازي ، حدثنا أبو عمير النخاس ، حدثنا ضمرة ، عن رجاء بن أبي سلمة عن الزهري قال « وهل يُنتفع من السيئ الخلق بشيء ؟ » .

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

للخير أهلٌ لا تزا ل وجوهم تدعو إليه
طوبى لمن جرت الأمور الصالحات على يديه
مالم يضق خلقُ الفتى فالأرض واسعة عليه

أنبأنا أبو يعلى ، حدثنا عبد الله بن محمد بن أسماء ، حدثنا مهدي بن ميمون عن موسى بن عبيد ، عن ميمون بن مهران قال « التودد إلى الناس نصف العقل ، وحسن المسألة نصف العلم ، واقتصادك في معيشتك يُلقى عنك نصف المؤونة » قال أبو حاتم رضي الله عنه : التجب إلى الناس أسهل ما يكون وجهاً ، وأظهر ما يكون بشراً ، وأخصر ما يكون أمراً ، وأرفق ما يكون هيباً ، وأحسن ما يكون خاقاً ، وألين ما يكون كنفاً وأوسع ما يكون يداً ، وأدفع ما يكون أذىً ، وأعظم ما يكون احتمالاً ، فإذا كان المرء بهذا النعت لا يحزن من يجبه

(١) أي صوم التنفل مع وجود الرقعة الذين خرجوا للزهوة والتفرج في بستان

كثير الفاكهة التي قلما ينالها طلاب العلم ، فمن صام كذلك كان منتظماً .

ولا يَفْرَحُ من يُحْسِدهُ ؛ لأن من جعل رضاه تبعاً لرضا الناس ^(١) ، وعاشرهم من حيث هم استحق الكمال بالسؤدد . وأنشدني علي بن محمد البسامي :
أعاشر معشَري في كل أمرٍ بأحسن ما أريتُ وما رأيتُ
واجتنب المقامح حيث كانت وارك ما هويتُ وما فرَّيتُ ^(٢)

قال أبو حاتم رضي الله عنه : حاجة المرء إلى الناس مع محبتهم إياه خير من غناه عنهم مع بغضهم إياه ، والسبب الداعي إلى صدِّ محبتهم له : هو التضايق في الأخلاق ، وسوء الخلق ؛ لأن من ضاق خلقه سئم أهله وجيرانه ، واستنقله إخوانه ، فحينئذ تمنوا الخلاص منه ، ودعوا بالهلاك عليه .

سمعت عمر بن سعيد بن سنان الطائي يقول : سمعت أبا الحسن الزهاوي يقول : سمعت يزيد بن هارون يقول :

فقدت تقال الناس في كل بلدة فيارب لا تغفر لكل ثقيل
أنبأنا أحمد بن محمد بن الحسن البلخي حدثنا محمد بن إدريس الحافظ حدثنا محمد بن عبد الله بن إسماعيل قال : سمعت عمرو بن الحارث يقول : تسخين العين النظر إلى من تكره ^(٣)

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الاستئفال من الناس يكون سببه شيئين : أحدهما : مقارفة المرء مانهه الله عنه من المآثم ؛ لأن من تعدى حرمان الله أبغضه الله ، ومن أبغضه الله أبغضته الملائكة ، ثم يوضع له البغض في الأرض ،
(١) على شرط أن لا يرضيهم بما يغضب الله ، ويعنى بذلك أن يكون موطأ الكنف يالف ويؤلف .

(٢) وما فرَّيت : أي ما أتيت من الأعمال العجيبة . يقال : « فلان يفرى الفرا » . إذا كان يأتي بالعجب . اه من لسان العرب .

(٣) من قولهم « أسخن الله عينه » أي أحزنه . كما قالوا « أقر الله عينه » إذا دعوا بأن يسره الله ويفرحه .

فلا يكاد يراه أحد إلا استنقله وأبغضه .

والسبب الآخر : هو استعمال المرء من الخصال ما يكره الناس منه ، فإذا كان كذلك استحق الاستنقال منهم . وأنشدني الكريزي :

ليتني كنت ساعةً ملك الموت ، فأفنى الثقال حتى يبيدوا
ولو أني وأنت في جنة الخلد لقلتُ : الخروج منها أريد
لدخول الجحيم أهون من جنة خلدٍ ، أراك فيها تروء

أبناؤنا عمر بن حفص البرازي مجديسابور حدثنا إسحق بن الضيف حدثنا
أبو مسهر حدثنا هشام بن يحيى قال « كان نفش خاتم أبيك — يعني أبا أبي مسهر —
أبرمت^(١) قمم ، قال : فكان إذا جلس إليه الرجل فتناقل حرك خاتمه ، وقال :
اقرأ نقش خاتمي ، وكان إذا قرأ قام »

أبناؤنا أحمد بن محمد بن الحسن حدثنا محمد بن إدريس حدثنا موسى بن
إسماعيل حدثنا موسى بن رباح قال : سمعت مخلداً أبا أبي عاصم يقول : إذا
أبغضت الرجل أبغضت شقي الذي يليه .

سمعت محمد بن السري البغدادي يقول : سمعت أبا بكر المروزي يقول :
سألت أحمد بن حنبل عن الثقلاء ، فقال : سألت عنهم بشراً الحافي ، فقال :
الظفر إليهم سُخَّنة العين ، قلت لأحمد : من الثقلاء ؟ قال : أهل البدع .

قال أبو حاتم رضي الله عنه . هذا الذي قال أحمد بن حنبل رحمة الله عليه
هو استنقال الخالص : إذا عرف أحدهم من بعض الناس ثلماً في السنة^(٢) أبغضه
على بدعته ، فأما العام^(٣) فلا يكادون يعادون ويوالون إلا على المحبوب من

(١) تقول : أبرم الرجل إراماً : أى أضجره وأمله وأسامه .

(٢) التلثة : فرجة المكسور والمهدوم ، ويعنى به التجافى عن السنة

(٣) أى العامة والجمهور من الناس

الحصال ، والمكروه من الفعال ، ألا ترى المقتنع الكِنْدِي حيث يقول لبعض من صحبه :

ألا يا مَرَكَبَ المقت الـذِي أرسَى ، فلا يبرح
ويا من سكراتُ الموحات من طلعتهُ أروح^(١)
لقد صوّرت في فكري فلا أدري لما تصلح ؟
فلا تصلح أن تهجى ولا تصلح أن تمدح
بلى ، تصلح أن تقتل أو تصلب أو تدبح

سمعت أحمد بن محمد البلخي الذهبي يقول : قال محمد بن أبي الورد قال يحيى ابن ماسويه : النظر إلى الثقل حَمَى تعترى بين الجلدين .

حدثنا أحمد بن عمر بن يزيد يقول : سمعت سلمة بن شبيب يقول : سمعت أبا أسامة يقول : ائتموني بمسئمٍ خفيف على الفؤاد ، وإيأى والتقاء ، وإيأى والتقاء .

أنا أحمد بن محمد بن الحسن حدثنا عباس بن أبي طالب حدثنا إبراهيم ابن المنذر حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن ابن سيرين قال : سمعت رجلا من أهل البادية يقول : نظرت إلى ثقل مرة فغشى علي .
وأنشدني المنتصر بن بلال :

وأنت على مودتنا حريص ولكن لا تخف على الفؤاد
وأثقل من رجا بزر علينا^(٢) كأنك من بقايا قوم عاد

حدثنا إبراهيم بن مضر بن عنبر حدثنا يوسف بن عيسى حدثنا وكيع حدثنا أبو سهل عن إبراهيم بن بكير قال : كان أبو هريرة إذا استنقل جليسا له قال « اللهم اغفر لنا وله ، وأرحنا منه في عافية » .

(١) من الراحة : أى أكثر راحة

(٢) أى الرحي إذا طحن حب البزر الرطب يخلاف الرحا يطحن بها ما يعد

بالتحفيف للطعام .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل مجانبة الخصال التي تورثه
استئثار الناس إياه ، وملازمة الخصال التي تؤديه إلى محبتهم إياه .

ومن أعظم ما يتوسل به إلى الناس ، ويستجلب به محبتهم : البذل لهم مما
يملك المرء من حُطام هذه الدنيا ، واحتماله عنهم ما يكول منهم من الأذى .

فلو أن المرء صحبه طائفتان : إحداها تحبه ، والأخرى تبغضه ، فأحسن إلى
التي تبغضه ، وأساء إلى التي تحبه ، ثم أصابته نكبة فاحتاج إليهما ، لكان
أسرعهما إلى خذلانه وأبعدهما عن نصرته الطائفة التي كانت تحبه ، وأسرعهما إلى
نصرته وأبعدهما عن خذلانه الطائفة التي كانت تبغضه ، لأن الكاب إذا شيع
قوى ، وإذا قوى أمّل ، وإذا أمّل تبع المأمول ، وإذا جاع ضعف ، وإذا ضعف
أيس ، وإذا أيس ولى عن المتبوع .

فمن عدم المال فليستط وجهه للناس^(١) . فان ذلك يقوم مقام بذل المعروف ،
إذ هو أحد طرفيه .

أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل حدثنا هارون بن عبد الخالق المازني قال : سئل
ابن المبارك عن حسن الخلق ، فقال « هو بسط الوجه ، وبذل المعروف » .

أنبأنا الحسن بن سفيان حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث حدثنا محمد بن
القاسم الأسدي عن منحة بن عمرو قال « خرج غلام لنا بقمامة الدار ، أو بكناسة
الدار ، عريان ، وسعيد بن جبير على الباب ، فقال : ياخيث ارفع إزارك » .

أنبأنا محمد بن إبراهيم البدوري بالبصرة حدثنا إبراهيم بن بشار الرمادي
حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : إذا لقي المسلم أخاه
فصاحه وكشّر^(٢) في وجهه تحاتت ذنوبه ، كما تحاتت العذق من النخلة . فقال

(١) أى يسعهم ببشره وحسن أخلاقه ، حيث لم يسعهم بماله ، فإن في الأثر
« إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم » .

(٢) كشر : تبسم وضحك ، لأنه يقال : كشر عن أسنانه أى أبدأها .

رجل لمجاهد : يا أبا الحجاج ، إن هذا من العمل اليسير . فقال مجاهد : (٨ : ٦٢)
هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألّف بين قلوبهم لو أنفقت مائى الأرض جميعاً
ما ألّفت بين قلوبهم) أفسير هذا ؟ .

ذكر استعمال لزوم المداراة ، وترك المداهنة مع الناس

أبنا محمد بن قتيبة اللخمي بعسقلان وعمر بن سعيد بن سنان الطائي
بمنبج قالا : حدثنا ابن واضح حدثنا يوسف بن أسباط حدثنا سفيان عن محمد
ابن المنكدر عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مداراة الناس
صدقة » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يلزم المداراة مع من
دفع اليه في العشرة من غير مقارفة المداهنة ، إذ المداراة من المدارى صدقة له ،
والمداهنة من المداهن تكون خطيئةً عليه ، والفصل بين المداراة والمداهنة :
هو أن يجعل المرء وقته في الرياضة لإصلاح الوقت الذى هو له مقيم بلزوم المداراة
من غير تلم في الدين من جهة من الجهات ، فمتى ما تخلّق المرء بتخلّق شابه^(١)
بعض ما كره الله منه في تخلّقه ، فهذا هو المداهنة ، لأن عاقبتها تصير الى قُلِّ
ويلازم المداراة ؛ لأنها تدعو إلى صلاح أحواله ، ومن لم يدار الناس ملّوه كما
أنشدنى على بن محمد البسامى :

دارٍ من الناس ملالاتهم مَنْ لَمْ يَدَارِ النَّاسَ مَلُّوهُ
وَمُكْرِمُ النَّاسِ حَبِيبٌ لَهُمْ مِنْ أَكْرَمِ النَّاسِ أَحْبُوهُ

أبنا محمد بن أحمد بن أبي عون المرياني حدثنا أحمد بن منيع حدثنا ابن
المبارك عن الحسن بن عمرو عن منذر الثورى . عن ابن الحنفية قال « ليس بحكيم
من لم يعاشر بالمعروف من لا يجِد من معاشرته بُدّاً ، حتى يأتيه الله منه بالفرج
أو المخرج » .

(١) أى : خالطه . يقال : شاب اللبن ماء ، أى خلطه .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يدارى الناس مداراة الرجل السامح فى الماء الجارى . ، ومن ذهب إلى عشرة الناس من حيث هو كدّر على نفسه عيشه ، ولم تصف له مودته ؛ لأن وداد الناس لا يستجلب إلا بمساعدتهم على ما هم عليه إلا أن يكون مأثماً ، فإذا كانت حالة معصية فلا سمع ولا طاعة ، والبشر قد ركب فيهم أهواء مختلفة وطبائع متباينة ، فكما يشق عليك ترك ما جُبلت عليه ، فكذلك يشق على غيرك مجانبته مثله ، فليس إلى صفو ودادهم سبيل ، إلا بمعاشرتهم من حيث هم ، والإغضاء عن مخالفتهم فى الأوقات . أنشدنى الأبرش :

وقالت ، وهزت رأسها وتضاحكت : على الوتجنى ، أم على العهد توصل ؟
فقلت : فلم أفعل ، فقالت : تريده فقلت : فلم أفعل ، فقالت : ستفعل
أنبأنا ابن قحطبة حدثنا أحمد بن المقدم حدثنا حرم^(١) قال : سمعت حبيب ابن الشهيد يقول : سمعت الحسن يقول « يا ابن آدم ، أصحب الناس بأى خلق شئت يصحبوك عليه » وأنشدنى الكريزى :

تجننى على بما قد جنى ويغلظ فى القول إن لنت له
ويسبق بالعدل لى ظلماً كأن الصواب له لايه
كما قال فى مثل عالم خذ اللص بالذنب لا تغفله^(٢)
قال أبو حاتم رضى الله عنه : من التمس رضا جميع الناس التمس مالا يدرك ، ولكن يقصد العاقل رضا من لا يجد من معاشرته بدءاً ، وإن دفعه الوقت إلى استحسان أشياء من العادات كان يستقبحها ، واستقباح أشياء كان يستحسنها ، ما لم يكن مأثماً ؛ فإن ذلك من المداراة ، وما أكثر من دارى فلم يسلم . فكيف

(١) فى الخلاصة فى ترجمة أحمد بن مقدم : وروى عن حماد بن زيد ، وجزم القطيعى - بالجيم والزاي .

(٢) من أمثال العرب « خذ اللص قبل أن يأخذك » .

توجد السلامة لمن لا يدارى؟ أنشدني محمد بن عبد الله البغدادي :

ياذا الذي أصبح لا والدٌ له على الأرض ولا والده
قد مات من قبلهما آدم فأى نفس بعده خالدة؟
إن جئت أرضاً أهلها كلهم عورٌ فغمض عينك الواحده

أنبأنا أبو يعلى ، حدثنا عبد الله بن محمد بن أسماء ، حدثنا مهدي بن ميمون ،
حدثنا معاذ بن سعد الأعمور قال « كنت جالساً عند عطاء بن أبي رباح فحدث
رجل بحديث ، فعرض رجل من القوم في حديثه ، قال : فغضب ، وقال : ماهذه
الطباع ؟ إني لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم به ، فأريه كأنني لا أحسن منه
شيئاً »

أنبأنا محمد بن المهاجر ، حدثنا محمد بن محمد بن محمد الصيداوي ، حدثنا حماد بن إسحاق
عن المدائني ، قال : قال معاوية « لو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت ،
قيل : وكيف ؟ قال : لأنهم إن مدَّوها حلَّيها ، وإن خلَّوْا مددتها »
قال أبو حاتم رضي الله عنه : من لم يعاشر الناس على لزوم الإغضاء عما يأتون
من المكروه ، وترك التوقُّع لما يأتون من المحبوب ، كان إلى تكدير عيشة أقرب
منه إلى صفائه ، وإلى أن يدفعه الوقت إلى العداوة والبغضاء أقرب منه إلى أن
ينال منهم الوداد ، وترك الشَّحناء ، ومن لم يدارِ صديق السوء كما يدارى صديق
الصدق ليس بحازم . ولقد أحسن الذي يقول :

تجنب صديق السوء واصرمْ حباله وإن لم تجد عنه حيصاً فدارِه
وأحب حبيب الصدق واحذر مرآه تنلُ منه صفو الودِّ ما لم تماره

أنبأنا الحسن بن سفيان ، حدثنا إبراهيم الحوراني ، حدثنا أبو مسهر ، حدثنا
سهل بن هاشم عن إبراهيم بن أدهم قال : قال أبو الدرداء لأُم الدرداء « إذا
غضبتُ فرضيني ، وإذا غضبتِ رضيتك ، فإذا لم تكن هكذا ما أسرع ما نفترق »
قال أبو حاتم رضي الله عنه . العاقل إذا دفعه الوقت إلى صحبه من لا يثق

بصداقته ، أو صداقة من يثق بأخوته ، فرأى من أحدها زلةً فرفضه لزلته ،
بقى وحيداً لا يجد من يعاشر ، فريداً لا يجد من يخادن ، بل يُغضَى على الأخ
الصادق زلاته ، ولا يناقش الصديق السيء على عثراته ؛ لأن المناقشة تلزمه في
تصحيح أصل الوداد أكثر مما تلزمه في فرعه .

ومن أنواع المداراة : ما حدثني الحسن بن سفيان ، حدثنا عبد الله بن أحمد
ابن شَبَّويه ، حدثنا الحسن بن واقع ، حدثنا ضمرة عن ابن شوذب قال « كانت
لرجل جارية ، فوطئها سرا ، فقال لأهله : إن مريم كانت تغتسل في هذه الليلة ،
فاغتسلوا ، فاغتسل هو واغتسل أهله ، قال ابن شوذب : وكانت مريم تغتسل في
كل ليلة » .

وأشدني منصور بن محمد الكريزي :

أغضُّ عيني عن صديقي ، كأنني لديه بما يأتي من القبح جاهلٌ
وما بيَ جهل ، غير أن خليقتي تطبيق احتمال الكره فيما أحاول
متى ما يريني مفصل فقطعتُه بقيت ومالي في نهوضي مفاصل (١)
ولكن أداريه ، وإن صحَّ شدتي فإن هو أعيان كان فيه تحامل (٢)

أبنا محمد بن أبي علي الخلادي ، حدثنا محمد بن الحسن الذهلي عن
أبي السائب قال : قال علي « لا تعامل بالخديعة ، فإنها خلقت اللثام ، واحمض أخاك
النصيحة حسنة كانت أم قبيحة ، وساعده على كل حال ، وزل معه حيث زال »

(١) يقول : لو أني كلما رايتي من صديقي أمر يسبب فصل ما بيننا من مودة
لم أجد عند احتياجي إلى من ينهض بي عند عثرتي صديق ، كما قال بشار بن برد :
إذا كنت في كل الأمور معاتباً صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
فعض واحداً وصل أخاك فإنه مقارف ذنب مرة ومجانبه

(٢) يقول : إن من الحكمة أن أداري صديقي وأغض عن زلاته ، حتى إذا صح
وده قويبت به ، وأعطاني شدة في أمري ، وإن ضعف وعجز وجدت منه بعض
ما يتحامل به من قوة أنتفع بها

ذكر استحباب إفشاء السلام ، وإظهار البشر والتبسم

أنبأنا أحمد بن صالح الطبري ، حدثنا الفضل بن سهل الأعرج ، حدثنا محمد ابن جعفر المدائني ، حدثنا ورقاء عن الأعمش عن زيد بن وهب عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن السلام اسم من أسماء الله ، وضعه في الأرض ، فأفشوه بينكم ؛ فإن الرجل المسلم إذا مرَّ بالقوم فسلمَّ عليهم فردُّوا عليه كان له عليهم فضل درجة بتذكيره إياهم بالسلام ، فإن لم يردوا عليه ردَّ عليه من هو خير منهم وأطيب . »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على العاقل أن يلزم إفشاء السلام على العام ؛ لأن من سلمَّ على عشرة كان له عتق رقبة ، والسلام مما يذهبُ إمشاؤه بالمسكتين من الشحناء ^(١) ، وما في الخلد من البغضاء ، ويقطع الهجران ، ويصافي الإخوان .

والبادىء بالسلام بين حسنتين : إحداهما : تفضيل الله عز وجل إياه على المسلم عليه بفضل درجة ، لتذكيره إياهم بالسلام ، وبين ردِّ الملائكة عليه عند غفلتهم عن الرد .

ولقد أنبأنا عمرو بن محمد الأنصاري ، حدثنا الغلابي ، حدثنا شعيب بن واقد حدثنا جرير ، قال : قال زيد اليامي ^(٢) « إن أجود الناس من أعطى مالا لا يريد جزاءه ، وإن أحسن الناس عفواً من عفا بعد قدرة ، وإن أفضل الناس من وصل من قطعه ، وإن أبجل الناس من بخل بالسلام . »

أخبرنا أبو خليفة ، حدثنا محمد بن كثير أنبأنا سفيان عن أبي إسحاق عن

(١) المسكتين : ما أكنه الضمير فأخفاه . والشحناء : الخصومة . والخلد

— بفتح الحاء واللام — البال والقلب والنفس . وجمعه : أخلاذ . يقال : « وقع ذلك في خلدي » أي في روعي وقلبي . (٢) هو زيد — مصغرا — بن الحارث ، اليامي ، ويقال : الإيامي .

صلة بن زُفر العبّسى ، قال : حدثنا عمار بن ياسر قال « ثلاثٌ من جمعهن جمع الإيمان : الإِنفاق من الإقتار ، والإِنصاف من نفسك ، وبذل السلام للعالم »
قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على المسلم إذا لقي أخاه المسلم أن يسلم عليه متبسماً إليه فإنّ من فعل ذلك تحاتّ عنهما خطاياهما كما تحاتّ ^(١) ورقُ الشجر في الشتاء إذا يَدَسَ ، وقد استحق الحجة من أعطاهم بشر وجهه .
ولقد أخبرني محمد بن المهاجر العدل ، حدثنا إبراهيم بن عبد السلام العنبري ، حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري حدثنا إسماعيل بن حماد عن سعيد بن الحسن قال : قيل له « ما بَشَكَ؟ قال : إنه يقوم على برخيص ^(٢) وأنشدني الأبرش :
أخو البشر محبوب على حسن بشره ولن يَعدِمَ البغضاء من كان عابسا
ويسرع بجل المرء في هَتَكِ عِرْضه ولم أرَ مثل الجود للمرء حارسا
قال أبو حاتم : البشاشة إدام العلماء وسَحيّة الحكماء ، لأن البشر يطفيء نار المعاندة ، ويحرق هيجان المباغضة ، وفيه تحصينٌ من الباغي ، وَمَنجاة من الساعى ^(٣) ، ومن بَشَّ للناس وجهاً لم يكن عندهم بدون البازل لهم ما يملك .
أخبرنا محمد بن سعيد القرزاز حدثنا إبراهيم بن محمد العبادي حدثنا سُويد عن علي بن مسهر عن هشام بن عروة عن أبيه قال « أخبرت أنه مكتوب في الحكمة : يا بني ، لِيَكُنْ وجهك بَسْطاً ، وَلِتَكُنْ كَلْمُكَ طَيِّبَةً - تكن أحبَّ إلى الناس من أن تعطيههم العطاء .
وأنشدني الخلابي أنشدنا أحمد بن بكر بن خالد اليزيدي لسعيد بن عبيد الطائي :

(١) تحات : سقط لجفافه وييسه .

(٢) يقول : إن البشاشة رخيصة لا تكافه مالا ولا جهداً ، وإنها غالية وقيمة ،

لأنها تجذب القلوب ، وتقتلع أسباب البغضاء .

(٣) الذي يسعى بالوقية ليفرق بين الأحبة .

إِلْقَ بِالْبَشْرِ مِنْ لَقِيَتْ مِنَ النَّاسِ جَمِيعًا وَلَا قِيَمَهُمْ بِالطَّلَاقِ
تَجْنِ مِنْهُمْ جَنَى ثَمَارٍ، فَخَذَهَا طَيِّبًا طَعْمَهُ لَذِيذَ الْمَذَاقِ

أخبرنا محمد بن صالح الطبري حدثنا محمد بن حميد حدثنا حكام بن مسلم
عن سعيد بن عبد الرحمن الزبيدي قال « يعجبني من القراء كل سهلٍ طَلَّقَ
مَضْحَاكٌ . فَمَا مِنْ تَلْقَاهُ يَبْشُرُ وَيَلْقَاكَ بَعْبُوسٌ يَمْنُنُ عَلَيْكَ بِعَمَلِهِ ، فَلَا أَكْثَرَ لِلَّهِ
فِي الْقِرَاءِ ضَرْبَ هَذَا (١) »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يجب على العاقل إذا رزق السلوك في ميدان
طاعة من الطاعات إذا رأى من قَصَّرَ فِي سُلُوكِ قَصْدِهِ أَنْ يُعْبِسَ عَلَيْهِ بِعَمَلِهِ
وَجْهَهُ ، بَلْ يُظْهِرُ الْبَشْرَ وَالْبَشَاشَةَ لَهُ ، فَلَعَلَّهُ فِي سَابِقِ عِلْمِ اللَّهِ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى صِحَّةِ
الْأُوبَةِ إِلَى قَصْدِهِ مَعَ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمْدِ لِلَّهِ وَالشُّكْرِ لَهُ عَلَى مَا وَفَّقَهُ لخدمته ،
وَحَرَمَ غَيْرَهُ مِثْلَهُ :

أخبرنا محمد بن أبي علي الخلابي أخبرني محمد بن موسى السمرى أن حماد
ابن إسحاق أنشدهم :

فَتَى مِثْلَ صَفْوِ الْمَاءِ ، أَمَا لِقَاؤُهُ فَبِشْرُهُ ، وَأَمَا وَعْدُهُ فَجَيْلُ
يَسْرُوكَ مُفْتَرًّا ، وَيَشْرُقُ وَجْهَهُ إِذَا اعْتَلَّ مَذْمُومُ الْفِعَالِ بِجَيْلِ
عَيْبِيٍّ عَنِ الْفَحْشَاءِ ، أَمَا لِسَانُهُ فَعَفٌّ ، وَأَمَا طَرْفُهُ فَكَلِيلُ
وَأَنْشَدَنِي مَنْصُورُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكِرْبَزِيُّ :

لَنْ تَسْتَمَّ جَمِيلًا أَنْتَ فَاعِلُهُ إِلَّا وَأَنْتَ طَلِيقُ الْوَجْهِ بِهَلُولِ
مَا أَوْسَطَ الْخَيْرَ فَابْسُطْ رَاحَتِيكَ بِهِ وَكُنْ كَأَنَّكَ دُونَ الشَّرِّ مَغْلُولِ
أَنْبَانَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمَهْجَرِ الْمَعْدَلِيُّ حَدَّثَنَا الدَّارِمِيُّ حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ

(١) الضرب والضرب : مثل في الشكل والقدر والخلق . ويقال « فلان ضريب
فلان » أى نظيره وشبيهه . والجمع ضروب وضرائب .

حدثنا أبو عوانة عن إسماعيل بن سالم عن حبيب بن أبي ثابت قال « من حسن خلق الرجل أن يحدث صاحبه وهو يتبسم »

ذكر ما أبيض من المزاح للمرء ، وما كره له منه

أبنا أحمد بن علي بن المنثني حدثنا هذبة بن خالد حدثنا همام بن يحيى حدثنا قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم « كان له خادم يقال له : أُنْجَشَةُ ، وكان حسن الصوت ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا أُنْجَشَةُ لا تكسر القوارير^(١) » قال قتادة : يعنى ضعفة النساء .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يستميل قلوب الناس إليه بالمزاح ، وترك التعبُّس .

والمزاح على ضربين : فمزاح محمود ، ومزاح مذموم .
فأما المزاح المحمود : فهو الذى لا يَشُوْبه^(٢) ما كره الله عز وجل ، ولا يكون بائماً ولا قطيعة رحم .

وأما المزاح المذموم : فالذى يُثير العداوة ، ويُذهب البهاء ، ويقطع الصداقة ، ويُجرىء الدينء عليه ، ويُحقد الشريف به .

أخبرنا محمد بن المنذر حدثنا إبراهيم بن محمد الرقى حدثنا أبو موسى الأنصارى حدثنا بكر بن سليم قال : سمعت ربيعة يقول « إياكم والمزاح ، فإنه يُفسد المودة ، ويُفِلُّ الصدر » .

أبنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا الفضيل بن الخضر التميمي حدثنا عبد الله ابن حُبَيْق قال : كان يقال « لا تمازح الشريف ، فيحقد عليك ، ولا تمازح الوضيع ، فيجترىء عليك »
وأنشدنى محمد بن عبد الله :

(١) كان أنجشة رضى الله عنه يحدو الإبل وينشطها في السير بحمىل صوته ، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم « يا أنجشة رققا بالقوارير » (٢) يشوبه : يخالطه

المزاح

أكرم جليسك ، لا تمازح بالأذى إن المزاح تُرى به الأضغان^(١)
كم من مزاح جدَّ حبلَ قرينه فتجدت من أجله الأقران^(٢)
قال أبو حاتم رضى الله عنه : المزاح فى غير طاعة الله مسلبة للبهاء ، مقطعة
للصداقة ، يورث الضغن ، وينبت الفل .

وإنما سُمى المزاح مزاحاً لأنه زاح عن الحق ، وكم من افتراق بين أخوين ،
وهجران بين متآلفين ، كان أول ذلك المزاح .

أبنا محمد بن أحمد بن الحسين القرشى حدثنا الأسود بن عامر عن
أبي إسرائيل عن الحكم قال : كان يقال « لاتمارِ صديقك ولا تمازحه ، فإن
مجاهداً كان له صديق ، فمازحه ، فأعرض كلُّ واحدٍ منهما عن صاحبه ، فمأزاه
عن السلام حتى مات »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : وإن من المزاح ما يكون سبباً تهيج المرء ،
والواجب على العاقل اجتنابه ؛ لأن المرء مذموم فى الأحوال كلها ، ولا يخلو الممارى
من أن يفوته أحد رجلين فى المرء : إما رجلٌ هو أعلم منه ، فكيف يجادل من
هو دونه فى العلم ؟ أو يكون ذلك أعلم منه ، فكيف يمارى من هو أعلم منه ؟ .

ولقد سمعت حفص بن عمر البزار يقول : سمعت إسحاق بن الضيف يقول :
سمعت جعفر بن عون يقول : سمعت مسعر بن كدام يقول لابنه كدام :
إنى نخلتك^(٣) يا كدام نصيحتى فاسمع مقال أبٍ عليك شفيق

(١) ترى : إما من الرؤية ، فمعناه : تكشف وتظهر به الأضغان ، وإما من
الوزى . ومعناه : تقذح به نار العداوة ، وتشتعل به نار البغضاء .

(٢) جذ الجبل وجذمه : قطعه ، غير أن الجذ يستعمل كثيراً فى الثمار والزروع ،
لأن فيه معنى الاستئصال : والجنم فى القطع مع سرعة .

(٣) إما أن يكون بالحاء المعجمة ، من نخل الدقيق : صفاه ، واستخلص تقيه ،
يقصد أنى استخلصت لك أصدق نصيحة وأصفاها ، وإما من النحلة بالحاء المهملة -
وهى العطية الخالصة على ود وتكريم .

أما المزاح والمرء فدَعَّيْهُمَا خَائِفَانِ لِأَرْضَاهُمَا لِصَدِيقٍ
إِنِّي بَلَوْتُهُمَا فَلَمْ أَحْدِثْهُمَا لِحَاوِرٍ جَاراً ، وَلَا لِشَفِيقٍ
وَالْجَهْلُ يُزْرِئِي بِالْفَتَى فِي قَوْمِهِ وَعُرُوقُهُ فِي النَّاسِ أَيُّ عُرُوقٍ
قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الْمَرْءُ أَخُو الشَّنَّانِ ^(١) ، كَمَا أَنَّ الْمُنَاقِشَةَ أُخْتُ
الْعِدَاوَةِ ، وَالْمَرْءُ قَلِيلٌ نَفْعُهُ كَثِيرٌ شَرُّهُ ، وَمِنْهُ يَكُونُ السَّبَابُ ، وَمِنْ السَّبَابِ يَكُونُ
الْقِتَالُ ، وَمِنْ الْقِتَالِ يَكُونُ هِرَاقَةُ الدَّمِ ^(٢) وَمَا مَرَى أَحَدٌ أَحَدًا إِلَّا وَقَدْ غَيَّرَ
الْمَرْءُ قَلْبَيْهِمَا ، وَقَدْ أَحْسَنَ الَّذِي يَقُولُ :

وَإِيَّاكَ مِنْ حَلْوِ الْمَزَاحِ وَمَرَّةٍ وَمِنْ أَنْ يَرَاكَ النَّاسُ فِيهِ مَمَارِيَا
وَإِنْ مَرَّ الْمَرْءُ يُخَلِّقُ ^(٣) وَجْهَهُ وَإِنْ مَزَاحَ الْمَرْءَ يَبْدُو التَّشَانِيَا
دَعَاهُ مَزَاحٌ أَوْ مَرَاءٌ إِلَى التِّي بَهَا صَارَ مَقْلَى الْإِخَاءِ وَقَالِيَا ^(٤)
أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْذِرِ حَدَّثَنِي كَثِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التَّمِيمِيُّ حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ
الطَّلْحِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو الْأَخْفَشِ الْكِنَانِيُّ أَنَّهُ قَالَ لِابْنِ لَهُ :

أَبْنِي لَا تَكُ مَا حَيَّتْ مَمَارِيَاً وَدَعِ السَّفَاهَةَ إِنَّمَا لَا تَنْفَعُ
لَا تُحْمَلَنَّ ضَعْفِيَةً لِقَرَابَةٍ إِنْ الضَّعْفِيَّةُ لِلْقَرَابَةِ تَقْطَعُ
لَا تَحْسِبَنَّ الْحِلْمَ مِنْكَ مَدَّةً إِنْ الْحَلِيمُ هُوَ الْأَعَزُّ الْأَمْنَعُ
أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْخَالِدِيُّ الْمَهْرِيُّ حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنُ مَرْزُوقِ بْنِ
قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ قَالَ : قَالَ بِلَالُ بْنُ سَعْدٍ « إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ
لِجُوجًا مَمَارِيَاً مَعْجَبًا بِرَأْيِهِ ، فَقَدْ تَمَّتْ خَسَارَتُهُ » .

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الْمَزَاحُ إِذَا كَانَ فِيهِ إِثْمٌ فَهُوَ يُسَوِّدُ الْوَجْهَ ،

(١) الشَّنَّانُ : شِدَّةُ الْبَغْضِ وَالْعِدَاوَةِ .

(٢) « هِرَاقَةٌ » أَصْلُهُ إِرْوَاقَةٌ ، وَيُقَالُ : أَرَاقٌ ، وَهَرَاقٌ ، وَأَهْرَاقٌ ، بِمَعْنَى سَفْحٍ

وَأَمْسَالٍ . (٣) أَخْلَقْتُ الثَّوْبَ : أَبْلَيْتُ جَدَّتَهُ ، وَأَذْهَبْتُ رُوْقَهُ وَبَهَجْتَهُ .

(٤) « الْمَقْلَى » اسْمُ مَفْعُولٍ ، مِنْ قَلَيْتُ ، بِمَعْنَى : هَجَرْتُ وَأَبْغَضْتُ .

ويُدْمى القلب ويورث البغضاء ، ويحي الضغينة ، وإذا كان من غير معصية يُسَلَّى الهم ويرقع الخُلَّة^(١) ، ويحي النفوس ، ويذهب الحِشْمَة ، فالواجب على العاقل أن يستعمل من المزاح ما يُنْسَبُ بفعله إلى الحلاوة ، ولا ينوي به أذى أحد ولا سرور أحد بمساءة أحد .

أخبرنا عبد الله بن محمد بن عائد - كان بهرة - حدثنا أحمد بن عبد الله ابن حكيم العرياني - قرية من قرى مرو - حدثنا سهل بن يحيى عن أبيه عن الأعمش عن إبراهيم قال « لا يمازحك إلا من يحبك » ،

أخبرنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا إبراهيم بن الجنيد حدثنا الصلت بن مسعود حدثني ابن عيينة قال : أظنني سمعته من داود بن شابور ، عن محمد ابن المنكر قال : قالت لى أمى وأنا غلام « لا تمازح الغلمان ، قتهون عليهم ، أو يجترثوا عليك » .

حدثنا عمرو حدثنا العلابي حدثنا ابن عائشة حدثنا دريد بن مجاشع عن غالب القطان عن مالك بن دينار قال : قال عمر بن الخطاب « من كثر ضحكك قلت هيبته ، ومن مزح استخف به ، ومن أكثر من شيء عرف به »
أبنا الحسن بن سفيان حدثنا أبو الدرداء حدثنا أبو إسحاق الطالقاني عن مُبَشَّر بن إسماعيل عن راشد بن أبي قبال قال « استسقى سعيد بن جبير ، فأتيته بسويق مُحَلَّى ، فقال : ياراشد شـكـر أزدست شيرين^(٢) »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : من مازح رجلا من غير جنسه هان عليه واجترأ

(١) الخلة - بضم الخاء - : الصداقة ، أى يرقع ويصلح من الصداقة والمحبة ما مزقته اللذلة والسأم .

(٢) بالفارسية - السكر : السكر . أز : من . دست : يد . شيرين : حلو .
ومناه : السكر يكون من يدك حلوا .

عليه ، وإن كان المزاح حقاً ، لأن كل شيء لا يجب أن يسلك به غير مسلكه ، ولا يظهر إلا عند أهله .

على أنى أكره استعمال المزاح بحضرة العام ، كما أكره تركه عند حضور الأشكال .

ولقد أخبرنا كامل بن مكرم حدثنا ربيعة بن الحارث الجيلاني حدثنا عبد الله ابن عبد الجبار الجباري قال : قال أبو عبد الرحمن الأعرج « كان إبراهيم بن أدهم يحدثنا ، ويضاحكنا ، وإذا رأى غيرنا قال : هذا جاسوس »

ذكر استحباب الاعتزال من الناس عاماً

أنا عبد الله بن محمد بن سلم - بيت المقدس - حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم حدثنا الوليد حدثنا الأوزاعي عن الزهري عن عطاء بن يزيد الليثي عن أبي سعيد الخدري قال « قيل : يا رسول الله ، أى الأعمال أفضل ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله ، قال : ثم ماذا ؟ قال : رجل فى شعبٍ من الشَّعَابِ يتقى الله ، ويدعُ الناس من شره »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لزوم الاعتزال عن الناس عاماً ، مع توقي مخالطتهم ؛ إذ الاعتزال من الناس لو لم يكن فيه خصلة تُحمد إلا السلامة من مقارفة المأثم لكان حقيقاً بالمرء أن لا يُكدر وجود السلامة بلزوم السبب المؤدى إلى المناقشة .

ولقد أخبرنى الحسن بن سفيان حدثنا حبان بن موسى ، أنا عبد الله ، أخبرنا شعبة عن حبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن عمر بن الخطاب قال : « خذوا بحظكم من العزلة » .

أنا عمرو بن سعيد بن سنان الطائى حدثنا حامد بن يحيى البلخى قال : سمعت سفيان بن عيينة يقول « رأيت الثورى فى المنام ، فقلت له : أوصنى ، فقال : أقل معرفة الناس ، أقل معرفة الناس ، أقل معرفة الناس »

أبناؤنا القطان بالرفقة حدثنا المروزي قال : سمعت أحمد بن حنبل يقول
« رأيت ابن السمك يكتب إلى أخ له : إن استطعت أن لاتكون لغير الله عبداً
ما وجدت من العبودية بدءاً ، فافعل » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لا يستعبد نفسه لأمثاله بالقيام فى رعاية
حقوقهم ، والتصبر على ورود الأذى منهم ، ما وجد إلى ترك الدخول فيه سيلاً ،
لأنه إذا حسم عن نفسه ترك الاختلاط بالعالم ، والمخالطة بهم تمكن من صفاء
القلب ، وعدم تكدر الأوقات فى الطاعات .

ولقد استعمل العزلة جماعة من المتقدمين مع العام والخاص معاً .

كما أخبرنا محمد بن إبراهيم الخالدي حدثنا داود بن أحمد بن سليمان الهمداني
حدثنا عبد الرحمن بن عفان قال : سمعت ابن المبارك يقول « عاد فضيل داود
الطائي ، فأغلق داود الباب ، وجلس فضيل خارج الباب يبكي ، وداود داخل
البيت يبكي »

أبناؤنا الحسين بن محمد السنجى حدثنا على بن المنذر حدثنا الحسن بن مالك
قال : سمعت بكر محمد العابد يقول : قال لى داود الطائي « يابكر ، استوحش
من الناس كما تستوحش من السبع » .

أبناؤنا محمد بن أحمد بن الفرج البغدادي بالأبلة حدثنا إبراهيم بن حماد بن
زياد حدثنا عبد العزيز بن الخطاب قال « رؤى إلى جنب مالك بن دينار كلب
عظيم ضخم أسود رابض ، فقيل له : يا أبا يحيى ، ألا ترى هذا الكلب إلى جنبك؟
تن : هذا خير من جليس السوء » (١)

(١) إن ما يمدحونه من العزلة والاختباء عن الحياة العامة لا يجوز أن يكون
حال أهل الخير جميعاً ، وإنما هو حال الضعيف ، الذى لا يقدر عن أن يدفع عن نفسه
ما يصاب به من شرور المجتمع ، ومن ثم لم يكن حال الأنبياء . ولا حال ورتهم
الصادقين كبار النفوس أولى العزم والأحمال . وفى الحديث الصحيح : « المؤمن =

قال أبو حاتم رضى الله عنه : هذا الذى ذهب إليه داود الطائى وضرباؤه من القراء من لزوم الاعتزال من الخاص ، كما يلزمهم ذلك من العام - أرادوا بذلك عند رياضة الأنفس على التبصر على الوحدة ، وإيثار ضد الخاطئة على المعاشرة ؛ فإن المرء متى لم يأخذ نفسه بترك ما يبيح له فأنا خائف عليه الوقوع فيما حظر عليه .

وأما السبب الذى يوجب الاعتزال عن العالم كافة : فهو ما عرفتهم به من وجود دَفْن الخير ، ونشر الشر ، يدفنون الحسنة ، ويظهرون السيئة . فإن كان المرء عالماً بدعوه ، وإن كان جاهلاً غيروه ، وإن كان فوقهم حسدوه ، وإن كان دونهم حقرّوه وإن نطق قالوا : مهذار ، وإن سكت قالوا : عيبى ، وإن قدر قالوا : مقتر ، وإن سمح قالوا : مبذر ، فالنادم فى العواقب ، المحطوط عن المراتب ، من اغتر بقوم هذا نعتهم ، وغره ناس هذه صفتهم .

ولقد أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل أخبرنى أحمد بن محمد بن بكر الأبنابى عن داود بن رشيد ، قال : حدثنى إبراهيم بن شماس قال : قال لى الأكَاف حفص بن حميد صاحب ابن المبارك بمرؤ « يا إبراهيم ، صحبت الناس خمسين سنة ، فلم أجد أحداً ستر لى عورة ، ولا وصلنى إذا قطعته ، ولا أمنتته إذا غضب ، فالاشتغال بهؤلاء حمق كثير »

== القوى خير من المؤمن الضعيف « خير لنفسه ، لأنه يزداد إيماناً وتقوى بأمرهم ونهيهم ، ويزداد يقظة وقوة وصلاحاً بتجنب ما يرى ويعلم من فسادهم وتحكم أهوائهم فى عقولهم ودينهم ، فإن التزم أهل الخير جميعاً العزلة فمن الناس يبلغهم عن الله إذا انكش الذين يقولون عن أنفسهم إنهم صالحون ؟ ومن ينكر المنكر إذا هرب من الميدان من يزعمون أنفسهم أنهم المتقون ؟ أليس بهذه العزلة والانكاش يجد شياطين السلسل الميدان خالياً ، فيتغلبوا حتى على من زعموا أنفسهم هاربين وفارين بالعزلة من الميدان ، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم .

وأُشِدني محمد بن المهاجر المعدل لعلی بن حجر السعدی :
زمانك ذا زمانُ دخول بيت وعفظ للسان ، وخفض صوت
فقد مرَّجتُ عهد الناس إلا أقنهم ، فبادر فبَل قوتِ (١)
فما يبقى على الأيام شيء وما خلق امرؤ إلا لموت
أخبرنا يعقوب بن إسحاق القاضي حدثنا محمد بن يحيى قال : وفيما قرأت
على نافع عن مالك بن أنس « أنه بلغه عن أبي ذر قال : كان الناسُ ورَقًا لاشوك
فيه ، فهم اليوم شوك لا ورق فيه » .

أنبأنا محمد بن أبي علي الخلادي حدثنا جنيد بن حكيم الدقاق حدثنا سليمان
ابن أبي شيخ قال : كان القحذمي ينشد كثيرًا :

ذَهَبَ الحَسَنُ والجَمالُ من الناس ، ومات الذين كانوا مِلاحا
وَبَقِيَ الأَسْمَجونُ من كلِّ صِنْفٍ إنَّ في الموت من أولئك راحا (٢)
قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يعلم أن البشر محبوبون على أخلاق
متباينة ، وشيم مختلفة ، فكل واحد يُحب أتباع مساعدته ، وترك مباعده ،
فمتى رام من أخيه ضدَّ ما وطن نفسه عليه قِلاَه (٣) ، وإذا تبين له منه خلاف
ما أضر عليه قلبه مله ، ومن الملل يكون الاستئقال ، ومن الاستئقال يكون
البغض ، ومن البغض تهيج العداوة ، فالاشتغال هذا بمن نعته للعاقل حق .

ولقد أحسن النَّباجي حيث يقول :

أرْفُضُ الناس ، وكلَّ مشغلَه قد بخل الناس بمثل خردلَه
* لا تسأل الناس وسلَّ من أنت له *

(١) مرجت : اختلطت . فلم يدر صادق العهد من مائه .

(٢) بقى : هذه لغة طيء ، يفتحون ما انكسر قبل الآخر من المعتل فتقلب

ياؤه ألفًا ، فيقولون : رَضَى ، وَبَقَى ، وَفَنَى ، وما أشبه ذلك .

(٣) قلاه : كرهه ، ومضارعه يقلوه ، ويقليه .

وأُشِدُّنِي ابنُ أبي علي قال : أنشدني محمد بن بن يعقوب العبدي :
إذا قلتُ : هذا صاحبٌ قد رضيتُهُ وقَرَّتْ به عيناى ، بُدِّئْتُ آخرا
وذلك : أنى لا أصحابُ صاحباً من الناس إلا خاننى وتغيَّرا
أخبرنا عبد الله بن محمد بن مسلم حدثنا أحمد بن أبي الحواري حدثنا أبو مسهر
عن سعيد بن عبد العزيز قال : قال مكحول « إن كان في مخالطة الناس خير
فالعزلة أسلم » .

أبانا علي بن سعيد العسكري حدثنا شعيب بن يحيى حدثنا أحمد النسائي
حدثنا يحيى بن عبد الأعلى أن مالك بن دينار كان يقول « من لم يأنس بحديث
الله عن حديث المخلوقين فقد قلَّ علمه ، وعمي قلبه ، وضع عمره »
أبانا القطان حدثنا أحمد بن أبي الحواري حدثنا محمد بن روح قال : سمعت
إبراهيم البخاري يقول : « دخلت المسجد الحرام بعد المغرب ، فإذا فضيل
جالس ، فجلت ، فجلست إليه ، فقال : من هذا ؟ فقلت : إبراهيم ، قال : ماجاء
بك ؟ قلت : رأيتك وحدك ، فجلست إليك ، قال : تحب أن تغتاب ، أو تزين ،
أو ترائى ؟ قلت : لا ، قال : قم عنى »

ذكر استحباب المؤاخاة للمرء مع الخاص

أبانا أحمد بن علي بن المثني بالموصل حدثنا قطن بن نسير حدثنا جعفر بن
سليمان حدثنا ثابت عن أنس قال « آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين
سلمان وأبي الدرداء ، وآخى بين عوف بن مالك وبين الصَّعب بن جَثَّامة ^(١) »
قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن لا ينفل عن مؤاخاة
الإخوان ، وإعداده إياهم للنوائب والحدثنان ، لأن من تعزَّى عن موضع سلوته

(١) روى البخارى ومسلم وأبو داود عن أنس قال « حالف رسول الله صلى الله
عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار فه هارنا مرتين أو ثلاثا »

بأخيه عند الهموم والغموم ، كان عقله إلى التقديح أقرب ، ومن الماء أنقص .
ولقد أنبأنا محمد بن المنذر حدثنا الفضل بن عبد الصمد الأصبهاني حدثنا
يزيد بن خالد الرملي حدثنا سهيل أبو عمرو قال : قال محمد بن واسع « لم يبق من
العيش إلا ثلاث : الصلاة في الجماعة ، ترزقي فضلها ، وتكفي سهوها . وكفاف
من معاش ليست لأحد من الناس عليك فيه منة ، ولا لله عليك فيه تبعه ^(١) .
وأخ محسن العشرة ، زُغْتَ قَوْمِكَ » .

أنبأنا عبد الرحمن بن عبد المحسن بجران حدثنا محمد بن عبد الله القصار
أنبأنا عبد الرزاق عن ابن المقفع قال « ثلاث من اللذات : محادثة الإخوان ،
وأكل القديد ، وحك الجرب ^(٢) » .
أنبأنا محمد بن أبي علي حدثنا محمد بن هريم الشيباني أنشدنا محمد بن عمران
الضبي :

وما المرء إلا بإخوانه كما تقبض الكف بالمعصم
ولا خير في الكف مقطوعة ولا خير في الساعد الأجزم

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن لا يعد في الأدواء إخاء
من لم يُواته الصّراء ، ولم يشاركه في السراء ، وربّ أخى إخاء خير من أخى
ولادة ، ومن أتمّ حفاظ الأخوة تفقد الرجل أمور من يوده .

والوُدّ الصحيح هو الذى لا يميل إلى نفع ، ولا يفسده منع ، والمودة أمن ،
كما أن البغضاء خوف .

(١) أى : تبعه كثيرة وإلا فكل نعمة من نعم الله مهما رأيتها صغيرة ، فإن الله
يحاسب عليها (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) ،
(٢) أما محادثة إخوان الصفاء والصدق فنع ، وأما أكل القديد فلا يكون لذيذاً
إلا عند الخمصة والفقير ، ونعوذ بالله من الفقر ، وأما الجرب : فنسأل الله العافية ،
فماذا فى هذين من لذة ؟

والعاقِل لِأَيُّوَاخِي إِلا مَن خَالَفَهُ عَلى المَوى ، وَأَعَانَهُ عَلى الرَأى ، وَوَأَفَقَ سِرَّهُ
عَلايَتِهِ ، لِأَن خَيرَ الإِخْوَانِ مَن لَمْ يَنَاقِشْ ، كَمَا أَن خَيرَ الثَنَاءِ مَا كَانَ عَلى أَفْوَاهِ
الأَخِيَارِ ، وَالمُستَوخَمُ ^(١) لا يُؤَلَّفُ كَمَا أَن غَيرَ الثِقَةِ لا يُودُ ، فَمَتَى مَا آخَى المَرءُ مَن
لَمْ يَصَافِهِ بِالوَفَاءِ يَجِبُ الاستِظْهَارُ عَليه بِنِ يَسْئَلِيهِ عَنهُ ، لِأَن التُّوددَ مِمَّن
لا يودُ يُعَدُّ مَلَقًا ، وَلا يَفوتُ الإِنسَانُ فى الأُخوةِ أَحَدُ رَجُلَيْنِ : إِما أَرِيبَ قَصَّرَ
فى حَقوقِهِ فَاعتَالَه بِمَكْرٍ ، وَإِما جَاهِلٌ لَمْ يَصَافِهِ فَيؤذِيهِ بِسوءِ مَعاشرَتِهِ ، وَصِيانَةُ
الأُخوةِ لَيسَت إِلا فى الاستِغْناءِ عَنِ الإِخْوَانِ .

وَلقد أَحسَنَ العَباسُ بنَ عَبيدِ بنِ يَعيشِ حَيتَ يَقولُ :

كَم مَن أَخٍ لَكَ لَمْ يَلِدْهُ أَبُوكَ	وَأَخٌ أَبُوهُ أَبُوكَ قَدِ يَجفوكا
صَافِ الكِرامِ إِذا أَرَدتَ إِخاءَهُم	وَأَعَلِمَ بَأَن أَخا الحِفاظِ أَخوكا
كَم إِخوةٍ لَكَ لَمْ يَلِدْكَ أَبُوهُم	وَكَأَنَّمَا آباؤُهُم وَلدوكا
لو كَنتَ تَحمَلُهُم عَلى مَكروهِةٍ	تَحشى الخُتوفِ ^(٢) بِهالِما خَدلوكا
وَأقارِبِ لو أَبصَروكَ مَعلَقًا	بِنايَطِ قَلبِكَ ثَمَّ ما نَصَروكا
الناسُ ما اسْتَغْنيتَ كَنتَ أَخاهُم	وَإِذا افْتَقَرتَ اليَهُمُ فَضَحوكا

أَخبرنا القطان بالرقه حدثنا أحمد بن إسماعيل السنى حدثنا عبد الرزاق عن
معمر قال « دخلت على قتادة وأنا ظمآن ، وفي الحجره حب ^(٣) ماء ، فقلت :
أشرب من مائكم هذا ؟ قال : أنت لنا صديق . »

قال أحمد : قال عبد الرزاق : يتأول القرآن (أو صديقكم) يقول : لا يستأذن
أبنانا محمد بن سعيد القزاز حدثنا علان بن المغيرة البصرى حدثنا عمرو

(١) الأرض الوخيمة والوخمة : الرديئة المناخ السبخة التربة التي لا ينجع كأؤها .

ورجل وخيم : ردىء الطبع ثقيل النفس ، سىء الخلق .

(٢) الختوف : المنايا والمهالك ، واجدها : حنط ، بفتح فسكون .

(٣) الحب - بكسر الحاء المهملة - البجرة الكبيرة .

الناقد حدثنا ابن عيينة عن أيوب السخيتاني أنه قال « يزيدني حرصاً على الحج لقاء إخواني لي لا أقام بغير الموسم »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يعلم أن الفرض من المؤاخاة ليس الاجتماع والمؤاكلة والمشاركة ، والمشاركة يداخلون الرجال على التقارف^(١) ، ولا يردادون بذلك مودة ، ولكن من أسباب المؤاخاة التي يجب على المرء لزومها مشي القصد^(٢) وخفض الصوت ، وقلة الإعجاب ، ولزوم التواضع وترك الخلاف .

ولا يجب للمرء أن يكثر على إخوانه المؤونات فيبرمهم^(٣) ، لأن المرضع إذا كثر مته ربما صجرت أمه فتلقيه .

ولا ينبغي لمن قدر أن يمنع أخاه شيئاً يحتاج إليه ليحبر به مصيبته ، أو يفرج به كربته .

والعاقل لا يؤاخى لثيماً ، لأن اللثيم كالحية الصماء^(٤) لا يوجد عندها إلا اللدغ والسّم ، ولا يصل اللثيم ، ولا يؤاخى إلا عن رغبة أو رهبة ، والكريم يؤد الكريم على لثيمة واحدة^(٥) ، ولو لم يلتقيا بعدها أبداً .

ولقد أخبرنا محمد بن المنذر حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن يونس حدثنا إسماعيل

(١) التقارف : أى على قصد الإثم والعدوان .

(٢) أى الوسط ، الذى وصف الله به عباد الرحمن بقوله (٢٥ : ٦٣ الذين يمشون على الأرض هوناً) والذى ذكره الله من وصايا لقمان بقوله (٣١ : ١٩) واتصد فى مشيك واغضض من صوتك) والذى حذر الله من ضده فى وصايا الحكمة بقوله (١٧ : ٣٧) ولا تعش فى الأرض مرحاً إنك لن تحرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً)

(٣) يبرمهم : يملهم ويستهمهم .

(٤) الصماء : التى لا تستجيب لرقة الراقى .

(٥) اللثيمة : المرة من اللثام .

ابن محمود عن ابن المبارك عن سفيان عن يونس بن عبيد « أنه أصيب بمصيبة
قليل له ابنٌ عوف لم يأتك ؟ فقال : إنا إذا وثقنا بمودة أخينا لم يضره أن
لا يأتينا » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : العاقل يتفقد ترك الجفاء مع الإخوان ، ويراعى
محوها إن بدت منه ، ولا يجب أن يستضعف الجفوة اليسيرة ، لأن من استضعف
الصغير يوشك أن يجمع إليه صغيراً ، فإذا الصغير كبير ، بل يبلغ مجهوده في تحوها ،
لأنه لا خير في الصدق إلا مع الوفاء ، كما لا خير في الفقه إلا مع الورع ، وإن
من أخرج الخرق التماس المرء الإخوان بغير وفاء ، وطلب الأجر بالرياء ، ولا شيء
أضيق من مودة تمنح من لا وفاء له ، وصنعة تصطنع عند من لا يشكرها .

وأنشدني الخلابي قال : أنشدني محمد بن محمد البكري :

احذر مودة ماذق^(١) خلط المرارة بالحلاوة

يُحصى الذنوب عليك أيام الصداقة للعداوة

وأنشدني محمد بن إبراهيم البصري - بصور - لنفسه :

لا يفرنك صديق أبدا	لك في المنظر ، حتى تحببه
كم صديق كنت منه في عي	غرني منه زماناً منظره
كان يلقاني بوجه طلق	وكلام كاللألى ينثره
فإذا قشته عن غيبه	لم أجد ذاك لودٍ يضره
فدع الإخوان إلا كل من	يضر الود كما قد يظهره
فإذا فزت بمن يجمع ذا	فاجملنه لك ذخراً تذخره

أبنا القبطان بلرة حدثنا هشام بن عمار حدثنا إبراهيم بن موسى المكي عن

يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن المسيب قال « وضع عمر بن الخطاب

(١) الماذق : الذي لا يخلص الود ، بل يمزجه بباطل ومقاصد شخصية .

رضى الله عنه للناس ثمانية عشر بكلمة ، كلها حكم ، قال : ما كفات من يعصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه ، وضَّع أمر أخيك على أحسنه ، حتى يأتيك منه ما يغلبك ، ولا تظنَّ بكلمة خرجت من مسلم شرًّا ، وأنت تجد لها في الخير محملاً ، ومن تعرَّض للهمة فلا يلومنَّ من أساء به الظن ، ومن كتم سرِّه كانت الخيرة^(١) في يديه ، وعليك بإخوان الصدق فعش في أكنافهم^(٢) ، فإنهم زينة في الرخاء ، وعُدَّة في البلاء ، وعليك بالصدق وإن قتلك الصدق ، ولا تعرضْ لما لا يعنيك ، ولا نسأل عما لم يكن . فإن فيما كان شغلا عما لم يكن ، ولا تطلبن حاجتك إلى من لا يجب لك نجاحها ، ولا تصحبنَّ الفاجر فتعلم فجوره ، واعتزل عدوك ، واحذر صديقك إلا الأمين ، ولا أمين إلا من خشى الله ، وتخشع عند القول ، وذللَّ عند الطاعة ، واعتصم عند المعصية ، واستشر في أمرك الذين يخشون الله ، فإن الله يقول (٣٥ : ٢٨ إنما يخشى الله من عباده العلماء) .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لا يواخى إلا إذا فضل في الرأى والدين والعلم والأخلاق الحسنة ، ذا عقل نشأ مع الصالحين ، لأن صحبة بليد نشأ مع العقلاء خير من صحبة لبيب نشأ مع الجهال .
ورأس المودة الاسترسال ، وأقتها الملالاة ، ومن أضع تعهد الود سن إخوانه حرم ثمرة إخوانهم ، وآيس الإخوان من نفسه ، ومن ترك الإخوان مخافة تعاهد الود بوشك أن يبقى بغير أخ ، كما أن من ترك نزع الماء إشفافا على رشائه^(٣) يوشك أن يموت عطشا .

والعاقل يستخير أمور إخوانه قبل أن يؤاخيهم ، ومن أصح الخبرة للمرء

(١) الخيرة - بوزن عنة - ما يختاره بمشيئته ، يقصد : أنه إذا أفنى سره كان

أمره بيد من أفشاه إليه ، لا يديه هو ، فلم يكن له مشيئة .

(٢) الأكناف : جمع كنف ، وهو الجانب والناحية .

(٣) الرشاء : الجبل الذى يخرج به الدلو من البئر .

وجود حالته^(١) بعد هيجان الغضب .

أبناؤنا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا الثعالبي حدثنا عبد الله بن الضحاك الهدادي حدثنا هشام بن محمد عن عوانة بن الحكم قال : قال لقمان لابنه « يا بني إذا أردت أن تواخي رجلاً فأغضبه قبل ذلك ، فإن أنصفك عند غضبه وإلا فدعه »

أبناؤنا محمد بن صالح الطبري حدثنا أبو هشام الرفاعي حدثنا داود بن يحيى ابن اليمان عن أبيه عن سفيان قال « اصحب من شئت ، ثم اغضبه ، ثم دس إليه من يسأله عنك » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : من لم ينصفك عند غضبه لم تودك^(٢) أيامه ، وليس الصديق كالمراة يطلقها المرء إذا شاء^(٣) ، والجارية يبيعها متى أحب ، ولكنه عرضه ومروءته ؛ فالتبث والاثناد أولى به من التهاجر والاقطاع ، ومن غاب عنه أخوه فلا يغيب عما يجب له عليه ، وليكثر منهم عدة للشدائد ، لأن

(١) يعنى وجود حالته فى الود بعد هيجان الغضب كحالته فيه عند الرضا .

(٢) كذا بالأصل : ولعله يقصد لم يأتك من أيامه ماتوده وتريده من الإخاء .

(٣) غالى الشيخ فى الخط من منزلة الزوج ، وكيف ومن لم يتخذ الزوجة على

الصداقة والمودة ، فلم يتزوج كما شرع الله ، فإنه سبحانه يقول (٣٠:٢١) ومن آياته أن

خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة) وأكد فى

كثير من آى الذكر الحكيم من حق الزوج ما لم يؤكد من حق الصديق ، وأين

الصديق من الزوج التى يقول فيها (٢:١٨٧)هن لباس لكم وأتم لباس لهن) ويقول

(٤:٢١)وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً !) والزوج أحق أن

تكون عرضه الرجل ومروءته ، ويسير عليك أن تستبدل صديقاً بصديق ، وأعسر

العسر أن تستبدل زوجاً مكان زوج - وقد ارتبطتما بعلائق من الأولاد وغيرها .

مالا يوجد مثلها ولا بعضها فى الصديق - فواجب العاقل : أن يتأنى ويتفحص ويتثبت

فى اختيار الزوج ما لا يئزم بعضه فى اختيار الصديق ، والسعادة بالزوجة الوفية

الصالحة القاتنة الحفيظة للغيب أضعاف أضعاف السعادة بأوفى الأصدقاء وأخلص الأوداء .

الشرع دقته إذا جمع عمل منه الجبل الغليظ الذي يقهر الفيل المتعلم^(١)، ولا يصلح أن يكون رفيقاً من لم يزدود ريقاً.

وأشدني الخلداني قال : أشدني محمد بن محمد البكري لصالح بن عبد القدوس^(٢) :

إذا كان ودّ المرء ليس برائد على «سرحباً» أو «كيف أنت؟» وحالكاً أو القول «إني وامق لك ، حافظ» وأفضاله تُبدي لنا غير ذلك ولم يك إلا كائناً أو محدثاً فأفّ لودّ ليس إلا كذلك ولكن إخاء المرء من كان دائماً الذي الودّ منه حينما كان سالكاً أخبرنا أبو يعلى حدثنا علي بن الجعد حدثنا سفيان الثوري عن شعبة قال : خرج عبد الله بن مسعود على أصحابه فقال « أنتم جلاء حزني » .

أخبرني محمد بن سعيد القزاز حدثنا هلال بن العلاء حدثنا إسحاق بن الضيف عن شيبه بن أبي مسهر عن الحكم بن هشام قال خالد بن صفوان « لم يبق من لذات الدنيا إلا ثلاث : مجالسة النسوان ، وشمّ الولدان ، ولقبي الإخوان » . حدثنا محمد بن المنذر حدثنا مسعدة بن حازم المصري حدثنا خالي هارون ابن سعيد حدثنا خالد بن زرار حدثنا سفيان عن موسى بن عقبة قال « إن كنت لألقى الأخ من إخواني فأكون بلقيته عاقلاً أياماً » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : فد ذكرت ما يشاكل هذه الحكايات في كتاب «مراعاة العشرة» فأغنى ذلك عن تكرارها في هذا الكتاب .

فالواجب على العاقل أن يعلم أنه ليس من السرور شيء يمدل صحبة الإخوان ، ولا غم يعدل غمّ قديم ، ثم يتنوق حده مفسدة من صافاه ،

(١) الاغتلام : شدة ثوران الشهوة في الفحل للضراب ، وتشتد شراسة الفيل وغيره من الضحول عند ذلك .

(٢) سيميد أولها وثالثها مع بيتين آخرين في ص ١١١ .

ولا يسترسل إليه فيما يشينه ، وخير الإخوان مَنْ إذا عَظَّمْتَهُ صَانِكٌ ، ولا يعيب أخاه على الزَّلَّةِ ؛ فإنه شريكه في الطبيعة ، بل يصفح ، ويتنكب محاسدة الإخوان ؛ لأن الحسد للصدیقِ مِنْ سَقَمِ المودَةِ كما أن الجود بالمودَةِ أعظم البذل ، لأنه لا يظهر ود صحيح من قلب سقيم ، وليحذر المرء في إخوانه أَلَمَ التَّثْقِيلِ على أخيه ؛ لأن من ثقل على صديقه خف على عدوه ، وإن من أعظم المعونة على تسلية الهم الرضا بالقضاء ، ولقَى الإخوان .

أنبأنا محمد بن هلال العبقي حدثني يونس بن إبراهيم العزى حدثنا إبراهيم ابن عبد الله العدني عن سفيان أنه قيل له « ما ماء العيش ؟ قال : لقاء الإخوان » .

حدثنا القطان حدثنا أحمد بن أبي الحواري حدثنا المسيب بن واضح عن ابن المبارك قال : قال سفيان : « لم مما لقيتُ الأخ من اخواني ، فأقيم شهراً عاقلاً ببقائه » .

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

استكثرنَّ من الإخوان لِمُ خَيْرِ كَانَتْهُمْ كَنْزاً من الذهب
كَمِ مِنْ أَخٍ لَكَ لو نَابِتِكَ نَائِبَةٌ وَجَدْتَهُ لَكَ خَيْراً من أَخِي النَسَبِ
وَأَنْشَدَنِي السَّكْرِيزِيُّ :

من خير ما حُرِّزْتَهُ وَوَدُّ لَذِي كَرَمٍ يَجْزِيكَ مَا عَشْتِ بِالْإِحْسَانِ إِحْسَانًا
تَلَقَى بِشَاشْتِهِ فِي قَرْبِهِ ، وَإِذَا أَنْأَلَ نَالَكَ مِنْهُ الْبِرُّ مَا كَانَا
أنبأنا القطان حدثنا أحمد بن أبي الحواري قال : سمعت أبا سليمان يقول
« كنت أنظر إلى أخ من إخواني بالعراق ، فأعمل على رؤيته شهراً » .

حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا سويد بن سفيد حدثنا مسلم بن عبيد
أبوفراس قال : قال ربيعة « المروءة مروءتان : فلسفر مروءة ، وللعنصر مروءة ؛
فأما مروءة السفر : فبذل الزاد ، وقلة الخلاف على أصحابك ، وكثرة المزاح في

غير مسأخظ الله، وأما مروءة الحضرة: فالإدمان إلى المساجد، وكثرة الإخوان في الله، وتلاوة القرآن .

ذكر كراهية المعاداة للناس

أنبأنا محمد بن عبد الله بن عبد السلام - ببيروت - حدثنا محمد بن محمد بن مصعب وحدثني ابن المبارك عن عمرو بن واقد عن إسماعيل بن عبيد الله عن أم الدرداء عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « أول شيء نهاني عنه ربي - بعد عبادة الأوثان - لعن الحمير، وملاحاة الرجال » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يعلم أن من يودد لم يحسده ، ومن لم يحسده لم يعاده ؛ فيكون للعدو المكاتم أشدَّ حذراً منه للعدو البارز ، ومن وجد عنده مغترأ ، وكان ممن لا يعفو ، ثم لا ينتصف منه ؛ أصابته الندامة ، والرأى إذا كان من الأريب كان أبلغ في هلاك العدو من العدد الكثير من الجنود ، وترك العداوة على الأحوال كلها أحوط للعاقل من الخوض في سلوكها .

أنبأنا الحسن بن سفيان حدثنا حبان بن مرسى أخبرنا عبد الله بن هارون هو الأعور عن إسماعيل قال « لا تشتري عداوة رجل بمودة ألف رجل » .
وأنشدني عمرو بن محمد قال : حدثنا الغلابي ، قال : أنشدني مهدي ابن سابق :

تكثر من الإخوان ما اسطعتَ إنهم عماد إذا استنجدتهم وظهور
وليس كثيراً ألف خيلٍ لصاحب وإن عدواً واحداً لكثير
قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يجب على العاقل أن يكافئ الشربمثلة ،
وأن يتخذ اللعن والشتم على عدوه سلاحاً ؛ إذ لا يستعان على العدو بمثل إصلاح
العيوب ، وتحصين العورات ، حتى لا يجد العدو إليه سبيلاً .

والعاقِل لا يرحم مَنْ يخافه، ولا يترك إحصاء معائب العدو، ويتفقد عشراتهم مع السكوت عن ثلبه، ولا يستضعف عدواً بحيلة؛ فإن من استضعف الأعداء اغتر، ومن اغتر لم يسلم، اللهم إلا أن يكون العدو ذليلاً فإذا كان كذلك عطف عليه بالإغضاء؛ لأن العدو الذليل أهلٌ أن يُرحم، كما أن المستجير الخائف أهلٌ أن يؤمن، والممادة للعاقِل خير من المصافاة للجاهل.

وأنشدني الخلابي أنشدني أحمد بن محمد البكري:

وَوَلَكُنْ يُعَادِي عَاقِلًا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ صَدِيقٌ أَحْمَقُ
فَارْغَبْ بِنَفْسِكَ أَنْ تَصَادِقَ أَحْمَقًا إِنْ الصَّدِيقَ عَلَى الصَّدِيقِ مُصَدِّقٌ

وأنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي:

أَخْلَقُ بَذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْتِجِيَ بِحَاجَتِهِ وَمَدَمَنْ الْقَرْعَ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلِجَا
أَبْصُرْ لِرَجْلِكَ قَبْلَ أَنْ تَخْطُوَ مَوْضِعَهَا فَمَنْ عَلَا قَلَّةً عَنْ غِرَّةٍ زَلْجًا^(١)
قال أبو حاتم رضي الله عنه: العاقِل يبصر موضع خطواته قبل أن يضعها، ثم يقارب عدوه بعض المقاربة، لينال حاجته، ولا يقاربه كل المقاربة فيجترأ عليه، والعاقِل لا يعادى ما وجد إلى المحبة سبيلاً، ولا يعادى من ليس له منه بد، ولا العدو الحنق الذي لا يطاق؛ فإنه ليس له حيلة إلا الهرب منه، وحيلة السبيل إلى القدرة على العدو وجود الغرّة فيه، وأن يرى العدو أنه لا يتخذ عدواً، ثم يصادق أصدقاءه، فيدخل بينه وبينهم.

وأحزم الأمور في أمر العدو: أن لا يذكره بسوء إلا عند الفرصة، وإن من أيسر الظفر بالأعداء اشتغال بعضهم ببعض، وإن مما يستعين به المرء على عدوه: مجانبته من يعاشره، ويصحب عدوه.

(١) يقول: إن من يمشى على غير تبصر، فمهما بلغ من العلو ولو إلى قمة الجبل وهي قمته، فلا بد أن تزل قدمه، فيجرح، فلعله أن يتحطم.

أخبرني محمد بن سعيد القزاز حدثني أحمد بن زهير بن حرب قال : سمعت يحيى بن معين يقول : قال ابن السماك « لا تحفَّ ممن تحذر ، ولكن احذر ممن تأمن » .

وأشدني علي بن محمد البسامي :

تمنيتُ أن أبقى معافى ، وأن أرى علي من يُناويني تدور الدوائر^(١) فيصبح مخذولا ، وأمسى سالماً إلى الله داع بالكفاية ناصرُ

سمعت محمد بن محمود يقول : سمعت علي بن خشرم يقول : سمعت الفضل ابن موسى الشيباني يقول « كان صياد يصطاد العصافير في يوم ريح ، قال : فجعلت الرياح تُدخلُ في عينيه الغبار ، فتذرفان ، فكلما صاد عصفوراً كسر جناحه وألقاه في ناموسه . فقال عصفور لصاحبه : ما رفقَ علينا ، ألا ترى إلى دموع عينيه ؟ فقال له الآخر : لا تنظر إلى دموع عينيه ، ولكن انظر إلى عمل يديه » قال أبو حاتم رضي الله عنه : العاقل لا يأمن عدوه على كل حال ، إن كان بعيداً لم يأمن مغادرته ، وإن كان قريباً لم يأمن موابته ، والعاقل لا يخاطر بنفسه في الانتقام من عدوه : لأنه إن هلك في قصده قيل : أضاع نفسه ، وإن ظفر قيل : القضاء فعله .

والمعاداة بعد الخلة فاحشة عظيمة ، لا ثليق بالعاقل ارتكابها فإن دفعه الوقت إلى ركوبها ترك للصلح موضعاً .

وأشدني بعض أهل الأدب لأبي الأسود الدؤلي :

وأحِبُّ إذا أحبت حنأً مُقارباً فإنك لاتدرى : متى أنت نازع ؟

(١) يناويني : المناوأة الخاصة . يقول : إنه طالما تمنى أن يعيش معافى وأن يرى دوائر الهلاك تدور على أعدائه ومناوئيه . والخليق بالمومن : أن يتخى الخير والعافية والصلاح لنفسه وأحبابه وأعدائه ومناوئيه . كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في شأن أعدائه - وهم خريصون على قتله - « اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون »

وأبفض إذا أبفضت غير مجانب فإنك لا تدري متى أنت راجع ؟
وكن معدنًا للحلم واصفح عن الأذى فإنك راء ماعملت وسماع
وأنشدني منصور بن محمد الكريزي :
إذا أنت عادت امرأً بعد حلة فدع في غد للعود والصلح موضعا
فإنك إن نابذت من زل زلةً ظلمت وحيداً لم تجد لك مفرعا
أنا محمد بن إسحاق التقي حدثنا أبو همام حدثنا ابن وهب أخبرني يونس
ابن يزيد عن ابن شهاب قال « اجتمع مروان بن الحكم وابن الزبير يوماً عند
عائشة ، فجلسا في حجرتها وبينها وبينهما الحجاب ، فسألا عائشة شعراً وحديثاً »
ثم قال مروان :
ومن يشأ الرحمن يخفض بقدره وليس لمن لم يرفع الله رافع
وقال ابن الزبير :
وفوض إلى الله الأمور إذا اعترت وباللّ لا بالأقربين تدافع (١)
وقال مروان :
وداؤ ضمير القلب بالبر والتقى ولا يستوى قلبان قاسٍ وخالع
وقال ابن الزبير :
ولا يستوى عبدان : عبدٌ مكلمٌ وعقلٌ ، لأرحام الأقارب قاطع
وقال مروان :
وعبد يحافى جنبه عن فراشه يبيت يناجى ربه وهو راكع
وقال ابن الزبير :
وللخير أهل يعرفون بهديهم إذا اجتمعت عند الخطوب الجماع
وقال مروان :

(١) في الأصول « فدافع » ولا تستقيم قافية مع قافية باقي الآيات ، ونحسه
محرفاً عما أبتناه .

وللشر أهل يعرفون بشكلهم تشير إليهم بالفجور الأصابع
قال : فسكت ابن الزبير ، فلم يجب مروان بشيء .
فقال عائشة : « يا عبد الله ، مالك لم تجب صاحبك ، والله ما سمعتُ تجاوب
رجلين تجاولا نحو ما تجاولتما فيه أعجب إلى من مجاولتكما » .
قال ابن الزبير : إني خفت عول^(١) القول ، فكففت .
فقال عائشة : « إن مروان في الشعر ما ليس لك »

أبنا محمد بن المنذر ، حدثنا عصام بن الفضل الدارى ، حدثني الزبير بن
بكر عن محمد بن حرب ، قال : قال عبد الله بن حسن لابنه محمد « إياك
ومعاداة الرجال فإنها لا تعدمك مكر حليم ، أو مباداة^(٢) جاهل »
قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لا يعادى على الحالات كلها ، لأن العداوة
لا تخلو من أن تكون لأحد رجلين : إما حليم لا يؤمن مكره ، أو جاهل لا يؤمن
شتمه ، ولا يجب على العاقل - إذا عادى - أن يعرّه إحسانه إلى عدوه ما يرى
من سكونه إليه ، فإن الماء وإن أطيل إسخانه ، ليس بمانعه ذلك من إطفاء النار
إذا صبَّ عليها ، ولا يجب أن يعظم عليه حمله عدوه على عاتقه إذا وثق بحسن
عاقبته ، لأن اللين والمكر أنكى في العدو من الفظاظة والمكابرة . ألا ترى
النار مع حرها لا تحرق من الشجر إلا ما ظهر ، والماء مع برده ولينه يستأصلها ،
ومجانبة المرء عدوه في العشرة أحد الأعوان عليه عند الفرصة .

كما أبنا عمرو بن محمد الأنصارى ، حدثنا الغلابى ، حدثنا العتيبي عن أبيه
قال : قال الأحنف بن قيس « من جالس عدوه حفظ عليه عيوبه » .
وأنشدني الأبرش :

لاتخافنَّ إن رماك عدو بعيوب ، إذا تكون برياً

(١) العول : الميل في الحكم إلى الجور . والعول . التقصان أيضا .

(٢) المباداة : البذاءة والسفه وبالسباب والشتم .

إنما العيبُ أن يكون مُحْتَمًّا في الذي قاله ، ولستَ نقيًّا
فإذا كان كاذبًا كنتَ بالصدِّ ق على العائب الكذوب جريًّا
ولقد يُلْزَقُ العدوُّ بجنب السمرة عيبًا تخالهُ مَكْوِيًّا
قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لا يغيره إلزاق العدو به العيوبَ والقبايحَ
لأن ذلك لا يكون له وقعٌ ، ولا لكثرة ثابت ، ولا يلتذ المرء ما كان عدوه
بأقياً كما لا يجد السقيم طعم النور والطعام حتى يبرأ .
وأشدُّ مكيدة العدو وما يعمل فيك من سبيل مأمك ، والغالب بالشرِّ مغلوب
وإن من أعظم الأعوان على الأعداء تعاهد المرء ولده وعياله وخدمه ، وتوقيه
إياهم على المعائب والزلات .

أبنا الحسن بن سفيان ، حدثنا محمد بن الصباح ، حدثنا الوليد عن الأوزاعي
عن يحيى بن أبي كشير قال : قال سليمان بن داود لابنه « يا بني إذا أردت أن
تغيظ عدوك فلا ترفع عن ابنك العصا »

ذكر الحث على صحبة الأخيار والزجر عن عشرة الأشرار

حدثنا الحسن بن سفيان النسائي ، حدثنا عبيد الله بن معاذ العنبري ، حدثنا
أبي عن شعبة عن قتادة ، عن أنس ، عن أبي موسى ، قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم « مثل الجلوس الصالح مثل العطار ، إن لم يندك منه أصابك
من ريحه ، ومثل جلوس السوء مثل القين ، إن لم تصبك ناره أصابك شره » (١)
قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يلزم صحبة الأخيار ، ويفارق صحبة
الأشرار ؛ لأن مودة الأخيار سريع اتصالها ، بطيئ انقطاعها . ومودة الأشرار

(١) العطار : بائع العطر . والقين ، بالفتح : الحداد . والحديث رواه البخارى
ومسلم عن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنما مثل الجلوس
الصالح والجلوس السوء : كحامل المسك ، ونافع الكير . فحامل المسك : إما أن
يحديك ، وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ، ونافع الكير : إما أن
يحرق ثيابك ، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة . و (يحديك) أى يعطيك بدون ثمن

سريع انقطاعها ، بطيء اتصالها . وصحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار ،
ومن خادن الأشرار لم يسلم من الدخول في جملتهم .

فالواجب على العاقل أن يجتنب أهل الريب ، لئلا يكون مريباً . فكما أن
صحبة الأخيار تورث الخير ، كذلك صحبة الأشرار تورث الشر .

وأشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

عليك ياخوان الثقات ؛ فإنهم قليل فصلهم دون من كنت تصحب
ونفسك أكرمها وصنمها ؛ فإنها متى ما تجالس سفلة الناس تغضب

سمعت أبا يعلى يقول : سمعت إسحاق بن أبي إسرائيل يقول : سمعت سفيان
ابن عيينة يقول « من أحب رجلاً صالحاً فإنما يحب الله تبارك وتعالى » .

أبنا محمد بن أبي علي الخلابي ، حدثنا عبد الله بن الصقر السكري ، حدثنا
وهب بن محمد بن منبه البناني ، قال : سمعت الحارث بن وجيه يقول : سمعت
مالك بن دينار يقول « إنك أن تنقل الحجارة مع الأبرار خير من أن تأكل
الخبث (١) مع الفجار » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : العاقل لا يدنس عرضه ، ولا يعوّد نفسه أسباب
الشر بلزوم صحبة الأشرار ، ولا يفضي عن صيانة عرضه ورياضة نفسه بصحبة
الأخيار ، على أن الناس عند الخبرة يتبين منهم أشياء ضد الظاهر منها .
أشدني علي بن محمد البسامي :

وقل ما خلوتى كلام امرئ ولأن إلا كان مرّ الفعّال

وربما خلوتى كلام الفتى وكان محموداً على كل حال

فكل هذا أنت راء إذا تصاحب الناس ، وتبلو الرجال

حدثنا بكر بن أحمد بن سعيد الطاحي ، حدثنا نصر بن علي ، أبنا نوح

(١) الخبيص : نوع من الحلوى يصنع من التمر مخلوطاً بالسمن .

ابن قيس ، حدثنا حوشب عن الحسن في قوله (٢٥ : ٦٣) وعباد الرحمن الذين
يمشون على الأرض هونا) قال « حُلَمَاءُ عِلْمَاءَ ، صُيِّرَتْ تُبَيَّتٌ^(١) إِنْ ظَلَمُوا لَمْ يَظْلَمُوا
وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِمْ لَمْ يَبْغُوا ، قَدْ بَرَّاهِمُ الْخُوفُ كَأَنَّهُمُ الْقِدَاحُ » .

أبَانَا حَامِدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ شَعِيبِ الْبَلْخِيِّ ، حَدَّثَنَا سَرِيحُ بْنُ يُونُسَ ، حَدَّثَنَا
شِجَاعُ بْنُ أَبِي نَصْرٍ أَبُو نَعِيمٍ الْقَارِي عَنْ أَبِي عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ ، قَالَ « رَأَى سَعِيدُ
ابْنُ جَبْرِ وَأَنَا جَالِسٌ مَعَ الشَّبَابِ ، قَالَ : مَا يَجْلِسُكَ مَعَ الشَّبَابِ ؟ عَلَيْكَ
بِالشَّيْخِ » .

أبَانَا الْحَسَنُ بْنُ سَفِيَانَ ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ
سَفِيَانَ عَنْ أَبِي الْمُحَجَّلِ عَنْ ابْنِ عَمْرَانَ بْنِ حَطَّانٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ
« لِصَاحِبٍ صَالِحٍ خَيْرٌ مِنَ الْوَحْدَةِ ، وَالْوَحْدَةُ خَيْرٌ مِنَ صَاحِبِ السُّوءِ ، وَعَمَلِي
الْخَيْرِ خَيْرٌ مِنَ السَّائِكِ وَالسَّائِكُ خَيْرٌ مِنَ مَعْلَى الشَّرِّ » .

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الْعَاقِلُ لَا يَصَاحِبُ الْأَشْرَارَ ؛ لِأَنَّ صَحْبَةَ
صَاحِبِ السُّوءِ قِطْعَةٌ مِنَ النَّارِ ، تُعْقِبُ الضَّغَائِنَ ، لَا يَسْتَقِيمُ وَدَهُ ، وَلَا يَنْفِي بَعْدَهُ .
وَإِنْ مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ خِصَالًا أَرْبَعًا : أَنْ تَكُونَ زَوْجَتُهُ مُوَافِقَةً ، وَوَلَدُهُ
أَبْرَارًا ، وَإِخْوَانُهُ صَالِحِينَ ، وَأَنْ يَكُونَ رِزْقُهُ فِي بَلَدِهِ .

وَكَلُّ جَلِيسٍ لَا يَسْتَفِيدُ الْمَرْءَ مِنْهُ خَيْرًا تَكُونُ مَجَالِسَةُ الْكَلْبِ خَيْرًا مِنْ
عَشْرَتِهِ ، وَمَنْ يَصْحَبِ صَاحِبَ السُّوءِ لَا يَسْلَمُ ، كَمَا أَنَّ مَنْ يَدْخُلُ مَدَاخِلَ السُّوءِ يَتَمِّمُ
وَمَا أَشْبَهَ صَحْبَةَ الْأَشْرَارِ إِلَّا بِمَا أَنْشَدَنِي مَنْصُورُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَرِيرِيُّ .

فَلَوْ كَانَ مِنْهُ الْخَيْرُ إِذْ كَانَ شَرُّهُ عَتِيدًا^(٢) ضَرَبْتَ الْخَيْرَ يَوْمَ مَعَ الشَّرِّ

(١) صبر - بضمين - جمع صبور ، وثبت - بضمين - جمع ثبيت ، وضم

فتشديد الباء مفتوحة جمع ثابت مثل راكم وركع . وبراهم : أى أنحلهم وأهزلهم .

(٢) العتيد : الملازم ، يقول : لو كان عنده شيء من الخير لنهب خيره بشره ،

ولو كان لاخيراً ولا شر عنده رضيت لعمري بالكفاف مع الأجر
ولكنه شرٌّ، ولا خير عنده وليس على شرّ إذا طال من صبر
أخبرنا إسحاق بن إبراهيم القاضي، حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح،
حدثنا ابن عُلَية عن يونس عن الحسن قال «أيها الرجل، إن أشد الناس عليك
فقدماً لرجلٍ إذا فرغت إليه وجدت عنده رأياً، ووجدت عنده نصيحة، بينا
أنت كذلك إذ فقدته، فالتمت منه خلفاً فلم تجده.

أبنا محمد بن سعيد القزاز، حدثنا خطاب بن عبد الرحمن الجندی، حدثنا
عبد الله بن سليمان، قال: قال جعفر بن محمد «من كان فيه ثلاث فقد وجب
له على الناس أربع: إذا خاطبهم لم يظلمهم، وإذا حدّثهم لم يكذبهم، وإذا وعدهم لم
يخلفهم. وعلى الناس: أن يظفروا عدله، وأن تكمل فيهم مروءته، وأن يجب
عليهم أخوته، وأن يحرم عليهم غيبته.

وأشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي:

اصحب خيار الناس أين لقيتهم خير الصحابة من يكون ظريفاً
والناس مثل دراهم مميّتها فرأيت فيها فضة وزيوفاً
أخبرنا ابن قحطبة، حدثنا عباس بن عبد العظيم، حدثنا إسماعيل بن
عبد الكريم، حدثنا عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهبا يقول «إن الله ليحفظ
بالعبد الصالح القبيل من الناس»

قال أبو حاتم رضى الله عنه: الواجب على العاقل أن يستعيذ بالله من صحبة من
إذا ذكر الله لم يُعنه، وإن نسي لم يذكره، وإن غفل حرضه على ترك الذكر.
ومن كان أصدقاؤه أشراً كان هو شرّهم، وكما أن الخيّر لا يصحب إلا البرّة،
كذلك الردي لا يصحب إلا النجرة؛ فإن المرء إذا اضطره الأمر فليصحب أهل
المروءات، لأن محمد بن عثمان العقبى قال: حدثنا أحمد بن داود البصرى، حدثنا
ابن عائشة قال: قال عبد الواحد بن زيد «جالسوا أهل الدين من أهل الدنيا

ولا تجالسوا غيرهم ، فإن كنتم لا بُدَّ فاعلمين ، فجالسوا أهل المروءات : فإنهم لا يَرَفُثُونَ^(١) في مجالسهم »

ذكر كراهية التلون في الوداد بين المتأخين

أنا محمد بن الحسن بن قتيبة بعَسَقَلَانَ ، حدثنا إبراهيم الحوراني ، حدثنا بكار بن شعيب ، حدثنا ابن أبي حازم عن أبيه عن سهل ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا خير في صُحبة من لا يرى لك من الحق مثل ما ترى له » قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على العاقل إذا رزقه الله وُدَّ امرئ مسلم صحيح الوداد محافظ عليه : أن يتمسك به ، ثم يوطن نفسه على صلته إن صرَّمه ، وعلى الإقبال عليه إن صدَّ عنه ، وعلى البَدَلِ له إن حرَّمه ، وعلى الدنو منه إن باعده ، حتى كأنه ركن من أركانه ، وإن من أعظم عيب المرء تلونه في الوداد .

وأشدني المنتصر بن بلال الأنصاري :

وَمَنْ مِنْ صَدِيقٍ وُدُّهُ بِلِسَانِهِ خَوْنٌ بظهر الغيب لا يتقدم
يضاحكني كُرْهًا لِكَيْمَا أَوَدَّهُ وَتَتَّبَعْنِي مِنْهُ إِذَا غَبْتُ أَسْهَمُ
أخبرنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثني ابن أبي شيبة ، قال : قال الأصمعي :
قال رجل من الأعراب « من أعجز الناس من قَصَّرَ عن طلب الإخوان ،
وأعجز منه : من ظفر بذلك منهم فأضاع مودتهم ، وإنما يحسن الاختيار لغيره
من أحسن الاختيار لنفسه » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : العاقل لا يقصر في تعاهد الوداد ، ولا يكون ذا لونين ، وذا قلوبين ، بل يوافق سرُّه علانيته ، وقوله فعلاه ، ولا خير في متأخين
بنمو بينهما الخلل ، ويزيد في حالهما الدغل .

(١) الرفث : الفاحش من القول ، وما يتعلق بالنساء وأسرارهن .

كما أنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

لحاه الله^(١) من لا ينفع الودُّ عنده . وَمَنْ حَبَلَهُ إِنْ مُدَّ غَيْرُ مَتِينِ
ومن هو ذو لونين ليس بدائم على الوصل حَوَّانٌ لِكُلِّ أَمِينِ
ومن هو ذو قلبين ، أما لقاؤه فحُلُوٌّ ، وأما غيبه فظنين
ومن هو إن تُحَدِّثْ لَهُ الْعَيْنُ نَظْرَةً يُقَطِّعُ بِهَا أَسْبَابَ كُلِّ قَرِينِ
وأنشدني عمرو بن محمد النسائي لابن الأعرابي :

العين تبدى الذي في نفس صاحبها من الشَّاءة^(٢) ، أو وُدِّ إِذَا كَانَا
إِن الْبَغِيضُ لَهُ عَيْنٌ يَصْدُبُهَا لَا يَسْتَطِيعُ لَمَّا فِي الصَّدْرِ كَتَمَانَا
العين تنطق والأفواه ساكنة حتى ترى من ضميرِ القلبِ تَبْيَانَا
وأنشدني علي بن محمد البسامي :

وجارٍ لا تزالُ تزورُ منه قوارصُ لا تنامُ ولا تُنمِمْ^(٣)
قريب الدار نأى الودِّ منه معاندةً ، أبت لا تستقيم^(٤)
بيادر بالسلام إذا التقينا وتحت ضلوعه قلب سقيم

أبناءنا محمد بن أبي علي الخلادي ، حدثنا أحمد بن محمد بن بكر الأباوي عن

هشام بن عبد الملك البزني ، قال : المقنع الكندي :

(١) لحا الشجرة يلحوها : قشر لحاها ، ولحاه الله لحيا : أي قبحه ولعنه . كذا في اللسان .

(٢) الشَّاءة : البغض والكراهية .

(٣) يقول : ورب جار لا يزال يبعث إلى بالمؤلمات من القول ، والسلب والتنعيس حتى أفض مضجعي ، فلا قوارص تنام يوماً بل هي مستمرة ، ولا هي تركني أنام

(٤) يقول : إن شره واذاه أسرع إلى كل من كان أقرب منه ، من أجل العاندة والمكايذة بفعل ذلك .

أبلُ الرجال إذا أردت إخاءهم وتوسمنَ أمورهم وتفقدَ (١)
فإذا ظفرت بذي اللبابة والتقى فبه اليدين قرير عين فاشدُد
ومتى يزلَّ ، ولا محالة ، زلَّةً فعلى أخيك بفضل رأيك فاردد
وإذا الخنا نقض الحبي في موضع ورأيت أهل الطيش قاموا فأقعد
أخبرنا عبد الله بن قحطبة ، حدثنا محمد بن الصباح ، حدثنا الوليد عن
الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير قال : قال سليمان بن داود لابنه « يابني عليك
بالحبيب الأول ، فإن الآخر لا يعدله » .

أبنا أنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا أحمد بن بكر بن سيف ، حدثني محمد
ابن حسين قال « كان أعرابي بالكوفة ، وكان له صديق ، وكان يظهر له مودة
ونصيحة ، فاتخذ الأعرابي من عدده للشدائد إذ حزب الأعرابي أمر ، فأناه ،
فوجده بعيداً مما كان يظهر للأعرابي ، فأنشأ يقول :

إذا كان وُدُّ المرء ليس بزائد على «مرحباً» أو «كيف أنت» وحالكا! (٢)
ولم يك إلا كاشرا ، أو محدثا فأف لود ، ليس إلا كذلك
لسانك معسولٌ ونفسك بشة وعند الثريا من صديقك مالكا
وأنت إذا هممت بيمينك مرّة لتفعل خيراً ، قاتلتها شمالكا
سمعت محمد بن المنذر يقول : سمعت عبد العزيز بن عبد الله يقول : قال
محمد بن حازم :

وإن من الإخوانِ إخوانٍ كثريةٍ وإخوان «حيّك الإله» ، و «مرحبا»
وإخوان : كيف الحالُ والأهلُ كله ؟ وذلك لا يسوى تقيرا متربا
جواد إذا استغنيت عنه بماله يقول : إلى القرض ، والقرض فاطلبا
فإن أنت حاولت الذي خَلَفَ ظهره وجدت الثريا منه في البعد أقربا

(١) ابل الرجال : اختبرهم وامتحنهم .

(٢) قدم أولها وثانيها مع بيتين آخرين في ص ٩٢

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لا يصادق المتلون ، ولا يؤاخى المتقلب ، ولا يظهر من الوداد إلا مثل ما يضر ، ولا يضر إلا فوق ما يظهر ، ولا يكون في النوائب عند القيام بها إلا ككونه قبل إحداثها والدخول فيها ، لأنه لا يحمد من الإحاء ما لم يكن كذلك .

وأشدنى محمد بن المنذر ، وأشدنى محمد بن خلف التيمي ، أشدنى رجل من خزاعة :

وليس أخى من ودّنى بلسانه
ومن ماله مالى ، إذا كنت معدّما
وما هو إلا كيف أنت ومرحبا
فلا تحمدن عند الرخاء مؤاخياً
ولكن أخى من ودّنى فى النوائب
ومالى له ، إن عصّ دهر بغارب
فقد تنكر الإخوان عند المصائب
وبالبيض رَوّاع كروغ الثعالب (١)

أخبرنا ابن قحطبة ، حدثنا محمد بن الصباح ، حدثنا أبو معاوية عن هشام ابن عروة عن أبيه قال : مكتوب فى الحكمة « أحب خليلك و خليل أبيك » قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن من أعظم الأمارات على معرفة صحة الوداد وسقمه : ملاحظة العين إذا لحظت ، فإنها لا تكاد تبدى إلا ما يضر القلب من الود ، ولا يكاد يخفى ما يجنه الضمير من الصد ، فالعاقل يعتبر الود بقلبه وعين أخيه ، ويجعل له بينهما مسلكاً لا يردّه عن معرفة صحته شىء تخيله .

ولقد أخبرنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا محمد بن الحسن الذهلى ، حدثنا على بن محمد المذهبي عن محمد بن إبراهيم العباسى عن عبد الله بن الحجاج مولى المهدي وعن إبراهيم بن شكلة (٢) قال « إعلم أن من أظهر ما تحب أو ما تكره فإنما لك أن تقيس ما أضمر قلبه بالذى أظهر لسانه ، وليس لك أن تعرف ما أسر ضميره ، فعامله على نحو ما يبدى لك لسانه » وفى ذلك أقول :

(١) أراد بالبيض الدراهم .

(٢) شكلة - بكسر الشين - وفتحها - أمه ، وهو إبراهيم بن المهدي العباسى ،

ليس المسيء إذا تغيب سوءه عنى بمنزلة المسيء المعلن
من كان يظهر ما أحبُّ فإنه عندى بمنزلة الأمين الحسن
والله أعلمُ بالقلوب ، وإنما لك ما بدا لك منهممُ بالألسن
ولقد يقالُ خلافُ ذلكُ إنما لك ما بدا لك منهممُ بالأعين

غير أن خالى خالفنى فى ذلك ، وزعم أن الأعين أبين شهادة على مافى القلوب من الألسن . وكتب فى ذلك رسالة « أما بعد ، فقد بدالى من صدك ، ما آيسنى من ورك ، ولم يزل يخبرنى لحظك ماتضميرى من بغضك » . وكتب فى أسفل ذلك :

وما أحب إذا أحببت مكتما يبدى العداوة أحيانا ويخفيها
تظل فى قلبه البغضاء كامنَةً فالقلب يكتُمها والعين تبديها
والنفس تعرف فى عيني مُحَدِّثِهَا مَنْ كان من سلمها أو من أعادها
عينك قد دلتنا عينيَّ منك على أشياء لولاها ما كنت أدريها

أخبرنا الخلادى ، حدثنا أحمد بن محمد الصوفى ، حدثنا محمد بن صالح البغدادى قال : سمعت إبراهيم الحجنى يقول « دلائل الحب تعرف فى الحب ، وإن لم ينطق لسانه » .

ذكر ائتلاف الناس واختلافهم

أخبرنا عمران بن موسى بن مجاشع السخيتاني ، حدثنا عبد الأعلى بن حماد النرسى ، حدثنا حماد بن سلمة عن سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » .

حدثنا أبو خليفة حدثنا محمد بن كثير ، أخبرنا سفيان الثورى عن حبيب ابن أبى ثابت عن أبى الطفيل قال : قال على « الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : سبب ائتلاف الناس وافتراقهم — بعد القضاء السابق — هو تعارف الروحين ، وتناكر الروحين ، فإذا تعارف الروحان وجدت الألفة بين نفسيهما ، وإذا تناكر الروحان وجدت الفرقة بين جسميهما .

ولقد أنبأنا محمد بن المهاجر ، حدثنا محمد بن عبد الله بن مهران ، حدثنا يوسف ابن يعقوب الصفار ، حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي يحيى عن مجاهد قال : رأى ابن عباس رجلا فقال « إن هذا ليحبنى ، قالوا : وما علمك ؟ قال : إني لأحبه ، والأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلفت » .

أنشدنى محمد بن أبى على الخلابى ، أنشدنى أحمد بن محمد بن بكر الأبنابى :

إن القلوب لأجناد مجندة لله فى الأرض بالأهواء تعترف
فما تعارف منها فهو مؤتلف وما تناكر منها فهو مختلف

أنبأنا ابن مكرم بالبصرة ، حدثنا بشر بن الوليد ، حدثنا الحكم ابن عبد الملك عن قتادة فى قول الله تعالى (١١ : ١٢٠) إلا من رحم ربك ، ولذلك خلقهم) قال : للرحمة والطاعة ، فأما أهل طاعة الله فقلوبهم وأهواؤهم مجتمعة ، وإن تفرقت ديارهم ، وأهل معصية الله فقلوبهم مختلفة ، وإن اجتمعت ديارهم .

وأنشدنى منصور بن محمد الكرى :

فما تبصر العينان والقلب آلف ولا القلب والعينان منطبقان
ولكن هاروحان تعرض ذى لذى فيعرف هذا ذى فيلتقيان
قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن من أعظم الدلائل على معرفة ما فيه المرء من قلبه وسكونه : هو الاعتبار بمن يحادثه ويوده ، لأن المرء على دين خليله ، وطير السماء على أشكالها تقع .

وما رأيت شيئا أدل على شيء ، ولا الدخان على النار ، مثل الصاحب على

الصاحب . وأنشدنى الأبرش :

يقاس المرء بالمرء إذا ما هو ماشاه
وذو العُرِّ إذا احتك ذا الصحة أعداه^(١)
وللشيء من الشيء مقاييس وأشباه
وللروح على الروح دليل حين يلقاه

حدثنا أبو خليفة ، حدثنا محمد بن كثير العبدِيُّ ، أنبأنا سفيان عن
أبي إسحاق عن هبيرة ، قال : اعتبرِ الناس بأخذانهم^(٢) .

أنبأنا محمد بن المهاجر ، حدثنا محمد بن موسى الأخباري ، حدثنا محمد بن صالح
العدوي ، حدثنا الحسين بن جعفر بن سليمان الضبعي قال : سمعت أبي يقول :
سمعت مالكا يقول «الناس أشكال كأجناس الطير ، الحمام مع الحمام ، والغراب
مع الغراب ، والبط مع البط ، والصَّعو مع الصَّعو^(٣) وكل إنسان مع شكله »

وأنشدني المنتصر بن بلال الأنصاري :

يزين الفتى في قومه ويشينه وفي غيرهم : أخذانه ومداخله
لكل امرئ شكل من الناس مثله وكل امرئ يهوى إلى من يشاكله

وأنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

إن كنت حُلَّتْ ، وبي استبدلت مطرًا وُدًّا ، فلم تأت مكروها ولا بدًا
فكلُّ طير إلى الأشكال موقعها والفرع يجري إلى الأعراق منتزعا

قال أبو حاتم رضي الله عنه : العاقل يجتنب مما شاة المريب في نفسه ، ويفارق
صحبة المتهم في دينه ، لأن من صحب قوما عُرف بهم ، ومن عاشر امرأ نسب

(١) العر - بضم العين المهملة - الجرب . يقول : إن الصديق يعدى صديقه .

كما يعدى الأجرى السليم .

(٢) اعتبر : قس ، والأخذان : جمع خدن - بالكسر - وهو الصديق .

(٣) الصعو : طائر أصغر من العصفور أحمر الرأس .

إليه ، والرجل لا يصاحب إلا مثله أو شكله ، فإذا لم يجد المرء بدا من صحبة
الناس تَحَرَّى صحبة مَنْ زانه إذا صحبه ، ولم يشنه إذا عرف به ، وإن رأى منه
حسنة عَدَّها ، وإن رأى منه سيئة سترها ، وإن سكت عنه ابتدأه ، وإن سأله
أعطاه .

فأما اليوم فأكثر أحوال الناس تكون ظواهرها بخلاف بواطنها .
وما أشبه عشرتهم إلا بما أخبرني محمد بن يعقوب البغلاني ، حدثني عبد الصمد
ابن الفضل حدثنا الحسين بن سهل التياس عن أبي عبيدة قال « تكلم عصفور
في بني إسرائيل مع فَخَّحٍ ، فقال العصفور : انحنأوك لماذا ؟ قال : من العبادة .
قال : دفنك في التراب لماذا ؟ قال : من التواضع . قال : فما هذا الشعر ؟ قال هذا
لباسي قال : ما هذا الطعام ؟ قال : هذا أعددتُه لعابر السبيل . قال : فتأذن لي
فيه ؟ قال : نعم . قال : فنقر العصفور نقرَةً فأخَذَ بعنقه ، فجعل العصفور يقول : شَعَّ
شَعَّ شَعَّ . وقال : والله لا يغرنى قارىء بعدك أبداً .

وأنشدني محمد بن أبي علي لابن أبي اللقيش :

إن كنت تبغى العلم أو نحوَه أو شاهداً يخبر عن غائب
فاعتبر الأرض بأسمائها واعتبر الصاحب بالصاحب

وأنشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :

تَعَارَفُ أرواحُ الرجال إذا التقوا فمنهم عدو يُتَّقَى و خليل
كذلك أمور الناس والناس منهم خفيف إذا صاحبتَه وثقيل

وأنشدني المنتصر بن بلال الأنصاري :

اجعل قرينك مَنْ رضيت فعّاله واحذر مقارنة القرين الشائن

كم من قرين شائن لقرينه ومُهْجَنٍ منه لكل محاسن

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن من الناس من إذا رآه المرء يعجب به ،

إذا ازداد به علما ازاد به عجباً ، ومنهم من يبغضه حين يراه ، ثم لا يزداد به علماً إلا ازداد له ممتناً ، فاتفقهما يكون باتفاق الروحين قديماً . وافتراقهما يكون بافتراقهما ، وإذا اختلفا ثم افترقا فراق حياة من غير بُغض حادث ، أو فراق ممات ، فهنالك الموت الفظيع ، والأسف الوجيع ، ولا يكون موقف أطول عُمةً ، وأظهر حسرةً وأدوم كآبةً ، وأشد تأسفاً ، وأكثر إهفاً من موقف الفراق بين المتواخين ، وما ذاق ذائق طعماً أمراً من فراق الخليلين ، وانصرام القرينين .

حدثنا محمد بن يعقوب الخطيب قال : سمعت معمر بن سهل يقول :
سمعت جعفر بن عون يقول : سمعت مسعر بن كدام يقول :

لن يلبث القرناء أن يتفرقوا ليل يكبر عليهم ونهار
أبانا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا أبو أحمد بن حماد البربري ، حدثنا
الزبير بن بكار ، حدثني محمد بن موسى أبو غزية قال : كان أبو العتاهية إذا
قدم المدينة يجلس إلى ، فأراد مرة الخروج فودعني ، وقال :

إن نَعَشٌ يجتمع ، وإلا فما أشغل من مات عن جميع الأنام
حدثنا محمد بن أبي علي ، قال : أنشدنا محمد بن موسى السمرى ، أنشدنا
أحمد بن عبد الأعلى الشيباني :

فيا عجباً ممن يمدُّ يمينه إلى إلهه عند الفراق ، فيسرع
ضعفت عن التوديع لما رأيته فصاحته بالقلب ، والعين تدمع
وأنشدني ابن فياض للبحثري :

الله جارك في انطلاقتك تلقاء شامك ، أو عراقك
لا تعدلني في مسيري حيث سرت ، ولم الألك
إني خشيت مواقفاً للبين تفسح غرب ما لك (١)

(١) تفسح : تريق . والغرب : الدلو الكبير ، والملاق : الموق ، شبه موق عينه
بالدلو الكبيرة الكثرة ما يذرف من الدموع عند الفراق .

وعلمت ما يخشى المودَّع عند صَمِّكَ واعتناقك
فتركت ذاك تعمداً وخرجت أهرب من فراقك
وأشدنى منصور بن محمد الكريزي :

أفي كل يوم حَيَّةَ البين تفرع وعيني لبين من ذوى الود تدمع؟
فلا النفس من تَهَامِهَا مستفيقة ولا بالذي يأتي به الدهر تقنع^(١)
وأشدنى محمد بن بندار بن أصرم :

أياقلبُ لا تجزع من البين، واصطبر فليس لما يُقضى عليك بدافع
توكل على الرحمن إن كنت مؤمناً يُجْرِكُ، ودعني من نحووس الطوالع
وكل الذي قد قدَّرَ الله واقع وما لم يُقدِّره فليس بواقع
وأشدنى عبد الرحمن بن يحيى بن حبيب الأندلسي لنفسه :

نطقت مدامعه بما في قلبه وعن الجواب لسانه لا ينطق
فكأنه مما يقاسي قلبه دَنَفٌ مريض أو أسير مؤثَق
وكأنما الأشجان في أحشائه لفراق أهل الود نارٌ تحرق
كيف السلو، وهل له من سلوة مَنْ بان عن أحبابه يتفرَّق؟

قال أبو حاتم رضى الله عنه : السبب المؤدى إلى إظهار الجزع عند فراق
المتواخين : هو ترك الرضا بما يوجب القضاء ، ثم ورود الشيء على مضر الحشا
بصد ما انطوى عليه قديماً ، فمن وَطَّن نفسه في ابتداء المعاشرة على ورود ضد
الجميل عليها من صحبته ، وتأمل ورود المكروه منه على غفلته ، لا يظهر الجزع عند
الفراق ، ولا يشكو الأسف والاحترق ، إلا بمقدار ما يوجب العلم إظهاره .
ولقد أروع بجماعة الفراق حتى إنهم خرجوا إلى ثَلْب الطيور ، ومدح
الدَّمَنِ^(٢) وتأولوا لعن نوح عليه السلام القراب .

(١) التهام : الهيام وهو شدة الحب ، ووقع في الأصل « تهامها » وأحسبه
محرفاً عما أثبت .

(٢) الثلب : النقص والعيب والدم . والدمن : الأطلال وآثار الديار .

أنبأنا جعفر بن أحمد بن سنان القطان، بواسط، حدثنا عمرو بن محمد بن عيسى الضبعي، حدثنا عبد الأعلى بن عبد الأعلى، حدثنا الجريري، عن أبي السليل عن أبي مرواح قال « بعث نوح الغراب والحمامة حيث استقرت السفينة على الجودي، يلتمسان له الجُدَّ - يعني الأرض - فأما الغراب فرأى جيفة فوق عليها فأكل منها، وأما الحمامة فجاءت عاصَّةً على غصن شجرة بطين أحمر. قال: فدعا للحمامة بالبركة، وأما الغراب فلعنه، وقال له قولاً شديداً » .

أنبأنا محمد بن جعفر بن الحسن البغدادي، حدثنا أحمد بن محمد بن الحسين البغوي، قال: قال سليم بن منصور « أمرت لُبَيْ فاشترى لها أربعة غرابان، فلما رأتهن صرخت وبكت، وكتفتهم، وجعلت تضربهن بالسوط حتى قتلتهم جميعاً. وأنشأت تقول:

لقد نادى الغراب بين لُبَيْ
فطار القلب من حذر الغراب
وقال: غداً تباينُ دار لُبَيْ
وتنأى بعد ود واقتراب
فقلت: تعست، ويحك من غراب
أكلَّ الدهر سعيك في تباب
لقد أولعت لا لُقَيْت خيراً
بتفريق المحب عن الحباب

وأنشدني إبراهيم بن علي الطرقي، قال: أنشدني علي بن إسحاق:

غراب الين، ويحك صحِّ بقرب
كما قد صحت ويحك بالبعاد
تنادى بالتفرق كل يوم
فمالك بالتواصل لا تنادى؟
أراني الله ريشك عن قريب
تُمرَّطه البراة بكل وادي^(١)
كما أسخنت يوم البين عيني
وألقيت الحزازة في فؤادي

أنبأنا إبراهيم بن محمد بن يعقوب، بهمدان، حدثنا عبد الكبير بن محمد الأنسي، حدثنا بعض أصحابنا، قال: مررت بالبصرة على باب دار، فإذا

(١) المرط - بفتح الميم وسكون الراء - تف الريش . والبراة : جمع باز ، وهو من الطيور الكاسرة .

بصوت غراب يُجَلِّد ، فدنوت من الدار فإذا صاحبة الدار ، وبين يديها جَوَّار ،
وهي تأمر بجلده . فقلت : أما تتقون الله في هذا الغراب ؟ فقلن لي : هذا الغراب
الذي قيل فيه :

ألا يا غراب البين قد طرَّتْ بالذي أحاذر من لُبْنَى ، فهل أنت واقع ؟
فقلت : ليس هذا ذلك الغراب : فقلت : والله ما نراك تأخذ البريء بالسقيم
حتى تظفرَ بذلك الغراب .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد ذكرت ما شا كل هذه الحكايات
والأشعار على التقصى في كتاب « الوداع والفرق » فأغنى ذلك عن تكرارها
في هذا الكتاب ؛ إذ شرطنا فيه الإشارة إلى الشيء المحصول ، والإيماء إلى
الشيء المقول .

ذكر الحث على زيارة الاخوان وإكرامهم

أنبأنا الحسن بن سفيان ، حدثنا يزيد بن صالح اليشكري ، حدثنا حماد
ابن سلمة ، عن ثابت عن أبي رافع عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم « أن رجلا زار أخاه في قرية ، فأرصد الله على مَدْرَجَتِهِ ملكا^(١) فقال :
أين تريد ؟ فقال : أريد أخا لي في هذه القرية ، فقال : هل له عليك من نعمة
ترُبُّها ؟ قال : لا ، إلا أنى أحبه في الله ، قال : إني رسول الله إليك ، إن الله
تبارك وتعالى أَحَبُّكَ كما أَحَبَّته » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل تعاهد الزيارة للاخوان
وتفقد أحوالهم ؛ لأن الزائر في قصده الزيارة ، يشتمل على مصادفة معينين :

أحدهما : استكمال الذخر في الآجل بفعله ذلك . وقد قال ، بعض القدماء : إن
الرجل إذا زار أخاه في الله ، لم يبق في السماء ملك إلا حياه بتحية مستأنفة

(١) أرصده : أقامه ينتظره ويترقبه . والدرجة : المسلك الذي يدرج فيه .
وتربها : أى تحفظها وتراعيا وتربها كما يربي الرجل ولده .

لا يحويه ملك مثله ولم تبق شجرة من شجر الجنة إلا نادت صاحبها : ألا إن فلان ابن فلان زار أخاً في الله^(١)

والآخر : التلذذ بالمؤانسة بالأخ المزور ، مع الانقلاب بغنيمتين معاً .
ولقد أنبأنا عمرو بن محمد الأنصاري ، حدثنا الغلابي ، حدثنا عبد الله بن رجاء الغداني قال : كان عتبة الغلام يأوي المقابر والصحارى ، ثم يخرج إلى السواحل فيقيم بها ، فإذا كان يوم الجمعة دخل البصرة فشهد الجمعة ورأى إخوانه فسلم عليهم .
حدثنا الحسن بن سفيان ، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا عفان ، حدثنا جعفر بن سليمان ، حدثني بعض مشيختنا ، قال : قال عامر بن قيس : إنما أجدني آسف على البصرة لأربع خصال : تجاوب مؤذنيها ، وظماء أهواجرها ، ولأن بها إخواني ، ولأن بها وطني .

أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا محمد بن بشر الخطابي ، حدثنا محمد بن سهل التيمي ، قال : سمعت الفريابي يقول : جاءني وكيع بن الجراح من بيت المقدس وهو محرم بعمرة ، فقال : يا أبا محمد لم يكن طريقك عليك ، واسكني أحببت أن أزورك وأقيم عندك ، فأقام عندي ليلة ، وجاءني ابن المبارك وقد أحرم بعمرة من بيت المقدس^(٢) فأقام عندي ثلاثاً ، فقلت : يا أبا عبد الرحمن ، أقم عندي عشرة أيام ، قال : لا ، الضيافة ثلاثة أيام :

(١) هذا من علم الغيب الذي لا ينبغي القول فيه إلا لله وللرسول . وإلا كان قولاً على الله بغير علم . والله يقول (٧ : ٣٣ قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن - إلى قوله - وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون)

(٢) إنما مواقيت الإحرام بالحج والعمرة كمواقيت الصلاة ، حددها الله على رسوله وبينها رسوله صلى الله عليه وسلم . وقال : ربنا سبحانه (٢ : ٢٢٩) ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون) وإنما أتى الأولون والآخرون من قبل التساهل في مثل هذا التعدي متوهمين أنه مبالغة في العبادة ، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الناس في الزيارة على ضربين :
فمنهم من صحح الحال بينه وبين أخيه ، وتعمرى عن وجود الخلل ، وورود
البغض فيه ، فإذا كان بهذا النعت ، أحببت له الإكثار من الزيارة ، والإفراط
في الاجتماع ؛ لأن الإكثار من الزيارة بين من هذا نعتة لايورث الملامة ، والإفراط
في الاجتماع بين من هذه صفته يزيد في المؤانسة .

والضرب الآخر : لم يستحکم الود بينه و بين من يواخيه ، ولا أداها الحال
إلى ارتفاع الحشمة بينهما فيما يتبدلان لمهنتيهما ، فإذا كان بهذا النعت أحببت له
الإقلال من الزيارة . لأن الإكثار منها بينهما يؤدي إلى الملامة ، وكل مبدول
مملول ، وكل ممنوع ملذوذ . وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أخبار كثيرة
تصرح بنفي الإكثار من الزيارة حيث يقول « زُرْ غَبًّا تَزِدُّ حُبًّا » إلا أنه
لايصح منها خبر من جهة النقل ، فتكئنا عن ذكرها وإخراجها في الكتاب ،
وإليها ذهب بعض الناس حتى ذكروها في أشعارهم .

من ذلك ما أنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

وقد قال النبي ، وكان بَرًّا إذا زرت الحبيب فزره غَبًّا
وأقلل زور من تهواه تزدد إلى من زرته مَقَّةً وَحِبًّا (١)
وأنشدني محمد بن أبي علي :

إني رأيتك لى محبا وإلى حين أغيب صَبًّا
فعمدت لا لملالة حَدَّتْ وَلَا اسْتَحَدَّتْ ذُنْبًا
إلا لقول نبينا : زوروا على الأيام غَبًّا

أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا خالد بن أحمد الشيباني ، حدثنا سعيد
ابن عنبسة ، حدثنا حميد بن عبد الرحمن الرواسي ، قال : سمعت الحسن بن صالح
يقول : كل مودة لا تزاد إلا باللقاء مدخولة .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : من صحح الحال بينه و بين الإخوان لم يضره قلة الاجتماع ، لاستحكام الحال بينهما ، والمودة إذا أضرَّ بها قلة الالتقاء تكون مدخولة ، وأما من لم يحلَّ في نفس صحة الحال ، ولم يستحكم أسباب الوداد ؛ فالتوقى من الإكثار في الزيارة أولى به ، لثلا يستنقل ويمك .

وأنشدنى الخلابى ، أنشدنى أحمد بن محمد الصيداوى :

عليك بإقلال الزيارة إنها تكون إذا دامت إلى الهجر مسلكا
فإني رأيت القطر يسأم دائبا ويُسأل بالأيدى إذا هو أمسكا

وأنشدنى الكريزى :

أقلل زيارتك الحبيب تكون كالثوب استجدّه

إن الصديق يمله أن لا يزال يراك عنده

وأنشدنى أوس بن أحمد بن محمد بن أحمد لأبي تمام :

وطول مقام المرء فى الحى مخلوق لذي حاجته (١) ، فاغترب تتجدد

فإني رأيت الشمس زيدت محبة إلى الخلق إذ ليست عليهم بسرمد

أنبأنا الحسن بن سفيان ، حدثنا أحمد بن زنجويه ، حدثنا حسين بن الوليد ،

حدثنا عبد الله بن المؤمل عن ابن أبي مليكة قال : قال ابن عباس « أكرم الناس

عليّ جليسى الذى يتخطى رقاب الناس حتى يجلس إلىّ » .

أنبأنا مكحول ببيروت ، حدثنا عبيد بن محمد بن هارون حدثنا عمرو بن

أبي سلمة ، عن سعيد بن بشير ، عن قتادة فى قوله تعالى (٤٢ : ٢٦) ويستجيب الذين

آمنوا وعملوا الصالحات) قال : يشفعون فى إخوانهم (ويزيدهم من فضله)

قال : يشفعون فى إخوان إخوانهم .

(١) الديقاجتان : الخدان .

ذكر مصفة الأحمق والجاهل

أبانا محمد بن نصر بن نوفل ، أبانا أبو داود السنجي ، حدثنا أبو عاصم ، عن شيبيل بن عزة ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثل المجلس الصالح مثل العطار ، إن لم يعطك شيئاً يُصَبِّك من عطره ، ومثل المجلس السوء مثل القَيْن ، إن لم يحرق ثوبك ، أصابك من دخانه » .

(١) قال أبو حاتم رضى الله عنه : شيبيل بن عزة هذا من أفاضل أهل البصرة وقراءهم ، وإنك لم تحفظ إسناد هذا الخبر : لأن أنس بن مالك سمع هذا الخبر من أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فقصر به شيبيل ولم يحفظه .
والواجب على العاقل ترك صحبة الأحمق ، ومجانبة معاشرته النوكي ، كما يجب عليه لزوم صحبة العاقل الأريب ، وعشرة الفطن اللبيب ، لأن العاقل وإن لم يصبك الحظ من عقله ، أصابك من الاعتبار به ، والأحمق إن لم يُعَدِّك حقه تدنست بعشرته .

وقد أبانا الحسين بن محمد السنجي حدثنا إبراهيم بن أبي داود البرسلي حدثنا زهير بن عباد حدثنا شهاب بن خراش عن أبيه عن يسير بن عمرو - وكان قد أدرك الصحابة - قال : اهجر الأحمق ، فليس للأحمق خير من هجرانه .

أبانا محمد بن المهاجر المعدل حدثنا محمد بن أبي يعقوب الربيعي حدثنا أحمد ابن إسحاق الخشاب عن الأصمعي عن سلمة بن بلال قال : كان فتى يعجب على ابن أبي طالب ، فراه يوماً وهو يمشى رجلاً متهماً ، فقال له :

لا تصحب الجاهل لي إياك وإياه
فكم من جاهل أردى حليماً حين آخاه
يقاس المرء بالمرء إذا ما هو ماشاه

وقع هنا في المطبوعة السابقة أربع صحائف ليست من هذا الباب في شيء ، وسنبه عليها في ص ١٢٣ ، ١٢٧ .

والشئ من الشئ مقاييس وأشباه
وللقلب على القلب دليل حين يلقاه^(١)

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

اختر ذوى التمييز واستبقهم وجانب النوكي وأهل الريب
فضحة العاقل زين الفتى وصحبة الأنوك أخذ السب
قال أبو حاتم رضى الله عنه : من علامات الحق التى يجب للعاقل نفيها
من خفى عليه أمره : سرعة الجواب ، وترك التثبت ، والإفراط فى الضحك ،
وكثرة الالتفات ، والوقية فى الأخيار ، والاختلاط بالأشرار .

والأحمق إذا عرضت عنه اغتم ، وإن أقبلت عليه اغتر ، وإن حلت عنه
جهل عليك ، وإن جهلت عليه لم عنك ، وإن أسأت إليه أحسن إليك ، وإن
أحسنت إليه أساء إليك ، وإذا ظلمته انتصفت منه ، ويظلمك إذا أنصفته .

وما أشبه عشرة الحق إلا بما أنشدنى محمد بن إسحاق الواسطى :

لى صديق يرى حقوقى عليه نافات وحقه كان فرضا
لو قطعت الجبال طولا إليه ثم من بعد طولها سرت عرضا
لرأى ما صنعت غير كبير واشتهى أن أزيد فى الأرض أرضا
حدثنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا إبراهيم بن الجنيد قال : قال لى أبو طاهر

ابن السرح قال : حدثنى خالى أبو رجاء عبد الرحمن بن عبد الحميد عن سعيد
ابن أبى أيوب قال : لا تصاحب صاحب السوء ، فإنه قطعة من النار ، لا يستقيم
وده ولا يبقى بعده .

(١) فى نسبة ذلك الشعر إلى على رضى الله عنه نظر ، فلقد نحل كثيرا من
الشعر والنثر ، بل ألصق به كثير مما فى كتاب نهج البلاغة ، وصفة البلاغة المهدمة ،
وعقيدة الاعتزال صارخة منه بأن أكثر الكتاب من صنع الشريف الرضى أو آخر
من شكله .

وأشدني المنتصر بن بلال الأنصاري :

لن يسمع الأحمق من واعظ في رفعه الصوت وفي همه
لن تبلغ الأعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه
والحمق داء ، ماله حيلة تُرجى ، كبعد النجم في لمسه
قال أبو حاتم رضى الله عنه : أظلم الظلمات الحق ، كما أن أنفذ البضائر
العقل ، فإذا امتحن المرء بعشرة الأحمق كان الواجب عليه اللزوم لأخلاق نفسه ،
والمباينة لأخلاقه ، مع الإكثار من الحمد لله على ما وهب له من الانتباه لما حرم
غيره التوفيق له ، فإن جرى الأحمق في صحبته ميدانه في عشرته فالواجب على
العاقل لزوم السكوت حينئذ في أوقاته ، لأن أبا حمزة محمد بن عمر بن يوسف
أبنأنا بنسأ حدثنا نصر بن علي الجهضمي حدثنا ابن داود قال : سمعت الأعمش
يقول : السكوت للأحمق جواب .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : وإن من الحمق من لا يصدّه عن سلوكه
السكوت عنه ، ولا يدفعه عن دخول المكامن الإغضاء عنه ولا ينفعه .
فالعاقل إذا امتحن بعشرة من هذا نعتة تكلف بعض التجاهل في الأحيان ؛
لأن بعض الحلم إذعان ، كما أن استعماله في بعض الحالات قطب العقل .
ولقد أشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

لئن كنت محتاجا إلى الحلم إننى
ولى فرس للحلم بالحلم مُلجَم
فمن شاء تقويى فأبى مقوم
وما كنت أرضى الجهل خدنا ولاأخا
فإن قال بعض الناس : فيه سماجة ،
وأشدني على بن محمد البسامي :

إلى الجهل في بعض الأحيان أحوج
ولى فرس للجهل بالجهل مسرج
ومن شاء تعويى فأبى معوج
ولكننى أرضى به حين أخرجُ
فقد صدقوا ، والذل بالحر أسمىج

لن تُرَضِيَ الرَّذْلَ إِلَّا حِينَ تَسْخِطُهُ ، وَلَيْسَ يَسْخِطُ إِلَّا حِينَ تَرْضِيهِ
وَلَا يَسُوءُكَ إِلَّا حِينَ تَكْرِمُهُ ، وَلَا يَسْرُكُ إِلَّا حِينَ تَقْصِيهِ
حَدَّثَنَا أَبُو يَعْلَى حَدَّثَنَا سَرِيحُ بْنُ يُونُسَ حَدَّثَنَا أَبُو سَيْفَانَ الْعَمْرِيُّ عَنْ سَفِيَانَ
الثَّوْرِيِّ قَالَ : ابْنُ آدَمَ لَمْ يَخْلُقْ إِلَّا أَحْمَقًا ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَنْفَعِهِ عَيْشُهُ .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ الْقَرَازِيُّ حَدَّثَنَا عَصَامُ بْنُ الْفَضْلِ الرَّازِيُّ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ
بِكَارٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَرْبٍ قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَسَنِ بْنِ لَابَنَةَ : يَا بَنِيَّ احْذَرِ الْجَاهِلَ ،
وَإِنْ كَانَ لَكَ نَاصِحًا ، كَمَا تَحْذَرُ الْعَاقِلُ إِذَا كَانَ لَكَ عَدُوًّا ؛ فَيُوشِكُ الْجَاهِلُ أَنْ
يُورِطَكَ بِمَشُورَتِهِ فِي بَعْضِ اغْتِرَارِكَ ، فَيَسْبِقُ إِلَيْكَ مَكْرَ الْعَاقِلِ .

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : وَمِنْ شِيمِ الْأَحْمَقِ الْعَجَلَةُ ، وَالْخَفَةُ ، وَالْعَجْزُ ،
وَالْفُجُورُ ، وَالْجُهْلُ ، وَالْمَقْتُ ، وَالْوَهْنُ ، وَالْمَهَابَةُ ، وَالتَّعَرُّضُ ، وَالتَّحَاسُدُ ، وَالظُّلْمُ ،
وَالْحِيَانَةُ ، وَالغَفْلَةُ ، وَالسُّهُوُ ، وَالغِي ، وَالفَحْشُ ، وَالفَخْرُ ، وَالخِيَالَاءُ ، وَالعَدْوَانُ ،
وَالْبَغْضَاءُ .

وَإِنْ مِنْ أَعْظَمِ أَمَارَاتِ الْحَقِّ فِي الْأَحْمَقِ لِسَانُهُ ؛ فَإِنَّهُ يَكُونُ قَلْبُهُ فِي طَرَفِ
لِسَانِهِ ، مَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِهِ نَطَقَ بِهِ لِسَانُهُ .
وَالْأَحْمَقُ يَتَكَلَّمُ فِي سَاعَةٍ بِكَلَامٍ يَعْجِزُ عَنْهُ سَحْبَانُ وَأَثَلُ ، وَيَتَكَلَّمُ فِي السَّاعَةِ
الْأُخْرَى بِكَلَامٍ لَا يَعْجِزُ عَنْهُ بِأَقْلٍ .

وَالْعَاقِلُ يَجِبُ عَلَيْهِ مَجَانِبَةٌ مِنْ هَذَا نَعْتُهُ ، وَمَخَالَطَةٌ مِنْ هَذِهِ صِفَتُهُ ، فَإِنَّهُمْ
يَجْتَرِئُونَ عَلَى مَنْ عَاشَرَهُمْ . أَلَا تَرَى الزُّطَّ (١) لَيْسُوا هُمْ بِأَشْجَعِ النَّاسِ ، وَلَكِنَّهُمْ
يَجْتَرِئُونَ عَلَى الْأَسَدِ لَكَثْرَةِ مَا يَرَوْنَهَا .

وَأَنْشَدَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ بْنِ أَبِي بَرْدٍ الْأَرْمَنِيُّ :
وَلَمَنْ يَعَادِي عَاقِلًا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ صَدِيقٌ أَحْمَقُ
فَارْغَبْ بِنَفْسِكَ أَنْ تَصَادِقَ أَحْمَقًا إِنْ الصَّدِيقُ عَلَى الصَّدِيقِ مُصَدِّقٌ

(١) الزط : جنس من السودان والهنود طوال الأجسام مع نخافة .

وأنشدني منصور بن محمد الكريزي أنشدني أبي لصالح بن عبد القدوس :

احذر الأحق أن تصحبه إنما الأحق كالثوب الخلق
كلما رقته من جانب حركته الريحُ وهناً فانحرق
أو كصدع في زجاج فاحش هل ترى صدع زجاج يلتصق؟
كحجار السوء إن أفضمته^(١) رَمَحَ الناس ، وإن جاع نهق
وإذا جالسته في مجلس أفسد المجلس منه بالخرق
وإذا نههته كي يرعوى زاد شراً ، وتمادى في الحُق
عجباً للناس في أرزاقهم ذاك عطشان ، وهذا قد غرق

أبناؤنا يعقوب بن إسحاق القاضي ، حدثنا أبو هاني عبد الحميد بن عبد الله
حدثنا عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبه قال : الأحق كالثوب الخلق ، إن
رفأته من جانب انحرق من جانب آخر ، مثل الفخار المكسور ، لا يرفع ولا
يشعب ، ولا يعاد طينا .

فهذا مثل الأحق : إن صحبته عنك ، وإن اعتزلته شتمك ، وإن أعطاك من
عليك ، وإن أعطيته كفرك ، وإن أسرَّ إليك أتهمك ، وإن أسررت إليه خانك ،
وإن كان فوقك حقرك ، وإن كان دونك غمرك .

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

اعلم بأن من الرجال بهيمة في صورة الرجل السميع المبصر
فطناً بكل مصيبة في ماله وإذا يصاب بدينه لم يشعر

وأنشدني محمد بن عبد الله البغدادي :

وإن عناء أن تفهم جاهلاً فيحسب جهلاً أنه منك أعلم
وتشخص أبصار الرعاع تعجباً إليه ، وقالوا : إنه منك أفهم

(١) أفضمته : علفته القمام - بضم القاف وبتشديد الضاد - وهونبت من الحمض

(١) قال أبو حاتم رضى الله عنه : الأحمق يتوهم أنه أعقل من رُكِّبَ فيه الروح ، وأن الحمق قُسم على العالم غيره ، والأحمق مُبغض في الناس ، مجهول في الدنيا ، غير مرضى العمل ، ولا محمود الأمر عند الله وعند الصالحين ، كما أن العاقل محب إلى الناس ، مُسوّد في الدنيا ، مرضى العمل عند الله في الآخرة ، وعند الصالحين في الدنيا .

أبنا محمد بن المنذر بن سعيد ، حدثنا خطاب بن عبد الرحمن الجندى ، حدثنا عبد الله بن سليمان ، قال : كان الحسن يقول : أنا للعاقل المدبر أرجى مني للأحمق المقبل .

وأشدنى المنتصر بن بلال الأنصارى :

وما الغيُّ إلا أن تُصاحبَ غاويًا وما الرشد إلا أن تُصاحبَ من رَشَدُ
ولن يصحَبَ الإنسانَ إلا نظيره وإن لم يكونا من قبيل ولا بلد
وأشدنى على بن محمد البسامى :

لنا جليس تارك للآب جليسه من نوَّكه في تعبٍ
يفضب جهلا عند حال الرضا عمداً ، ويرضى عند حال الغضب
فنحن منه كلما جاءنا في عجب قد جاز حدَّ العجب
كأنه من سوء تأديبه أُسْلِمَ في كتابٍ سوء الأدب

أبنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا محمد بن أبي يعقوب الربعى ، حدثنا عبد الله بن موسى البصرى ، حدثنا العتبى ، قال : سمعت أعرابياً يقول : العاقل بخشونة العيش مع العقلاء أسرُّ منه بلين العيش مع السفهاء .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : وإن من شيم العاقل : الحلم ، والصمت ، والوقار ، والسكينة والوفاء والبذل ، والحكمة ، والعلم ، والورع والعدل ، والقوة ،

(١) من هنا يتبدى الكلام الذى نهىنا على أنه وضع فى ص ١١٨ فى المطبوعة

والخزم ، والكياسة ، والتمييز ، والسمت ، والتواضع ، والنفوس ، والإغضاء ،
والتعفف ، والإحسان ، فإذا وفق المرء لصحبة العاقل فليشدَّ يديه به ولا يزاله
على الأحوال كلها .

والواجب على العاقل أن لا يصحب بحيلة من لا يستفيد منه خيراً .

ولقد أنبأنا محمد بن محمود بن عدى النسوى ، حدثنا على بن سعيد بن جرير ،
قال : سمعت أحمد بن حنبل يقول : أخبرت عن مالك بن دينار أنه قال :
مررت براهب في صومعته فناديته ، فأشرف عليّ ، فكلمني وكتبه ، فقال لي
فيما يقول : إذا استطعت أن تجعل فيما بينك وبين الدنيا حائطاً فافعل ^(١) ،
وإياك وكلّ جليس لا تستفيد منه خيراً فلا تجالس ، قريباً كان أو بعيداً

(١) وهذا بظاهره طلب المستحيل ، وهو من أحقّ الحلق وأسفه السفه ، ولا يكون
من الرهبان إلا ذلك ، فإنهم ابتدعوا عكس ما كتبه الله ، فقد كتب الله وقدر بحكمته
البالغة هذه الحياة الدنيا ، وجعلها للإنسان الطريق إلى الآخرة ، وذلك من إحسان
الله بلا ريب ، وأمرنا أن نحسن الانتفاع بها مؤمنين بأن الله الحكيم ما خلقها ولا
خلق شيئاً في السموات والأرض باطلاً ، بل كله حق ، فقدر لربنا ذلك ونضع
كل شيء في موضعه ، فقد قال سبحانه (١٠ : ٢٦) للذين أحسنوا الحسنى وزيادة)
ولقد عمى أولئك الرهبان ومقلدوهم كل العمى فذهبوا متخبطين في مهامه الغي
والفساد ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، زعموا أنهم يقدرون أن يقهروا سنن الله
ويغلبوها فقهرتهم وغلبتهم ، والله (١٨ : ٦) هو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير)
فكان منهم أفسق الفسق ، وشر العصيان ، ولئن ضل رهبان النصارى لتبديل شريعة
عيسى عليه السلام وتحريفها ، فما بال رهبان المسلمين ضلوا وراءهم ضلالاً بعيداً؟ وهذا
كتاب الله محكمة آياته ، واضحة شرائعه ، بيضاء حججه ، قائمة صوابه ومعامله ، وهذا
هدى رسول الله مصون محفوظ ، كأنه قائم بين الناس يحدّثهم ويدعوهم إلى الهدى
وإلى صراط الله المستقيم ؟ ولكن هو إبليس العوى ، والتقليد الردى ، والغلو الفسد
والمهوى المتحكم ، ولو شاء ربك ما فعلوه ، فذرهم وما يفترون ، وعليك بهدى
رسول فهو خير هدى .

ذكر الزجر عن التجسس وسوء الظن

حدثنا محمد بن أحمد الرقام بتستر، حدثنا أبو الخطاب زياد بن يحيى، حدثنا أبو داود، حدثنا سليمان بن حيان عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا، ولا تحسسوا، ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله إخوانا» .

حدثنا محمد بن عثمان العقي، حدثنا جعفر بن محمد بن الحجاج الرقي، حدثنا محمد بن حاتم الجرجرائي، حدثنا محمد بن المبارك، عن يونس بن نافع، عن كثير بن زياد، قال: سمعت الحسن يقول: لا تسأل عن عمل أخيك الحسن والسيء، فإنه من التجسس .

قال أبو حاتم رضى الله عنه: الواجب على العاقل لزوم السلامة بترك التجسس عن عيوب الناس، مع الاشتغال باصلاح عيوب نفسه؛ فإن من اشتغل بعيوبه عن عيوب غيره أراح بدنه، ولم يتعب قلبه، فكلمنا أطلع على عيب لنفسه هان عليه ما يرى مثله من أخيه، وإن من اشتغل بعيوب الناس عن عيوب نفسه عمى قلبه وتعب بدنه، وتعدر عليه ترك عيوب نفسه، وإن من أعجز الناس من عاب الناس بما فيهم وأعجز منه من عابهم بما فيه من عاب الناس عابوه، ولقد أحسن الذى يقول:

إذا أنت عبت الناس عابوا وأكثروا
وقد قال فى بعض الأفاويل قائل
إذا ما ذكرت الناس فاترك عيوبهم
فإن عبت قوما بالذى ليس فيهم
وإن عبت قوما بالذى فيك مثله
وكيف يعيب الناس من عيب نفسه
متى تلتس للناس عيبا تجدهم
عليك، وأبدوا منك ما كان يستر
له منطلق فيه كلام محير
فلا عيب إلا دون ما منك يذكر
فذلك عند الله والناس أكبر
فكيف يعيب المور من هو أعور؟
أشد إذا عد العيوب وأنكر؟
عيوبا، ولكن الذى فيك أكثر

فسالمهم بالكف عنهم ، فإنهم بعيك من عينيك أهدى وأبصر
حدثنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا هارون بن صدقة القاضي ، حدثنا سعيد
ابن مسلمة الإيادي ، قال : ادعت امرأة على رجل حمارا لها ، فقدمته إلى القاضي ،
فسألها البيهقي ، فأحضرت أبا دلامة ورجلا آخر ، فقال لها القاضي : أما شاهدك
هذا فقد قبلنا شهادته ، فأتنا بشاهد آخر ، فأتت أبا دلامة فأخبرته ، فصار إلى
القاضي وأنشأ يقول :

إن الناس غَطَّوْني تَغَطَّيْتُ عَنْهُمْ وإن بَحْنُوا عني ففِيهم مباحث
وإن حَفَرُوا بئري حَفَرْتُ بئارهم ليعلم يوما كيف تلك النِائِثُ؟^(١)
فقال القاضي للمرأة : كم ثمن حمارك ؟ قالت : ثلاثمائة ، قال : قد احتملناها
لك من مالي وأنشدني الكريزي :

أرى كل إنسان يرى عيب غيره ويعمى عن العيب الذي هو فيه
وما خير مَنْ تخفى عليه عيوبه ويبدو له العيب الذي لأخيه
حدثنا محمد بن المنذر ، حدثنا الليث بن عبدة المصري ، حدثنا الحسن بن
واقع ، حدثنا ضمرة عن الشيباني ، قال : في الكتب مكتوب : كما تدين تدان ،
وبالكأس الذي تسقى به تشرب ، وزيادة : لأن الباديء لا بدله من أن يزداد .
قال أبو حاتم رضي الله عنه : التجسس من شُعب النفاق ، كما أن حسن
الظن من شعب الإيمان ، والعاقل يحسن الظن بإخوانه ، وينفرد بنمومه وأحزانه ،
كما أن الجاهل يسيء الظن بإخوانه ، ولا يفكر في جنائياته وأشجانه .
ولقد أحسن الذي يقول :

ما يَسْتَرِيحُ المَسِيءُ ظَنًّا من طول غم ، وما يُرِيحُ
وقلَّ وجهه يضيق إلا ودونه مذهب فسيح
مَنْ خَفَّفَ اللهُ عنه هبت من كل وجه إليه ريح

(١) نبث التراب ونبشه : حضره بيده وأثاره .

والجسم حيث استقر هادٍ والروح جَوَّالَةٌ تسيح
كم تذبح الأرض من بينها كلُّ بينها لها ذبيح
لن يهلك المرء من سماحٍ وقلمٍ ما يُفْلِحُ الشَّحِيحُ
قال أبو حاتم رضى الله عنه : سوء الظن على ضربين :
أحدهما : منهى عنه بحكم النبي صلى الله عليه وسلم .
والضرب الآخر : مستحب .

فأما الذى سهى عنه فهو استعمال سوء الظن بالمسلمين كافة على ماتقدم
ذكرنا له .

وأما الذى يستحب من سوء الظن فهو كمن بينه وبينه عداوة أو شحناء
فى دين أو دنيا ، يخاف على نفسه مكرهه ، فيئذ يلزمه سوء الظن بمكائده
ومكره لئلا يصادفه على غرّة بمكره فيهلكه .
وفى ذلك أنشدنى الأبرش :

وحسن الظن يحسنُ فى أمورٍ ويمكن فى عواقبه ندامه
وسوء الظن يسمج فى وجوهٍ وفيه من سماجته حزامه
وأنشدنى محمد بن إسحاق الواسطى :

ما ينبغي لأخى وُدّ وتجربة أن يترك الدهرَ سوءَ الظن بالناس
حتى يكون قريباً فى تباعده عنّا ، ويدفع ضراً الحرص بالياس
حدثنا محمد بن المنذر ، حدثنا إبراهيم بن هانىء ، حدثنا ابن أبى مریم ،
حدثنا (١) .

أنبأنا الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبى هلال عن زيد بن أسلم عن

(١) كذا بالأصلين ، وإلى هنا ينتهى الكلام الذى نهنا فى ص ١١٨ على أنه
وضع خطأ هنا فى المطبوعة السابقة .

عمر بن سعد عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : مكتوب في التوراة « من تجر^(١) فجّر ، ومن حفر حفرة سوء لصاحبه وقع فيها » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل مباينة العام في الأخلاق والأفعال ، بلزوم ترك التجسس عن عيوب الناس ؛ لأن من بحث عن مكنون غيره بحث عن مكنون نفسه ، وربما طمّ مكنونه على ما بحث من مكنون غيره ، وكيف يستحسن مسلم تلبّ مسلم بالشئ الذى هو فيه ؟

وأشدنى المنتصر بن بلال الأنصارى :

لا تلتمس من مساوى الناس ماستروا فيهتك الناس سترأ من مساويكا
واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا ولا تعب أحداً عيياً بما فيكا

وأشدنى محمد بن عبد الله بن زنجى البغدادى :

إذا ما اتقيت الأمر من حيث يتقى وأبصرت ما تأتى ، فأنت لبيب
ولا تك كالناهى عن الذنب غيره وفى كفه مما يذم نصيب
يعيب فعال السوء من فعل غيره ويفعل أفعال الذين يعيب

حدثنا محمد بن المهاجر المعدل حدثنا محمد بن موسى السمرى حدثنا حماد بن إسحاق بن إبراهيم عن أبيه ، قال : وحدثنى عزيز عن الزبير بن موسى الخزومى قال : قالت ابنة عبد الله بن مطيع الأسود ، وهى زوجة طلحة بن عبد الله بن عوف لزوجها : مارأيت أحداً قطُ الأمّ من أصحابك ، قال : مه ، لا تقولى ذاك فيهم ، وما رأيت من لؤمهم ؟ قالت : أمراً والله بيّناً ، قال : وما هو ؟ قالت : إذا أيسرت لزموك ، وإذا أعسرت جانبوك ، قال : ما زدت على أن وصفتهم بمكارم الأخلاق ، قالت : وما هذا من مكارم الأخلاق ؟ قال : يأتوننا فى حال القوة منا عليهم ، ويفارقوننا فى حال الضعف منا عليهم .

(١) أى صار تاجراً ، واتخذ التجارة صناعته .

ذكر الحث على مجانبية الحرص للعاقل

حدثنا محمد بن إسحاق بن خزيمة - رحمه الله - حدثنا بشر بن معاذ العقدي (١) حدثنا أبو عوانة عن قتادة عن أنس قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « يَهْرَمُ ابْنُ آدَمَ وَتَشَبَّ مِنْهُ اثْنَتَانِ : الْحَرَصُ ، وَالْحَسَدُ »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : ركب الله جل وعز في البشر الحرص والرغبة في الدنيا الفانية ، لئلا تحرب ، إذ هي دار الأبرار ، ومكسب الأتقياء ، وموضع زاد المؤمنين ، واستجلاب الميرة للصلحين ، ولو تعرّى الناس عن الحرص فيها بطلت وخربت ، فلم يجد المرء ما يستعين به على أداء فرائض الله ، فضلا عن اكتساب ما يُجدي عليه النفع في الآخرة نفلا ، والإفراط في الحرص مذموم ، كما أنشدني علي بن محمد البسامي :

ليس عندي إلا الرضا بقضاء الله فيما أحببته أو كرهته
لو إلى الأمور ، أختار منها خيرا لي عواقبا ما عرفته
ولو أنى حرصت جهدى أن أدفع أمرا مقدرًا ما دفعته
فأرى أن أردّ ذاك إلى من عنده علم كل ما قد جهلته
وأنشدني محمد بن نصر المديني :

يا كثير الحرص مشغو لا بدنيا ليس تبقى
مارأيت الحرص أدنى من حريص قط رزقا
لا ، ولكن في قضاء الله : أن يعيا ويشقى
تعرف الحق ، ولكن لا ترى للحق حقا

أبانا أحمد بن محمد بن سعيد القيسي ، حدثنا محمد بن الوليد بن أبان ، حدثنا نعيم بن حماد عن ابن المبارك قال : سخاء الناس عما في أيدي الناس . أكثر من

(١) في نسخة « العقبي » ،

سخاء البذل ، ومروءة القناعة أكثر من مروءة الإعطاء .

أنشدنا أبو يعلى قال : أنشدونا منذ دهر للشافعي :

قد رُ اللهُ واقِعٌ حيث يُقضى ورودُه
قد مضى فيك حكمه وانقضى ما يُريده
وأخوال الحرص حرصه ليس مما يزيدُه
فأردُ ما يكون إذ لم يكن ما تريده

أبانا عبد الله بن عروة حدثنا يعقوب الدورقي حدثنا ابن عليه عن أيوب عن ابن سيرين قال : إذا لم يكن ما تريد فأردُ ما يكون .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أغنى الأغنياء من لم يكن للحرص أسيراً ، وأقفر الفقراء من كان الحرص عليه أميراً ؛ لأن الحرص سبب لإضاعة الموجود عن مواضعه ، والحرص محرمة ، كما أن الجبن مقتلة ، ولو لم يكن في الحرص خصلة تدمر إلا طول المناقشة بالحساب في القيامة على ما جمع لكان الواجب على العاقل ترك الإفراط في الحرص .

وقد كان بعض أصحابنا كثيراً ما ينشد :

تجانب الحرص ، ودع عنك الحسد ففيهما الذلُّ وإعابُ الجسد
وأنشدنى الكريزى :

وأرقى طولُ التفكر إننى عجبت لدهرٍ ما تُقضى عجائبه
فكم عاجز يدعى جليداً لغشمه ولو كلف التقوى لكَلَّت مضاربه
وعفٍ يسمى عاجزاً لعفافه ولولا التقي ما أعجزته مذاهبه
فليس بحرص المرء أدركه الغنى ولا باحتيال أدرك المال كاسبه
ولكنه قبضُ الإله وبسطه فلا ذا يجاريه ولا ذا يقالبه

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الحرص غير زائد في الرزق ، وأهون ما يعاقب الحريص بحرصه أن يمنع الاستمتاع بما عنده من محصوله ، فيتعب في طلب

ما لا يدري أيلحقه أم يحول الموت بينه وبينه؟ ولو لزم الحريص ترك الإفراط فيه
واتكل على خالق السماء لأتحفه المولى جل وعز بإدراك ما لا يسعى فيه ، والظفر
بما لو سعى فيه وهو حريص عسى لتعذر عليه وجوده .

وأُشَدْنِي عَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدٍ الْبَسَامِيُّ :

أَلَا رَبَّ بَاغِ حَاجَةً لَا يِنَايُهَا وَأَخْرُ قَدْ تَقَضَى لَهُ وَهُوَ آيَسُ
يَجَاوِلُهَا هَذَا ، وَتَقَضَى لِفَيْرِهِ وَتَأْتِي الَّذِي تَقَضَى لَهُ وَهُوَ جَالِسُ

وأُشَدْنِي عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنِ سَلِيْمَانَ الْأَبْرَشِ :

وَكَمْ مِنْ أَكْلَةٍ مَنَعَتْ أَخَاهَا بِلَذَّةِ سَاعَةِ أَكْلَاتِ دَهْرٍ
وَكَمْ مِنْ طَالِبٍ يَسْعَى لِشَيْءٍ وَفِيهِ هَلَاكُهُ لَوْ كَانَ يَدْرِي
قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الْحِرْصُ عِلْمٌ بِالْفَقْرِ ، كَمَا أَنَّ الْبَخْلَ جِلْبَابُ
الْمَسْكِنَةِ ، وَالْبَخْلُ لِقَاحُ الْحِرْصِ ، كَمَا أَنَّ الْحِمِيَّةَ لِقَاحُ الْجَهْلِ ، وَالْمَنَعُ أَخُو الْحِرْصِ ،
كَمَا أَنَّ الْأَنْفَةَ تَوَامُ السَّفَةِ ، وَأُشَدْنِي عُمَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ قَالَ : أُشَدْنِي الْغُلَابِيَّ :

لَا تَأْتِينَ . نَذَالَةً لِمَنَالَةٍ فليأتينك رزقك المقدر
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ آخِذٌ كُلِّ الَّذِي لَكَ فِي الْكِتَابِ مُحَبَّرٌ مَسْطُورٌ
وَاللَّهُ مَا زَادَ امْرَأَةً فِي رِزْقِهِ حِرْصًا ، وَلَا أُرْرِي بِهِ التَّقْصِيرَ

وأُشَدْنِي مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْجِي الْبَغْدَادِيَّ :

وَارْضَ مِنَ الْعَيْشِ فِي الدُّنْيَا بِأَيْسَرِهِ وَلَا تَرُومَنَّ مَا إِنْ رُمْتَهُ صَعْبًا
إِنَّ الْغَنَى هُوَ الرَّاضِي بِعَيْشَتِهِ لَا مَنْ يَظَلُّ عَلَى مَا فَاتَ مَكْتَتِبًا
أُنْبَأْنَا مُحَمَّدَ بْنَ سَعِيدِ الْقِرَازِ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَحْيَى بْنِ حَمِيدِ الطَّوِيلِ حَدَّثَنَا
أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَتَبِيُّ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : اخْتَصَمَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي الْقَدَرِ ،
خَمْسَمِائَةَ عَامًا ، ثُمَّ تَجَاكَمُوا إِلَى عَالَمٍ مِنْ عُلَمَائِهِمْ ، فَقَالُوا لَهُ : أَخْبِرْنَا عَنِ الْقَدَرِ ،
وَقَصِّرْ وَبَيْنَ لَتَفْتَهُمَهُ عَنكَ الْعَوَامُ ، فَقَالَ : حَرْمَانٌ عَاقِلٌ ، وَحِظٌّ جَاهِلٌ .
قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَأَحْظُ فِي الرَّاحَةِ لِمَنْ أَطَاعَ الْحِرْصَ ؛ إِذْ الْحِرْصُ

سائق البلايا ، فالواجب على العاقل أن لا يكون بالمفرط في الحرص في الدنيا ؛
فيكون مذموماً في الدارين ، بل يكون قصده لإقامة فرائض الله ، ويكون
لبغيته نهاية يرجع إليها ؛ لأن من لم يكن لقصده [منها] نهاية آذى نفسه وأتعب
بدنه . فمن كان بهذا النعت فهو من الحرص الذي يحمد .

وأنشدني المنتصر بن بلال الأنصاري :

الحرص عونٌ للزمان على الفتى والصبر نعم القرنُ للأزمان
لا تخضعنَّ فإن دهرك إن رأى منك الخضوع أمدَّةُ بهوان
وإذا رآك وقد قصدت لصرفه بالصبر ، لاقى الصبر بالإذعان
وأنشدني منصور بن محمد الكريزي ، حدثني شعيب بن أحمد لأبي العتاهية :
لاتخضعنَّ لمخلوق على طمع فإن ذاك مُضِرٌّ منك بالدين
وأنشدني الكريزي أيضاً ، أنشدني شعيب بن أحمد لأبي العتاهية :

قد شاب رأسي ، ورأسُ الحرص لم يشبِ
إن الحريص على الدنيا لفي تعب
مالي أراني إذا حاولتُ منزلةً
ففلتها طمحت نفسي إلى رتب
لو كان ينفعني علمي وتجربتي

لم أشف غيظي من الدنيا ولا كلبني
قال أبو حاتم رضي الله عنه : قد ذكرت ما يشاكل هذه الحكايات بطلها
في كتاب « الثقة بالله » بما أرجو أن يكون فيه غنبة لمن أراد الوقوف على
معرفتها ، فأغنى ذلك عن تكرارها في هذا الكتاب .

ذكر الزجر عن التحاسد والبغضاء

أبناًنا محمد بن الحسين بن مكرم البزاز بالبصرة ، حدثنا عمرو بن علي الفلاس ،

حدثنا أبو عاصم عن ابن جريج ، حدثني عطاء أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل مجانبية الحسد على الأحوال كلها : فإن أهون خصال الحسد هو ترك الرضا بالقضاء ، وإرادة ضد ما حكم الله جل وعلا لعباده ، ثم انطواء الضمير على إرادة زوال النعم عن المسلم ، والحاسد لا تهدياً روحه ولا يستريح بدنه إلا عند رؤية زوال النعمة عن أخيه ، وهيهات أن يساعد القضاء ما للحساد في الأحشاء .

وأشدنى محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطى :

أعذر حسودك فيما قد خصصت به إن العلى حسن في مثله الحسد
إن يحسدونى فانى لا ألومهم قبل من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لى ولهم مابى وما بهم ومات أكثرنا غيظاً بما يجد
أنا الذى وجدونى فى صدورهم لا أرتقى صدرأ منهم ولا أريد
أنبأنا أبو خليفة ، حدثنا ابن كثير ، أنبأنا سفيان الثورى عن أبى إسحاق ،
عن عمرو بن ميمون ، قال : رأى موسى رجلا عند العرش فغبطه مكانه ، فسأله
عنه ، فقال : ألا أخبرك بعمله ؟ كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله ،
ولا يعقُّ والديه ، قال : وكيف يعق والديه ؟ قال : يستشب لها حتى يسبَّ ، ولا
يمشى بالنميمة .

أشدنى ابن بلال الأنصارى :

عينُ الحسود عليك الدهرَ حارسةً تبدى مساويك والإحسان يخفيها
فاحذر حراستها ، واحذر تكشفها وكن على قدرٍ ما توليك توليها
أنبأنا عبدالرحمن بن زياد الكنانى ، بالأبلة ، حدثنا أبو يحيى الضرير ، حدثنا
موسى بن داود ، حدثنا ابن لهيعة عن كعب بن علقمة قال عمر بن الخطاب

رضى الله عنه « ما من أحد عنده نعمة إلا وجدت له حاسداً ، ولو كان المرء أقوم
من القدح لوجدت له غامزاً ، وما ضرت كلمة لم يكن لها خواطب »
وأنشدني علي بن محمد البسامي (١) :

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه فالقوم أنداد له وخصم (٢)
كضرائر الحسنة قلن لوجهها حسداً وبغياً : إنه لدميم
وترى اللبيب محسداً لم يجتلب شتم الرجال ، وعرضه مشتوم

أخبرنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا أحمد بن إبراهيم بن حرب ، حدثنا
غسان بن المفضل ، أخبرني محمد بن يزيد عن يونس بن عبيد ، قال : قال ابن
سيرين : ما حسدت أحداً على شيء من الدنيا ؛ لأنه إن كان من أهل الجنة
فكيف أحسده على شيء من الدنيا وهو يصير إلى الجنة ؟ وإن كان من أهل
النار فكيف أحسده على شيء من الدنيا وهو يصير إلى النار ؟

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الحسد من أخلاق اللئام ، وتركه من أفعال
الكرام ، ولكل حريق مطوي ، ونار الحسد لا تطفأ .

ومن الحسد يتولد الحقد ، والحقد أصل الشر ، ومن أضر الشر في قلبه ،
أنت له نباتاً مرّاً مذاقه ، نماؤه الغيظ ، وثمرته الندم .

والحسد هو اسم يقع على إرادة زوال النعم عن غيره ، وحلولها فيه . فأما
من رأى الخير في أخيه ، وتمنى التوفيق لمثله ، أو الظفر بحاله ، وهو غير مرید
لزوال ما فيه أخوه ؛ فليس هذا بالحسد الذي ذم ونهى عنه .

ولا يكاد يوجد الحسد إلا لمن عظمت نعمة الله عليه ، فكلمة أتخفه الله
بترداد النعم ، ازداد الحاسدون له بالمكروه والنقم .

وقد كان داود بن علي - رحمة الله عليه - ينشد كثيراً :

(١) ثانی هذه الآيات ينسب لابن الرومی .

(٢) المحفوظ « فالقوم أعداء له وخصوم » .

إني نشأت وحُسادى ذوو عدد ياذا المعارج ، لا تنقص لهم عددا
إن يحسدوني على ما كان من حسن فمثل خلقتي فيهم جرّ لي حسدا
حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا مهدي بن سابق ، أخبرنا
عباد بن عباد المهلبى قال : قال أبو جعفر المنصور لسفيان بن معاوية : ما أسرع
الناس إلى قدمتك المدينة ! فقال : يا أمير المؤمنين :

إن العرائن تلقاها محسدة ولن ترى للثام الناس حساد
وأنشدنى الكريزى ، أنشدنى محمد بن الحسين العمي :

حسدوا النعمة لما ظهرت فرموها بأباطيل الكلم
وإذا ما الله أبدى نعمة لم يضرها قولُ حساد النعم

سمعت أحمد بن محمد بن الأزهر يقول : سمعت أحمد بن سعيد الدار
يقول : سمعت أبا إسحاق الطالقاني يقول : كنا نتعلم في الكتاب - كما نتعلم
أبو جاد^(١) - جهل نيسابورى ، وبخل مروزي ، وحسد هروى ، وطرم^(٢) بلخى
أنبأنا محمد بن عثمان العقبى : حدثنا عمران بن موسى بن أيوب ، حدثنى
أبى عن مخلد بن الحسين ، عن هشام ، عن ابن سيرين قال : ما حسدت أحداً
على دين ولا دنيا . . .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يوجد من الحسود أمان أحرز من البعد
منه ؛ لأنه ما دام مشرفاً على ما خصصت به دونه لم يزد ذلك إلا وحشة وسوء
ظن بالله ، ونماء للحسد فيه .

فالعاقل يكون على إمامة الحسد بما قدرَ عليه أحرص منه على تربيته ولا يجد
لإمامته دواء أنفع من البعاد ، فإن الحاسد ليس يحسدك على عيب فيك ، ولا على

(١) أبو جاد ، أو أبا جاد : حروف الهجاء .

(٢) الطرم : من التطرم وهو الالتياث فى الكلام

حياته ظهرت منك ، ولكن يحسدك بما ركب فيه من ضد الرضا بالقضاء كما قال العتبي :

أفكر ما ذنبي إليك فلا أرى لنفسى جرماً ، غير أنك حاسدٌ
وأشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

ليس للحاسد إلا ما حسدُ وله البغضاء من كل أحد
وأرى الوحدة خيراً للفتى من جليس السوء فانهض إن قعدُ
وأشدني محمد بن نصر المديني لحبيب بن أوس :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيبُ عَرَفُ العود^(١)
لولا التخوف للعواقب لم تزل للحاسد النعمى على المحسود

أبنا محمد بن المنذر ، حدثنا يحيى بن أبي طالب ، حدثنا روح بن عبادة ،
حدثنا حماد عن حميد قال : قلت للحسن : يا أبا سعيد ، هل يحسد المؤمن ؟ قال :
مأنسك بنى يعقوب ؟ لا أبالك ! حيث حسدوا يوسف ، ولكن غم الحسد
في صدرك ، فإنه لا يضرك ، ما لم يعد لسانك وتعمل به يدك .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل إذا خطر بباله ضرب من الحسد لأخيه
أبلغ المجهود في كتابه ، وترك إبداء ما خطر بباله .

وأكثر ما يوجد الحسد بين الأقران ، أو من تقارب الشكل ، لأن الكتبة
لا يحسدها إلا الكتبة ، كما أن الحجة لا يحسدها إلا الحجة ، ولن يبلغ المرء مرتبة
من مراتب هذه الدنيا إلا وجد فيها من يبغضه عليها ، أو يحسده فيها ، والحاسد
خصم معاند لا يجب للعاقل أن يجعله حكماً عند نائبة تحدث ، فإنه إن حكم
لم يحكم إلا عليه ، وإن قصد لم يقصد إلا له ، وإن حرم لم يحرم إلا حظّه ، وإن

(١) العرف - بالفتح - الريح الطيبة ، والعود : أراد به العود الذي يتبخر به

أعطى أعطى غيره ، وإن قعد لم يقعد إلا عنه ، وإن نهض لم ينهض إلا إليه ،
وليس للمحسود عنده ذنب إلا النعم التي عنده .

فليحذر المرء ما وصفت من أشكاله وأقرانه وجيرانه وبني أعمامه .

وقد أنبأنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا العباس بن بكار قال : قال

رجل لشيب بن شبة : إني لأحبك ، قال : صدقت ، قال : وما علمك ؟ قال :
لأنك لست بجار ولا ابن عم .

وأنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي .

أنت امرؤ قصرت عنه مروءته إلا من الغش للاخوان والحسد
أأن تراني خيراً منك تحسدني ؟ إن الفضيلة لا تخلو من الحسد

قال أبو حاتم رضى الله عنه : بئس الشعار للمرء الحسد ، لأنه يورث الكمد ،
ويورث الحزن ، وهو داء لا شفاء له .

والحاسد إذا رأى بأخيه نعمة بهت ، وإن رأى به عثرة شمت ، ودليل مافي

قلبه كمين على وجه مبین ، وما رأيت حاسدا سالم أحدا .

والحسد داعية إلى النكد ، ألا ترى إبليس ؟ حسد آدم فكان حسده نكدا
على نفسه ، فصار لعيناً بعد ما كان مكيناً ^(١) ، ويسهل على المرء ترضي كل ساخط
في الدنيا حتى يرضى ، إلا الحسود ؛ فإنه لا يرضيه إلا زوال النعمة التي حسد
من أجلها .

(١) لست أدري : علام أقام القائلون مكانة إبليس : قولهم ؟ فمنهم من زعمه
كان طاوس الملائكة ، ومنهم من زعمه ، كان زينة ساكني الجنة ، وغير ذلك من
مقالاتهم . وهذا كتاب الله واضح الآيات ومحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
مجلوة الصفحات ، لا نجد في شيء من ذلك على شيء مما قالوه عن إبليس ، ومن أصدق
من الله قبيلاً ؟ وأعتقد أن للاسرائيليات يدا طائلة في تلك النوعات التي خلعوها على
إبليس . وكل ذلك من علم الغيب الذي لا ينبغي أن نطق فيه إلا بكتاب الله ، أو
بالصحيح الثابت من حديث رسول الله . والله أعلم .

ولقد حدثني محمد بن عثمان العقدي^(١) حدثنا محمد بن زكريا الغلابي ، حدثنا ابن عائشة قال : قال بعض الحكماء : أُلزِمُ الناسُ للكآبة أربعةٌ : رجلٌ حديد ، ورجلٌ حسود ، وخليطٌ للأدباء. وهو غير أديب ، وحكيمٌ محتقرٌ للأقوام ، وأبعدُ الناس من الدخول في دين الحق والنصيحة لأهله : جاهلٌ ورث الضلالة عن أهله ، ورأسُ أهل ملته حظي فيهم بفضل الضلالة ، ومعظمٌ للدنيا يرى بهجتها دأمةً محبوبه ، ويرى مارجي من خيرها قريباً ، وما صرف من شرها بعيداً ، ليس يعقد قلبه على الإيمان ، ورجلٌ خالط النساء فأنصرف عنهم لحرصه وشرهه ، ودأجهم على مكر وخديعة .

ذكر الحث على مجانبة الغضب وكرهية المجلة

أنبأنا عمر بن حفص البزار مجنديسابور ، حدثنا محمد بن زياد الزيادي ، حدثنا الفضيل بن عياض عن سليمان عن أبي صالح عن أبي هريرة أن جابراً قال « جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : علمني شيئاً يا رسول الله أدخل به الجنة ، ولا تُكثِرُ عَلَيَّ ، لعلِّي أعقلُ ، قال : لا تغضب » قال أبو حاتم رضي الله عنه : أحسن الناس عقلاً من لم يجرد ، وأحضر الناس جواباً من لم يغضب .

وسرعة الغضب : أنكي في العاقل من النار في يَبَسِ العُوسَجِ ؛ لأن من غضب زايه عقله ، فقال : ما سوَّلت له نفسه ، وعمل ما شأنه وأرداه .

ولقد أنبأنا محمد بن عثمان العقدي^(١) ، حدثنا إسحاق بن زكرياء البناني حدثنا عبد الصمد بن حسان ، حدثني وهيب قال : مكتوب في الإنجيل : ابن آدم ، اذ كرتي حين تغضب ، اذ كرتي حين أغضب ، فلا أحمك فيمن أحمق ؛ وإذا ظلمت فلا تنصر ، فإن نصرتي لك خير من نصرتك لنفسك .

وأنشدني الكريزي :

ولم أر فضلا تمَّ إلا بشيمة ولم أر عقلا صحَّ إلا على الأدب
ولم أر في الأعداء حين اختبرتهم عدواً لعقل المرء أعدى من الغضب
قال أبو حاتم رضى الله عنه : سرعة الغضب من شيم الحق ، كما أن مجانبتة
من رى العقلاء .

والغضب بذر الندم ، فالمرء على تركه قبل أن يغضب أقدرُ على إصلاح
ما أفسد به بعد الغضب .

ولقد أنبأنا محمد بن إسحاق الثقفى ، حدثنا حاتم بن الليث الجوهري ، حدثنا
بكار بن محمد قال : كان ابن عون لا يغضب ، فإذا أغضبه إنسان قال : بارك
الله فيك ! .

وأنشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطى :

لم يأكل الناس شيئاً من ما كلهم أحلى وأحمدَ عقباه من الغضبِ
ولا تلحف إنسان بملحفة أبهى وأزين من ذين ومن أدب
أنبأنا كامل بن مكرم ، حدثنا الربيع بن سليمان ، حدثنا أسد بن موسى ،
حدثنا ضمرة عن أبي سعيد قال : كان عون بن عبد الله بن عتبة إذا غضب على
غلامه قال : ما أشبهك بمولاك ! أنت تعصيني وأنا أعصى الله ، فإذا اشتد غضبه
قال : أنت حر لوجه الله .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل إذا ورد عليه شيء بضد
ماتهبواه نفسه أن يذكر كثرة عصيانه ربه ، وتواتر حلم الله عنه ثم يسكن غضبه
ولا يزرى بفعله الخروج إلى ماليليق بالعقلاء في أحوالهم ، مع تأمل وفور الثواب
في العقبي بالاحتمال ونفي الغضب .

وأنشدني الأنصارى :

وكظمى الغيظَ أولى من محاولتى غيظَ العدوِّ يا ضرارى يا يمانى

لا خيرَ في الأمرِ تُرديني مغبته يوم الحساب إذا مانصَّ ميزاني
أنبأنا محمد بن المنذر ، حدثنا عمر بن علي بن زياد العنبري قال : سمعت سالم
ابن ميمون الخواص يقول :

إذا نطق السفية فلا تُجبه فخير من إجابته السكوتُ
سكتٌ عن السفية فظنَّ أني عييت عن الجواب ، وما عييتُ
شرارُ الناس لو كانوا جميعاً قذى في جوف عيني ما قذيتُ
فلمست مجاوباً أبداً سفياً خزيت لمن يجافيه خزيتُ
وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

تأنَّ في أمرك ، وافهمْ عني فليس شيء يعدلُ التأنى
تأنَّ فيه ، ثم قل ، فإني أرجو لك الإرشاد بالتأنى
أخبرني محمد بن أبي علي الخلابي ، حدثنا عبد الله بن جعفر الزبيرى عن
سعيد بن إبراهيم بن محمد بن طلحة ، قال أنشدني يونس بن إبراهيم بن محمد
ابن طلحة لمحمد بن عيسى بن طلحة بن عبيد الله :

فلا تعجلْ على أحدٍ بظلم فإن الظلم مرتعُهُ وخيم
ولا تفحش ، وإن مُلِّيت غيظاً على أحد ، فإن الفحش لوم
ولا تقطع أحماً لك عند ذنب وإن الذنب يغفره الكريم
ولكن دارى عوراهُ برفق كما قد يُرْقِعُ الخلق القديم
ولا تجزع لريب الدهر واصبر فإن الصبر فى العقبى سليم
فما جَزَعُ بَمُغْنِ عنك شيئاً ولا مافات ترَجِعُهُ الموموم

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لو لم يكن فى الغضب خصلة تدمم إلا إجماع
الحكماء قاطبة على أن الغضبان لا رأى له ، لكان الواجب عليه الاحتيال لمفارقته
بكل سبب .

والغضببان لا يعذرهُ أحد في طلاق ولا عتاق. ومن الفقهاء من عذَرَ السكران في الطلاق والعتاق ، وانخلق مجبولون على الغضب والحلم معاً ، فمن غضب وحلم في نفس الغضب ؛ فإن ذلك ليس بدموم ، ما لم يخرجهُ غضبه إلى المكروه من القول والفعل ، على أن مفارقتهُ في الأحوال كلها أحمد .

ولقد أنبأنا عمر بن محمد حدثنا الغلابي حدثنا مهدي بن سابق عن عطاء قال : قال عبد الملك بن مروان : إذا لم يفضب الرجل لم يحلم ؛ لأنّ الحليم لا يعرف إلا عند الغضب .

ذكر الزجر عن الطمع إلى الناس

أنبأنا محمد بن أحمد بن المستنير بالمصيصة حدثنا يوسف بن سعيد بن مسلم حدثنا خالد بن عمرو عن سفيان عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال « جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، علمني عملاً إذا أنا عملته أحبني الله ، وأحبنى الناس ؛ فقال : ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل ترك الطمع إلى الناس كافة بكمال الإياس عنهم ؛ إذ الطمع فيما لا يشك في وجوده فقر حاضر ، فكيف بما أنت شك في وجوده أو عدمه ؟ .
واقعد أحسن الذي يقول :

لأجعلنَّ سبيل اليأس لى سبلاً ماعشت منك ، ودارَ ألهمَّ أوطانا
والصبرُ أجمله غرماً أنال به في الناس قرباً ، وعند الله رضوانا
فالنفس قانعة ، والأرضُ واسعة والدار جامعة مثني ووحدانا

وأنشدني عمرو بن محمد بن عبد الله النسائي قال : أنشدني الحسين بن أحمد

ابن عثمان :

اليأسُ أدبى ورفَعَ همتى واليأسُ خير مؤدب للناس
إني رأيت مواضع الطمع الذى يضع الشريف مواضع الأخساس
وأشدنى محمد بن عبد الله البغدادى : (١)

فأجمعت يأساً لا لبانة بعده واليأس أذى للعفاف من الطمع
والنفس تطمع هشة إن أطمعت وتنال باليأس السلو فتتقع
أبناءنا محمد بن عثمان العقبى (٢) حدثنا يزيد بن عبد الصمد حدثنا يحيى بن
صالح حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن سعد بن عمار أنه لما قال لابنه : يا بني ،
أظهر اليأس فإنه غنى ، وإياك والطمع فإنه فقر حاضر .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أشرف المنى ترك الطمع إلى الناس إذ لا غنى
لذى طمع وتارك الطمع يجمع به غاية الشرف ، فطوبى لمن كان شعار قلبه الورع
ولم يعم بصره الطمع .

ومن أحب أن يكون حراً فلا يهوى ما ليس له ؛ لأن الطمع فقر ، كما أن
اليأس غنى ، ومن طمع ذل وخضع ، كما أن من قنع عفا واستغنى .
ولقد أشدنى الكريزى :

لا خير فى عزم بغير روية والشك عجز ، إن أردت سراحا
واليأس مما فات يعقب راحة ولرب مطمعة تعود ذباحا
وأشدنى على بن محمد البسامى :

فكنت لى أملاً دهرأ أطلبه فغيرته صروف الدهر أطوارا
صرفت باليأس عنه النفس فانصرفت فما أبالى أقام الدهر ، أم سار
أبناءنا محمد بن المهاجر المعدل حدثنا عبد الله بن أبي شيبة حدثنا عبد الله بن
مروان حدثنا محمد بن هانىء الطائى قال : بعث أبو الأسود الديلى إلى جار

(١) البیتان الآتیان لیساً من بحر واحد ولا روى واحد لذلك فصلناهما

(٢) أنظر ص ١٣٨ السابقة .

يقترض منه ، فلم يقرضه واعتل عليه ، وكان حسن الظن به ، فقال أبو الأسود :

لا تشعرن النفس ياساً ، فإنما يعيش بجد عاجز وجليل
ولا تطمعن في مال جار لقربه فكل قريب لا ينال بعيد
وفوض إلى الله الأمور ، فإنما يروح بأرزاق العباد جدود

أنبأنا القطان بالرقّة حدثنا المروزي قال : سمعت أحمد بن حنبل يقول : سمعت
ابن السماك يقول : الرجاء حبّ في قلبك ، وقيدٌ في رجلك ، فأخرج الرجاء من
قلبك ينفكّ القيد من رجلك .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الطمع غُدّة من قلب المرء له طرفان ،
أحدهما : القيد في رجله ، والآخر : الطبع على لسانه ، فما دامت العقدة قائمة
لا تنفكّ رجلاه ، ولا ينطق لسانه ، فإذا أخرج الطمع من قلبه انفكّ القيد من
رجليه وزال الطبع عن لسانه ، فسعى إلى ما شاء ، وقال ما أحب .
ودواء زوال الطمع عن القلب : هو رؤية الأشياء من مكنونها بدوام
الخلوة ، وترك الناس كما أنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

كُنْ اقمر البيت حليماً وارض بالوحدة أنسا^(١)

(١) إن من يازم قعر البيت ليكون حليماً - والحلس : الفراش المهيّن من خيش
ونحوه ، يكون تحت الفراش القيم ، من نحو البسط والتمارق ، وهو أيضا : ما يلي
ظهر الفرس أو البعير تحت السرج والزحل - لا بد أن يكون مهيناً خفياً ، عالة على
الناس ، معطلا عن العمل والكسب ، فاراً من ميدان الكدح والجهاد في الحياة
بسنن الله العليم ، ولذلك جرى على ألسنة العرب : « فلان جلس بيته » على النّم ،
يعنون أنه لا يصلح إلا للزوم البيت ، كما قال في لسان العرب . ومثل هذا لا يحبه
الله ولا رسوله صلى الله عليه وسلم ، فضلا عن أن هذا لا يقطع جذور داء الطمع ،
بل يزيده تأصلاً ، وتمكناً في النفس ، بما تنازله الحياة وشئون العيش اللازم فيها
إلى ما في أيدي العاملين الكادحين ، بل ويؤله فيه - زيادة عن الطمع - الحسد
والحقد على المجتمع كله ، وما نبئت رؤوس شياطين القنن في المجتمع والثورة على =

لست بالواجد حُرًّا أو ترد اليوم أمسا
فاغرس اليأس بأرض الزُّهد ما عُمِّرت غرسا
وليكن يأسك دون الطمع الكاذب تُرسا
قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يجتنب الطمع إلى الأصدقاء ؛ فإنه
مَدَلَّةٌ ، ويلزم اليأس عن الأعداء ؛ فإنه مَنجاةٌ ، وتركه مَهْلِكَةٌ ، والإياس هو بذر
الراحة والعز ، كما أن الطمع هو بذر التعب والذل ، فكم من طامع تعب وذل ،
ولم ينل بغيته ، وكم من آيس استراح وتعزز ، وقد أتاه ما أمل وما لم يأمل .
وأنشدنى الأبرش :

يَعْرَى وَيَغْرَثُ مِنْ أَمْسَى عَلَى طَمَعٍ
مِنَ الْمَكَارِمِ وَهُوَ الطَّامِعُ الْكَاسِي
إِنَّ الْمَطَامِعَ ذَلٌّ لِلرَّقَابِ ، وَلَوْ
أَمْسَى أَخُوهَا مَكَانَ السَّيِّدِ الرَّاسِ
وَأَنشَدَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْوَاسِطِي :

ألم تعلمي أني إذا النفس أشرفت
على طمع لم أنس أن أتكرما
ولست بلوام على الأمر بعد ما
يفوت ، ولكن علّ أن أتقدما
أنيانا محمد بن سعيد القزاز حدثنا الفضل بن يوسف الكوفي حدثنا عبد الله
ابن جبلة الكِنَانِي عن معاوية بن عمار عن أبي جعفر قال : اليأس عما في أيدي
الناس عز ، ثم قال : أما سمعت قول حاتم الطائي :

إذا ما عزمت اليأس ألفيته الغنى
إذا عرفته النفس ، والطَّمَعُ الْفَقْرُ

ذكر الحث على مجانبة المسألة وكرهيتها

حدثنا أبو يزيد خالد بن النضر بن عمرو القرشي بالبصرة حدثنا عبد الواحد
ابن غياث حدثنا حماد بن سلمة حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن الزبير بن العوام
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لأن يأخذ أحدكم حبلًا فيأتي بجرمة
حطب فيبيعها خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه » .

== النظم والحكومات إلا من ججور وأوكار أولئك الفارين من ميدان الحياة المستقيمة
بالجد والنشاط في حسن الانتفاع بسنن الله وآياته ونعمه ، ولكن أكثر الناس لا يملون .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل مجانبة المسألة على الأحوال كلها ، ولزوم ترك التعرّض ؛ لأن الإفكار فى العزم على السؤال يورث المرء مهانة فى نفسه ، ويحطّه رتوة^(١) عن مرتبته ، وترك العزم على الإفكار فى السؤال يورث المرء عزاً فى نفسه ، ويرفعه درجة عن مرتبته .

ولقد أنبأنا محمد بن المنذر حدثنا الفيض بن الحضرمي التميمي حدثنا عبد الله ابن خبيق قال : قال موسى بن طريف : إن الحاجة تعرض لى إلى الرجل ،

فيخرج عزي من قلبى قطع الحاجة من ناحيته ، فيرجع عزي إلى قلبى وأنشدنى الكريزى قال : أنشدنا الحسن بن أحمد لعلى بن الجهم :

هى النفس ، ما حملتها تتحملُ وللدهر أيام تجور وتعذل

وطبقة الصبر الجميل جميلة وأفضل أخلاق الرجال التفضل

فلا ظار إن زالت عن الحرّ نعمة ولكن عاراً أن يزول التجمل

أخبرنا زكرياء بن يحيى الساجي حدثنا عبد الواحد بن غياث حدثنا خالد

ابن عبد الله حدثنا داود بن أبي هند عن الشعبي أن عمر بن الخطاب قال « من

سأل الناس ليترى ماله ، فإنما هو رصف^(٢) من النار يُلقمه ، فمن شاء استقل ،

ومن شاء استكثر »

أنبأنا محمد بن سليمان بن فارس الدلال حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح

حدثنا أبو عباد يحيى بن عباد حدثنا شعبة عن قتادة قال : سمعت مطرف بن عبد الله

يحدث عن حكيم بن قيس بن عاصم عن أبيه أنه أوصى بنيه عند موته ، فقال :

يا بني ، إياكم ومسألة الناس ؛ فإنها آخرُ كسب الرجل

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لا يسأل الناس شيئاً فيردوه ، ولا يلحف

فى المسألة فيحرموه ، ويلزم التصف والتكرم ، ولا يطلب الأمر مدبراً ، ولا يتركه

(١) الرتوة : الخطوة الواسعة نحو القفز بشدة

(٢) الرصف : الحجارة المحماة بالنار

مُقبِلاً؛ لأن قَوْتَ الحاجة خيرٌ من طلبها إلى غير أهلها، وإن من يسأل غير
المستحق حاجة حطاً لنفسه مرتبتين، ورفع المسئول فوق قدره
أخبرني محمد بن المنذر حدثنا أحمد بن مؤمل المصري قال: سمعت حامد بن
يحيى يقول: سمعت سفيان بن عيينة يقول: من يسأل ندلاً حاجة فقد رفعه عن قدره
أنشدني ابن زنجي البغدادي:

ذلُّ السؤالِ شَجِيٌّ في الخلقِ معترضٌ من دونه شَرِقٌ من خلفه جَرَضٌ (١)
ماماء كَفَّكَ إن جادت وإن بخلت من ماء وجهي إذا أفينته عِوضٌ
وأنشدني محمد بن عبد الله المؤدب:

ما اعتاض بأذل وجهه بسؤاله عوضاً، وإن نال الغنى بسؤال
وإذا السؤال مع النوال وزنته رجح السؤال، وخف كل نوال
وإذا ابتليت ببذل وجهك سائلاً فابذله للمتكرّم الفضال

أبانا محمد بن المهاجر المعدل حدثنا أبو جعفر ابن ابنة أبي سعيد التغلبي
الدمشقي حدثنا حاجب بن أبي علقمة العطاردي قال: سمعت أبي يقول: قال
مطرف بن عبد الله بن الشخير لابن أخيه: يا بني أخي، إذا كانت لك حاجة
إلىّ فاكتب بها في رقعة، فأني أصون وجهك عن ذلّ السؤال. وأنشدني ذلك

يا أيها المتعب بذلّ السؤال وطالب الحاجات من ذى النوال
لا تحسبن الموت موت البلى فإنما الموت سؤال الرجال
كلاهما موت، ولكنّ ذا أعظم من ذاك لذلّ السؤال
قال أبو حاتم رضى الله عنه: أعظم المصائب سوء الخلف، والمسألة من الناس
والهمم بالسؤال نصف الهرم، فكيف المباشرة بالسؤال؟ ومن عزّت عليه نفسه

(١) الشجى: ما يعترض في الخلق من شوكة ونحوها. والشرق: النصبة بالماء.
والجرض: النصبة بالريق، وهو أن يبتلعه على هم وخوف مجهد ومشقة لجفاف حلقة،
وأكثر ما يكون ذلك عند حضور الموت

صُفِّرَت الدُّنْيَا فِي عَيْنِيهِ ، وَلَا يَنْبُلُ الرَّجُلُ حَتَّى يَعْفَى عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ ،
وَيَتَجَاوَزُ عَمَّا يَكُونُ مِنْهُمْ ، وَالسُّؤَالُ مِنَ الْإِخْوَانِ مَلَالٌ ، وَمَنْ غَيْرَهُمْ ضِدُّ النَّوَالِ
وَأَنْشَدَنِي الْأَبْرَشُ :

أَنْبُلُ بِنَفْسِكَ أَنْ تَكُونَ حَرِيصَةً إِنْ الْحَرِيصُ إِذَا يُلْحِقُ بِهِ
مَنْ يُكْثِرُ التَّسْأَلَ مِنْ إِخْوَانِهِ يَسْتَقْلُوهُ ، وَحِظَهُ الْحَرْمَانُ
وَأَنْشَدَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَسَامِيُّ :

أَتَيْتُ أَبَا عَمْرٍو أَرْجُو عَطَاءَهُ فَزَادَ أَبُو عَمْرٍو عَلِيَّ حَزَنِي حَزْنَا
فَكُنْتُ كَبَاغِي الْقَرْنَ أَسْلَمَ أُذُنُهُ فَبَاتَ بِلَا أُذُنٍ ، وَلَمْ يَسْتَفِدْ قَرْنَا
حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَانَ الْعَقْبِيُّ ^(١) حَدَّثَنَا خَطَّابُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْجَنْدِيُّ حَدَّثَنَا
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلِيمَانَ قَالَ : كَانَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْبِي يَقُولُ : السُّؤَالُ - وَإِنْ قَلَّ -
أَتَمِّنُ مِنَ النَّوَالِ ، وَإِنْ جَلَّ .

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَا يَجِبُ لِلْعَاقِلِ أَنْ يَبْذُلَ وَجْهَهُ لِمَنْ يَكْرُمُ عَلَيْهِ
قَدْرَهُ ، وَيَعْظُمُ عِنْدَهُ خَطَرُهُ ، فَكَيْفَ بِمَنْ يَهْوَنُ عَلَيْهِ رَدَهُ ، وَلَا يَكْرُمُ عَلَيْهِ
قَدْرَهُ ؟ وَأَبْعَدُ اللَّقَاءِ الْمَوْتَ ، وَأَشَدُّ مِنْهُ الْحَاجَةُ إِلَى النَّاسِ دُونَ السُّؤَالِ ، وَأَشَدُّ
مِنْهُ التَّكْلُفُ بِالسُّؤَالِ ؛ لِأَنَّ السُّؤَالَ إِذَا كَانَ بِنَجَاحِ الْحَاجَةِ مَقْرُونًا لَمْ يَخْلُ مِنْ أَنْ
يَكُونَ فِيهِ ذَلُّ السُّؤَالِ ، وَإِذَا الْحَاجَةُ لَمْ تُقْضَ كَانَ فِيهِ ذَلَانٌ مَوْجُودَانِ : ذَلُّ
السُّؤَالِ ، وَذَلُّ الرَّدِّ .

وَأَنْشَدَنِي مَنْصُورُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَرِيرِيُّ :

لَا يَحْسُ الصَّدِيقُ مِنْكَ بِفَقْرٍ لَا ، وَلَا وَالِدٌ ، وَلَا مَوْلُودٌ
ذَلِكَ ذَلٌّ إِذَا سَأَلْتَ بِخَيْلٍ أَوْ سَأَلْتَ الَّذِي عَلَيْكَ يَجُودُ
أَنْبَأَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ بِنِغْدَادٍ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْجَعْدِ أَنْبَأَنَا شُعْبَةَ
عَنِ الْأَعْمَشِ قَالَ : سَمِعْتُ الْمَعْرُورَ بْنَ سُوَيْدٍ يَحْدِثُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ « إِنْ فِي

طلب الرجل الحاجة إلى أخيه فتنه ، إذا أعطاه حمد غير الذي أعطاه ، وإن منعه دم غير الذي منعه .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لو لم يكن في السؤال خصلة تدمُّ إلا وجود التذلل في النفس عند الاهتمام بالسؤال وإبدائه لكان الواجب على العاقل أن لو اضطره الأمر إلى أن يستفَّ الرمل ويمصَّ النوى أن لا يتعرض للسؤال أبدا ما وجد إليه سبيلا ، فأما من دفعه الوقت إلى ذلك فسأل من يعلم أنه يقضى حاجته ، أو ذا سلطان لم يُخرج في فعله ذلك ، كما لم يخرج في القبول إذا أعطى من غير مسألة ، ومن استغنى بالله أغناه الله ، ومن تعزز بالله لم يفقره ، كما أن من اعتر بالعبيد أذله .

ولقد أنبأنا سعيد بن محمد القزاز حدثنا أبو الهيثم الرازى حدثنا خالد بن يزيد حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا هشام بن يوسف عن معمر قال : قال أبو معاوية - رجل من ولد كعب بن مالك - : « لقد رأيتني أنضح^(١) أول النهار وأضرب آخر النهار على بطنى بالمعول في المعدن ، قال : قلت : لقد لقيت مؤونة ، قال : أجل إنا طلبنا الدراهم من أيدي الرجال ومن الحجارة ، فوجدناها من الحجارة أسهل علينا » .

ذكر الحث على لزوم القناعة

حدثنا حسن بن سفيان الشيباني حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي حدثنا محمد ابن عبد الرحمن الطفاوى عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عمر قال « أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي ، فقال : كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » .

(١) الناضح : هو الذي يستق من البئر بالدلو ، وأصله في البعير ، ويستعمل في الإنسان على تجوز وفي نسخة « أنضح » بالصاد المهملة : أى ينضح الناس ويعظمهم ، وهو بالصاد المعجمة أقرب إلى مقصد الكلام

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد مكثت بُرْهَةً من الدهر مُتَوَهِّمًا أن الأعمش لم يسمع هذا الخبر من ليث بن أبي سليم ، فدلسه ، حتى رأيت علي بن المديني حدث بهذا الخبر عن الطقاوى عن الأعمش قال : حدثني مجاهد ؛ فعلمت حينئذ أن الخبر صحيح ، لا شك فيه ، ولا امتراء في صحته .

فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم ابن عمر في هذا الخبر أن يكون في الدنيا كأنه غريب أو عابر سبيل ؛ فكأنه أمره بالقناعة باليسير من الدنيا ؛ إذ الغريب وعابر السبيل لا يقصدان في النية إلا كثار من الثروة ، بل القناعة إليهما أقرب من الإكثار من الدنيا .

ولقد أخبرني محمد بن عثمان العبدي^(١) حدثني جعفر بن سنيدي بن داود حدثني أبي حدثني حجاج حدثنا عتبة بن سالم قال : قال أكرم بن صيفي لابنه : يا بني ، من لم يأس على ما فاته ودع بدنه ، ومن قنع بما هو فيه قرت عينه .
وأنشدني علي بن محمد البسامي :

من تمام العيش ما قرّت به عين ذى النعمة ، أثرى أو أقل
وقليل أنت مسرور به لك خير من كثير في دغل
وأنشدني ابن زنجي البغدادي :

أقول للنفس : صبرا عند نائبة ففسر يومك موصول بيسر غد
ما سرّني أن نفسي غير قانعة وأن أرزاق هذا الخلق تحت يدي

أبنا أبو خليفة حدثنا محمد بن كثير أنبأنا سفيان الثوري عن عيسى بن عبد الرحمن عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابن مسعود قال « أربع قد فرغ منها : الخلق ، والخلق ، والرزق ، والأجل . وليس أحد بأكسب من أحد » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : من أكثر مواهب الله لمباده وأعظمها خطراً

(١) انظر أيضا ص ١٣٨ السابقة

القناعة ، وليس شيء أروح للبدن من الرضا بالقضاء ، والثقة بالقسم ؛ ولولم يكن في القناعة خصلة تحمد إلا الراحة وعدم الدخول في مواضع السوء ، لطلب الفضل لكان الواجب على العاقل أن لا يفارق القناعة على حالة من الأحوال .
ولقد أنبأنا عمر بن حفص بن عمرو البزار حدثنا أبو مسعود حدثنا محمد بن عبد الله بن عبيد بن عقيل حدثنا عبد الله بن إبراهيم المدني حدثنا أبو بكر بن محمد بن المنكدر عن أبيه قال « القناعة مال لا ينفد » .

سمعت محمد بن المنذر يقول : سمعت عبد العزيز بن عبد الله يقول : قال محمد بن حميد الأكَاف :

تقنع بالكفاف ، تعش رَخِيًّا ولا تبغ الفضول من الكفاف
ففي خبز القفار^(١) بغير آدم وفي ماء الفرات غِنِيًّا وكاف
وفي الثوب المرقع ما يغطى به من كل عُرى وانكشاف
وكل تزيُّن بالمرء زين وأزيئنه التزيين بالعفاف
وأنشدني الكريزي :

لعمرك ما طول التعطل ضايرى ولا كل شغل فيه للمرء منفعة
إذا كانت أرزاق في القرب والنوى عليك سواء فاعنتم راحة الدَّعَة^(٢)
وإن ضقت فاصبر يُفرج الله ماري الأربُّ ضيق في عواقبه سَعَة
وأنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

الحمد لله حمداً دائماً أبداً لقد تزيين أهل الحرص والشين
لا زينَ إلا لراضٍ في ثقله إن القنوع لثوب العز والدين
قال أبو حاتم رضي الله عنه : العاقل يعلم أن الإنسان لم يوضع على قدر الأخطاء : وأن من عدم القناعة لم يزد المَال غنى ، فتمكن المرء بالمال القليل مع

(١) القفار : الذي لا إدام معه .

(٢) صدر هذا البيت غير مستقيم الوزن

قلة الهمّ أهنأ من الكثير ذى التّبعة ، والعاقل ينتقم من الحرص بالتنوع ، كما
ينتصر من العدو بالتصاصى ؛ لأن السبب المانع رزق العاقل هو السبب الجالب
رزق الجاهل .

وأنشدني محمد بن سعيد القزاز ، أنشدنا محمد بن خلف التيمي ، أنشدني رجل
من خزاعة :

رأيت الغنى والفقَرَ حَظَيْنِ قُسمَا فأحرم مُحْتالٌ وذو العِميِّ كاسب
فهذا مُلِحٌ دائبٌ غيرُ راجِحٍ وهذا مُرِيجٌ راجِحٌ غيرُ دائبٍ

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

إذا المرء لم يقنع بعيش ، فإنه وإن كان ذا مال من الفقر مُوقِرٌ
إذا كان فضل الناس يُغنيك بينهم فأنت بفضل الله أغنى وأيسرٌ

أخبرنا أحمد بن سعيد القيسي حدثنا محمد بن الوليد بن أبان حدثنا نعيم بن حماد
قال : سمعت ابن المبارك يقول : مروءة القناعة أفضل من مروءة الإعطاء .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : القناعة تكون بالقلب : فمن غنى قلبه غنيت
يده ، ومن افتقر قلبه لم ينفعه غناه ، ومن قنع لم يتسخط ، وعاش آمناً مطمئناً . ومن
لم يقنع لم يكن له فى القوائت نهاية لرغبته ، والجِد والحِرمان كأنهما يصطرعان
بين العباد .

ولقد أحسن الندى يقول :

فما كَلَّ ما حاز الفتى من تِلاده بكَيْسٍ ، ولا ما فاتهُ بِنِوانِ
فأَجِجِلْ إذا طالبتُ أمراً فإنه سيكفيك جَدَّانِ يصطرعانِ

حدثنا عمرو بن محمد حدثنا العلابي حدثنا محمد بن عبيد الله الجشمي عن
لمدني قال : كان يقال : مروءة الصبر عند الحاجة والفاقة بالتعفف والغنى أكثر
من مروءة الإعطاء .

وأشدني عمرو بن محمد أشدنا الغلابي أشدنا ابن عائشة :

غنى النفس يغنى النفس حتى يعضها وإن مسها حتى بها يضراً الفقر
وماشدة ، فاصبر لها إن لقيتها بدأمة إلا سنيها بسر

وأشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

فيأرب كرم جامن حيث لم تخف ومسرو أمر بالهي أنت خائف
أرى الناس ، مالم تيل ، إخوان ظاهر وإن تيل تُنكر جُل ما أنت طرف

أبنا محمد بن عثمان العبدي حدثنا إبراهيم بن سهل الأيلي حدثني محمد
ابن يحيى بن أبي عمر قال : سمعت سفيان بن عيينة - وذكر عنده الفضل
ابن الربيع وضرباؤه - فأنشأ سفيان يقول :

كم من قوي قوي في قلبه مهذب الرأي عنه الرزق منحرف
ومن ضعيف ضعيف العقل مختلط كأنه من خليج البحر يغترف
قال أبو حاتم رضي الله عنه : من نازحه نفسه إلى التنوع ، ثم حسد الناس
على ما في أيديهم فليس ذلك لقناعة ولا لسخاوة ، بل لعجز وفشل ؛ فمثل كمثل
حمار السوء الذي يعرج بحفة حمله ، ويمحزن إذا رأى العلف يؤثر به ذو القوة
والحمل الثقيل ، فالقانع الكريم أراح قلبه وبدنه ، والشَّير اللئيم أتعب قلبه
وجسمه ، والكرام أصبر نفوسا ، واللئام أصبر أجسادا .

وأشدني عمرو بن محمد أشدنا الغلابي :

لعمرك ما الأرزاق من حيلة الفتى ولا سبب في ساحة الحى ثاقب
ولكنها الأرزاق تُقسَم بينهم فما لك منها غير ما أنت شارب

وأشدني محمد بن سعيد أشدني هلال بن العلاء الباهلي :

تجمل إذا ما الدهر أولاك غلظة فإن الغنى في النفس ، لا في التمول
يزين لئيم القوم كثرة ماله وما زين الأثوم مثل التجمل

حدثنا الحسين بن سفيان حدثنا عبد العزيز بن منيب حدثنا محمد بن يحيى
الصائغ قال : قال الخليل بن أحمد :

إن لم يكن لك لحمٌ كفاك خلٌّ وزيتُ
إن لا يكن ذا وهذا فِكْسرةٌ وُبَيْتُ
تَظَلُّ فيه وتأوى حتى يَجيئَكَ موتُ
هذا لعمرى كفافُ فلا يَغرُكُ لَيْتُ

أبنا كامل بن مكرم حدثنا محمد بن مروان البيروني حدثنا أبو مسهر
حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن محمد بن كعب القرظي في قوله تعالى (١٦ : ٩٧)
فلنجينه حياة طيبة) قال : القناعة

ذكر الحث على لزوم التوكل على من ضمن الأرزاق

أبنا زكريا بن يحيى بن عبد الرحمن الساجي بالبصرة أبنا أبو الربيع
الزهراني حدثنا المقرئ حدثنا حيوة بن شريح وابن لهيعة قال : حدثنا أبو هانيء
حميد بن هانيء الخولاني قال سمعت أبا عبد الرحمن الحُبلي يقول : سمعت
عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « قَدَّرَ
اللهُ المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض بمِئَةِ سنة »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لزوم التوكل على من
تكفل بالأرزاق ؛ إذ التوكل هو نظام الإيمان ، وقرين التوحيد ، وهو السبب
المؤدى إلى نفي الفقر ووجود الراحة ، وما توكل أحد على الله جل وعلا من صحة
قلبه حتى كان الله جلَّ وعلا بما تضمن من الكفالة أوثقَ عنده بما حوته يده
إلا لم يكفه الله إلى عباده ، وآتاه رزقه من حيث لم يحتسب .

وأشدنى منصور بن محمد الكريزى :

توكل على الرحمن فى كل حاجة أردت ؛ فإن الله يقضى ويقدر

متى ما يترد ذو العرش أمراً بعبده
وقد يهلك الإنسان من وجه أمنه
وأُشدنى علي بن محمد البسامي :

أحسن الظن بمن قد عودك
إن من قد كان يكفيك الذي
كل إحسان ، وسوّى أودك^(١)
كان بالأمس سيكفيك غداك

أُنبأنا محمد بن الحسن بن قتيبة بعسقلان حدثنا أبو مروان الأزرق حدثنا
الوليد عن ابن جابر عن إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر عن أم الدرداء عن
أبي الدرداء قال « إن الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله » .

أُشدنى عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

لو كان في صخرة في البحر راسية
رزق لعبد براه الله لا نفلقت
صماء مملومة مُسّ حوالها
حتى تؤدّي إليه كل ما فيها^(٢)
أو كان بين طباق السبع مطّبه
يوماً لسهل في المرقّ مراقها
حتى ينال الذي في اللوح خطّه
إن هو أتاها ، وإلا فهو آتياها

وأُشدنى منصور بن محمد الكريزي أُشدنى محمد بن الحسين العمّي :

سل الحاجات من سيد ليس له ستر ولا حاجب
يُعطي عطايه إذا شاءها من غير توقيع إلى كاتب

حدثنا محمد بن الحسين بن الخليل بنسأ حدثنا القطوانى حدثنا سنان حدثنا
رياح القيسي قال « إن لله ملائكة موكلين بأرزاق بني آدم ، يحملون أرزاقهم
على درجاتهم ، ثم قال : أيما عبد من عبادي جعل همه همّاً واحداً فضعفوا
السموات والأرضين وبني آدم رزقه ، وأيُّ عبد طلب رزقه أعطوه رزقه حيث

(١) الأود - بفتح الهمزة والواو - العوج .

(٢) براه الله : خلقه ، وأصله « براه » خفف الهمزة قلبها ألفاً .

أرادته ، فإن تجرّى مكاسبه بالعدل فطيبوا له رزقه ، وإن تعدى إلى الحرام فليأخذه من هواه إلى غاية درجته التي ليس فوقها ، ثم حولوا بينه وبين سائر الدنيا ؛ فلا يأخذن من حلالها ولا من حرامها فوق الدرجة التي كتبت له « قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يعلم أن الأرزاق قد فرغ منها وتضمنها العليُّ الوفي على أن يُوَفِّرها على عباده في وقت حاجتهم إليها ، والاشتغال بالسعي لما تضمن وتكفل ليس من أخلاق أهل الحزم إلا مع انطواء صحة الضمير ، على أنه وإن لم يسع في قصده أتاه رزقه من حيث لم يحتسب .

وأنشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :

لما رأيتك قاعدا مستقبلي أيقنت أنك للهموم قرينُ
فأرفض لها وتمرّ عن أوابها إن كان عندك للقضاء يقين
هون عليك ، وكن بربك واثقا فأخو التوكل شأنه التهوين
طرح الأذي عن نفسه في أمره من كان يعلم أنه مضمون
حدثنا أبو خليفة حدثنا محمد بن كثير أنبأنا سفيان الثوري عن أبي قيس عن
هذيل بن شرحبيل قال « جاء سائل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي البيت
تمرة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هاك ، لو لم تأتها أتنك » .

وأنشدني المنتصر بن بلال الأنصاري :

فنحن بتوفيق الإله وأمره على كل حال أمرنا متوسعُ
عطاء ملك لا يمن عطاؤه خير بما تُخني عليه الأضالع
أنبأنا محمد بن إبراهيم الشافعي **رحمهما** داود بن أحمد الديلمي حدثنا
عبد الرحمن بن عفان قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول : ما اهتممت برزق قط
قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يعلم أن السبب الذي
يدرك به العاجز حاجته هو الذي يحول بين الحازم وبين مصادفته ، فلا يجب أن
يحزن العاقل لما يهوى وليس بكائن ، ولا لما لا يهوى وهو لا محالة كائن ؛ فما كان

من هذه الدنيا آتى المرء من غير تعب فيه ، وما كان عليه لم يدفعه بقوته، ولا يُدْرِكُ
بالطلب المحروم ، كما لا يُحْرَمُ بالقصود المرزوق .
ولقد أحسن الذى يقول :

يَنَالُ الغنى مَنْ ليس يسعى إلى الغنى ويُحْرَمُ مَنْ يسعى له ويداوم
وما العجز يحرّمه ولا الحرص جالب وما هو إلا حظوة ومقاسم
وأُشدنى عمرو بن محمد الأنصارى أنشدنا الغلابى أنشدنا العتبى :

ورزق الخلق مقسوم عليهم مقاديرٌ يقدرها الجليلُ
فلا ذو المال يُرْزَقُه بقل ولا بالمال تقسم العقول

أبانا الهيثم بن خلف الدورى - ببغداد - قال : سمعت إسحاق بن موسى
الأنصارى يقول : سمعت يمان النجرادى ، - وكان لا يدخر شيئاً - يقول : مررت
براهب فى قارعة فلاة من الأرض ، وأنا جائع ، قلت : يا راهب ، هل عندك
من فضل ؟ فأدلى إلى زنبيل فيه فلتق من خبز فأكلت منها ، ورميت إليه الباقى ،
فقال : تزوده ، قلت : الذى أطمعنى فى هذا الموضوع ، وليس فيه إنسى ، يطعمنى
إذا جعت ولا يكون معى شيء .

وأُشدنى ابن زنجى البغدادى :

لاتهم ربك فيما قضى وهون الأمر ، وطب نفسا
لكل همٍّ فرجٌ عاجل يأتى على المصْبِح والممسى

قال أبو حاتم رضى الله عنه : التوكل هو قطع القلب عن العلائق ، برفض
الخلائق ، وإضافته بالافتقار إلى محول الأحوال ، وقد يكون المرء موسرا فى ذات
الدنيا وهو متوكل صادق فى توكله إذا كان العدم والوجود عنده سَيِّئِينَ لا فرق
عنده بينهما ، يشكر عند الوجود ، ويرضى عند العدم ، وقد يكون المرء لا يملك
شيئاً من الدنيا بحيث من الخليل ، وهو غير متوكل إذا كان الوجود أحب إليه
من العدم ، ولا يرضى حاله ، ولا عند الوجود يشكر مرتبته .

وأنشدني الكريزي :

فلو كانت الدنيا تُتال بفضة وفضل عقول نلتُ أعلى المراتب
ولكنما الأرزاق حَظَّ وقسمة بملك مليك ، لا بجيلة طالب
وأنشدنا عمرو بن محمد الأنصاري أنشدنا الغلابي أنشدنا مهدي بن سابق :
ألا ترى الدهر لا تفتى عجائبه والدهر يخطئ ميسوراً بمعسور؟
وليس للهو إلا كل صافية كأنها دمة من عين مهجور

أبنا علي بن سعيد العسكري حدثنا إبراهيم بن الجنيد حدثنا سهل بن عاصم
حدثنا نافع بن خالد قال : دخلنا على رابعة العدوية فذكرنا أسباب الرزق ،
فخضنا فيه وهي ساكتة ، فلما فرغنا قالت رابعة : خيبة لمن يدعى حُبّه ثم يتهمه
في رزقه !

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد ذكرت هذا الباب بالعلل والحكايات على
التقصي في كتاب «التوكل» ، فأغنى ذلك عن تكرارها في هذا الكتاب .

ذكر الحث على لزوم الرضا بالشذائد والصبر عليها

أبنا أحمد بن علي بن المثنى بالموصل ، حدثنا أحمد بن جميل المروزي ، حدثنا
ابن المبارك أبنا عمرو بن حبيب عن القاسم بن أبي بزة عن سعيد بن جبير عن ابن
عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أول ما خلق الله القلم ، ثم أمره
فكتب ما يكون إلى يوم القيامة »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يوقن أن الأشياء كلها
قد فرغ منها ، فمنها ما هو كائن لا محالة ، وما لا يكون فلا حيلة للخلق في تكوينه
فإن دفعه الوقت إلى حال شدة يجب أن يتزر بإزاره طرفان ، أحدهما : الصبر ،
والآخر : الرضا ، ليستوفي كمال الأجر لفعله ذلك ، فكم من شدة قد صعبت
وتعذر زوالها على العالم بأسره ، ثم فرج عنها السهل في أقل من لحظة .

ولقد أنشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :

كَمْ مِنْ أَمْرٍ قَدْ تَضَايَقَتْ بِهِ فَاتَانِي اللَّهُ مِنْهُ بِالْفَرْجِ
وَلَعَبْدٍ مُؤَيَّسٍ قَرِبَهُ قَدَّرَ اللَّهُ ، فَعَادَ بِالنَّهْجِ
فَلَهُ الْحَمْدُ عَلَى ذِي سَرْمَدَا مَا أَضَاءَ الصَّبِيحُ يَوْمًا وَبَلَغَ
وَكَذَلِكَ اللَّهُ رَبُّ قَادِرٌ يُصْلِحُ الْأَمْرَ الَّذِي فِيهِ عَوْجٌ
وَلَهُ الْحَمْدُ عَلَى آلَائِهِ يَسْتَدِيمُ الْيَسْرَ مِنْهُ وَالْفَلَاحَ (١)

حدثنا أبو خليفة حدثنا محمد بن كثير أنبأنا سفيان عن أبي إسحاق عن أبي
الحجاج الأزدي قال : سألتنا سلمان : ما الإيمان بالقدر ؟ قال : إذا علم العبد أن
ما أصابه لم يكن ليخطئه [وما أخطأه لم يكن ليصيبه]
وأنشدني الأبرش :

هَوِّنْ عَلَى نَفْسِكَ مِنْ سَعِيهَا فَلَيْسَ مَا قُدِّرَ مَرْدُودٌ
وَارْضَ بِالْحُكْمِ فِي خَلْقِهِ كُلِّ قَضَاءِ اللَّهِ مَحْمُودٌ

أنبأنا عبد الله بن قحطبة الطرحي حدثنا منصور بن قدامة الواسطي حدثنا
محمد بن كثير عن معمر قال : لما حاصر الحجاج ابن الزبير بمكة جعلت الحجارة
تضرب الحائط ، فقيل له : لا تأمن عليك أن يصيبك منها حجر ، فقال ابن الزبير :
هون عليك ، فإن الأمور بكف الإله مقاديرها
فليس بأتيتك منها ولا قاصر عنك مأمورها

أنبأنا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا الغلابي حدثنا إبراهيم بن بشار الرمادي
حدثنا سفيان عن مسعر : أن رجلا ركب البحر ، فكسره ، فوقع في جزيرة
من جزائر البحر ، فمكث فيها ثلاثا لا يرى أحدا ، ولا يأكل طعاما ، ولا
يشرب شرابا ، فأيس من الحياة ، فتمثل :

إذا شاب الغراب أتيت أهلي وصار القار كاللبن الحليب

فأجابه مجيب يقول :

عسى الكربُ الذي أمسيتَ فيه يكون وراءهُ فرج قريب
فنظر ، فإذا سفينة في البحر ، فلوح لهم ، فأتوه ، فحملوه ، وأصاب معهم
خيراً ، ورجع إلى أهله سالماً .

وأنشدني محمد بن جعفر الهمداني - بصور - على ساحل بحر الروم :
لانتضيقن في الأمور فقد تُكشَف غمًاؤها بغير اختيال
ربما تكره النفوس من الأمر ، له فرجة كحلِّ العقال
وأنشدني المنتصر بن بلال الأنصاري :

عسى فرج يأتي به الله ؛ إنه له كلَّ يوم في خليقته أمرُ
عسى ماترى أن لا يدوم ، وأن ترى له فرجاً مما ألحَّ به العسرُ
إذا اشتدَّ عسرُ فارحٍ يُسرّاً ؛ فإنه قضى الله أن العسر يتبعه اليسر

أنا محمد بن صالح الطبري بالصيمرة حدثنا محمد بن عثمان العجلي قال : لما
حدث شريك بحديث الأعمش عن سلمان عن ثوبان : أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال : « استقيموا لقريش ما استقاموا لكم ، فإذا خالفوكم فضعوا سيوفكم على
عواتقكم ، فأبيدوا خضراءهم ، فإن لم تفعلوا فكونوا زراعين أشقياء » فسعى
به إلى المهدي ، فبعث إلى شريك ، فأتاه ، فقال : حدثت بها ؟ قال : قلت : نعم
قال : عن رويتها ؟ قلت : عن الأعمش ، قال : ويلي عليه ! لو عرفت مكان قبره
لاخرجته فأحرقته بالنار ، قلت : إن كان لمأمونا على ماروي ، قال : يازنديق
لأقتلنك ، قلت : الزنديق من يشرب الخمر ويسفك الدم ، قال : والله لأقتلنك .
قلت : أويكفي الله ! قال : فخرجنا من عنده ، فاستقبلني الفضل بن الربيع ،
فقال : ليس لك موضع تهرب إليه ؟ قلت : بلى ، قال : فإنه قد أمر بقتلك ، قال :
فخرجت إلى جبل ، فخرجت يوماً أتجنس الخبر ، فأقبل ملاح من بغداد ،

فاستقبله ملاح آخر من البصرة ، فسأله : ما الخبر ؟ قال : مات أمير المؤمنين ،
قلت : يا ملاح قَرِّب ، قَرِّب .

وأشدني منصور بن محمد الكريزي :

تجرى المقادير إن عسراً وإن يسراً وللمقادير أسبابٌ وأبوابٌ
ما اشتد عسر ، ولا انسدت مذاهبه إلا تفتح من مسروره باب

وأشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

الآ رب عسر قد أتى اليسر بعده وغمرة كَرَبٍ فرجت ليكظيم
هو الدهر يوم ، يوم يؤس وشدة ويوم سرور لفتى ونسيم
أبناً أبو عوانة يعقوب بن إبراهيم حدثنا محمد بن عبد الوهاب النيسابوري
حدثنا بشر بن عبيد الحكم عن علي بن عثمان قال : روى إبراهيم بن آدم متنفظ
الرجلين ^(١) ، رافعهما على ميل ، وهو يقول (٤٧ : ٣١) ولنبلونكم حتى نعلم
المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم

أبناً الطعان بالرقعة حدثنا أحمد بن أبي الحواري حدثنا عبد العزيز بن عمير
عن عطاء الأزرق عن عبد الواحد بن زيد قال : قلت للحسن : يا أبا سعيد ، من
أين أتى هذا الخلق ؟ قال : من قلة الرضا عن الله ، قلت : ومن أين أوتى قلة
الرضا عن الله ؟ قال : من قلة المعرفة بالله .

(١) نفظت - بكسر الفاء - رجله ، وتنفظت : تقرحت من كثرة المشي في
الأرض الصعبة ، وهل كان تنفظ رجلى ابن آدم لكثرة جهد وسعى في سبيل الله :
لجهد عدو ، أو لطلب علم ، أو لصلة رحم ، أو لأمر بمعروف ، أو لنهي عن منكر ؟
إنما كان ذلك لشدة ما أجهد نفسه في الجبال والصحارى منقطعاً عن الناس ، وفارا
من الناس ومن الاختلاط بهم ، وقد أمر الله أولى العلم أن يعاشروا الناس ، لعلمهم أن
يقيموا من اعوجاجهم أو يصلحوا من فسادهم .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : يجب على العاقل إذا كان مبتدئاً أن يلزم عند ورود الشدة عليه سلوك الصبر ، فإذا تمكن منه حينئذ يرتقى من درجة الصبر إلى درجة الرضا ، فإن لم يرزق صبراً فليلزم التصبر ، لأنه أول مراتب الرضا ، ولو كان الصبر من الرجال لكان رجلاً كريماً ، إذ هو بذر الخير ، وأساس الطاعات .
ولقد أخبرني محمد بن سعيد القزاز حدثنا طاهر بن الفضل بن سعيد ، حدثنا سفيان بن عيينة قال : سمعت رجلاً من أهل الكتاب أسلم ، قال : أوحى الله إلى داود : يا داود اصبر على المؤنة ، تأتلك منى المعونة .

وأنشدني عبد الله بن الأحوص بن عمار القاضى :

صبراً جميلاً على ما ناب من حدّث والصبرُ ينفع أحياناً إذا صبروا
الصبر أفضل شىء تستعين به على الزمان إذا مامسك الضرر

وأنشدني إبراهيم بن محمد بن سهل أنشدني أبو يعلى الموصلى :

إني رأيت - وفي الأيام تجربة - للصبر عاقبة محمودة الأثر
وقلّ من جدّ في شىء يحاوله فاستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

أتاك الروح والفرج القريب وساعدك القضاء ، فلا تخيب
صبرت ، فملت عقبي كل خير كذاك لكل مصطر يعقيب

أنا عمرو بن محمد الأنصارى حدثنا الغلابى حدثنا محمد بن على قال : سمعت مضر أبا سعيد يقول : قال عبد الواحد بن زيد : ما أحببت أن شيئاً من الأعمال يتقدم الصبر إلا الرضا ، ولا أعلم درجة أشرف ولا أرفع من الرضا ، وهو رأس المحبة .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الصبر جماع الأمر ، ونظام الحزم وديعامة العقل ، و بذر الخير ، و حيلة من لا حيلة له .

وأول درجته الاهتمام ، ثم التيقظ ، ثم الثبوت ، ثم التصبر [ثم الصبر]

ثم الرضا ، وهو النهاية في الحالات .
ولقد أنبأنا محمد بن عثمان العقبى ^(١) حدثنا شعيب بن عبد الله البزار حدثه
غيلان عن معبد عن أبي المليح عن ميمون بن مهران قال « ما نال عبد شيئاً من
جسم الخير من نبي أو غيره إلا بالصبر » .

وأشدني المنتصر بن بلال الأنصاري :

فما شدة يوماً ، وإن جَلَّ خطبها ، بنازلة إلا سيتبعها يسرُ
وإن عسرت يوماً على المرء حاجةً وضائق عليه كان مفتاحها الصبر
وأشدني علي بن محمد البسامي :

تعزَّ ، فإن الصبر بالحرِّ أجمل وليس على ريب الزمانِ مَعُولُ
فإن تكن الأيام فينا تبدلت بنعمى وبؤسى ، والحوادث تفعل
فما ليئت منا فناةً صليية ولا ذللتنا للذي ليس يحمل
ولكن رحلناها نفوساً كريمة تُحمَل مالا تستطيع فتحمل

وأشدنا عمرو بن محمد الأنصاري أنشدنا الغلابي :

إني رأيت الخير في الصبر مسرعاً وحسبك من صبر تحوز به أجراً
عليك بتقوى الله في كل حالة فإنك إن تفعل تُصيب به ذخراً
قال أبو حاتم رضى الله عنه : الصبر على ضروب ثلاثة : فالصبر عن المعاصي ،
والصبر على الطاعات ، والصبر عند الشدائد المصيبات .

فأفضلها الصبر عن المعاصي .

فالعامل يدبر أحواله بالثبوت عند الأحوال الثلاثة التي ذكرناها بلزوم الصبر
على المراتب التي وصفناها قبل ، حتى يرتقى بها إلى درجة الرضا عن الله جل وعلا
في حال العسر واليسر معاً ، أسأل الله الوصول إلى تلك الدرجة بمنه .

وَأَشَدُّنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الْأَحْوَصِ :
تَعَزَّرَ بِحَسَنِ الصَّبْرِ عَنْ كُلِّ هَالِكٍ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَسْلُ اصْطِبَارًا وَخَشِيَّةَ
وَلَيْسَ يَذُودُ النَّفْسَ عَنْ شَهْوَاتِهَا
وَأَشَدُّنِي ابْنُ زَنْجِيِّ الْبَغْدَادِيِّ :

فَفِي الصَّبْرِ مَسَلَةٌ الْمَهْمُومِ الْوِزَامِ
سَلُوتَ عَلَى الْأَيَّامِ مِثْلَ الْبِهَائِمِ
مِنَ النَّاسِ إِلَّا كُلُّ مَاضِي الْعِزَامِ

غَايَةَ الصَّبْرِ لَذِيذِ طَعْمِهَا
إِنْ فِي الصَّبْرِ لِفَضْلًا بَيْنَنَا
وَأَشَدُّنِي الْكُرَيْزِيُّ :

صَبْرَتْ وَمَنْ يَصْبِرُ يَجِدُ غَيْبَ صَبْرِهِ
وَمَنْ لَا يَطْبُ نَفْسًا ، وَيَسْتَبِقُ صَاحِبَا
أَنْبَاءَنَا مُحَمَّدُ بْنُ زَنْجَوِيهِ الْقَشِيرِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى عَنْ حَمَادِ النَّرْسِيِّ حَدَّثَنَا
حَمَادُ بْنُ سَالِمَةَ عَنْ ثَابِتِ الْبِنَانِيِّ عَنْ مَعَاذَةَ امْرَأَةِ صَلَةَ بْنِ أَشِيمٍ قَالَتْ : « لَمَّا أَتَاهَا
نَعَى زَوْجِهَا وَابْنُهَا جَاءَهَا النِّسَاءُ ، فَقَالَتْ : إِنْ كُنْتُنَّ جِئْتُنَّ لَتَهْنِئْتُنَّا بِمَا أَكْرَمَنَا اللَّهُ
بِهِ وَإِلَّا فَارْجِعْنَ » .

قَالَ ثَابِتٌ : وَكَانَ صَلَةَ يَأْكُلُ يَوْمًا فَأَتَاهُ رَجُلٌ ، فَقَالَ : مَاتَ أَخُوكَ ، قَالَ :
هَيْهَاتَ ، قَدْ نَعَى إِلَيَّ ، اجْلِسْ فَكُلْ ، قَالَ الرَّجُلُ : مَا سَبَقَنِي إِلَيْكَ أَحَدٌ ، فَقَالَ
قَالَ اللَّهُ (٣٩ : ٣٠) إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) .

حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَنْصَارِيُّ حَدَّثَنَا الْعَلَابِيُّ حَدَّثَنَا ابْنُ عَائِشَةَ قَالَ :
كُتِبَ بَعْضُ الْحِكْمَاءِ إِلَى أَخٍ لَهُ يَعْزِيهِ عَنْ ابْنِ لَهُ يُقَالُ لَهُ مُحَمَّدٌ :
اصْبِرْ لِكُلِّ مَصِيبَةٍ ، وَتَجَلَّدْ ، وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْمَرْءَ غَيْرُ مُخَلَّدٍ
وَإِذَا ذَكَرْتَ مُحَمَّدًا وَمَصَابَهُ فَاذْكُرْ مَصَابِكَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
وَأَشَدُّنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقِ الْوَاسِطِيِّ :

يَعَزِّي المعزى ، ثم يمضى لشأنه ويبقى المعزى في أحرّ من الجمر
ويُرْمَى المعزى بعد ذلك بسلوة ويثوى المعزى عنه في وحشة القبر
وأشدنى المنتصر بن بلال :

من يسبق السلوة بالصبر فاز بفضل الحمد والأجر
ياعجبى من هلع جازع يُصبحُ بين الدم والوزر
مصيبة الإنسان في دينه أعظمُ من جائحة الدهر
وأشدنى عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

تجرى المقادير إن عُسرًا وإن يسرا حاذرت واقعها أو لم تكن حذرا
والعسر عن قدرٍ يجرى إلى يسرٍ والصبر أفضل شيء وافق الظفرا
سمعت إسحاق بن أحمد القطان البغدادي بتستر يقول : كان لنا جار ببغداد
كنا نسميه طيب القراء ، وكان يتفقد الصالحين ويتعاهدهم ، فقال لى : دخلت
يوماً على أحمد بن حنبل ، فإذا هو مغموم مكروب ، فقلت : مالك يا أبا عبد الله ؟
قال : خير ، قلت : وما الخير ؟ قال : امتحنت بتلك الحنة ، حتى ضربت ،
ثم عالجوني وبرأت ، إلا أنه بقى فى صلبى موضع يؤججنى . هو أشدُّ على من ذلك
الضرب ، قال قلت : اكشف لى عن صلبك ، قال : فكشف لى ، فلم أر فيه
إلا أثر الضرب فقط ، فقلت : ليس لى بذى معرفة ، ولكن سأستخبر عن هذا ،
قال : فخرجت من عنده ، حتى أتيت صاحب الحبس ، وكان بينى وبينه فضل
معرفة ، فقلت له : أدخل الحبس فى حاجة ؟ قال : ادخل ، فدخلت وجمعت
فتياتهم ، وكان معى دريهمات فرقتهما عليهم ، وجعلت أحدهم حتى أنسوا بى ،
ثم قلت : من منكم ضرب أكثر ؟ قال : فأخذوا يتفاخرون حتى اتفقوا على واحد
منهم أنه أكثرهم ضرباً ، وأشدهم صبراً ، قال قلت له : أسألك عن شيء ؟
فقال : هات ، فقلت : شيخ ضعيف ليس صناعته كصناعتكم ضرب على الجوع

للقتل سياطا يسيرة ، إلا أنه لم يمت ، وعالجوه وبرأ ، إلا أن موضعاً في صلبه
يوجعه وجعاً ليس له عليه صبر ، قال : فضحك ، فقلت مالك ؟ قال : الذي عاجله
كان حائسكا ، قلت : إيش الخبر ؟ قال : ترك في صلبه قطعة لحم ميتة لم يقلمها ،
قلت : فما الحيلة ؟ قال : يَبْطُ^(١) صلبه ، وتؤخذ تلك القطعة ويرمى بها ، وإن
تركت بلغت إلى فؤاده فقتلته ، قال : فخرجت من الحبس ، فدخلت على أحمد
ابن حنبل فوجدته على حالته ، فقصصت عليه القصة ، قال : ومن يبظه ؟ قلت
أنا ، قال : أو تفعل ؟ قلت : نعم ، قال : فقام ، فدخل البيت ، ثم خرج ويده
مخدتان ، وعلى كتفه فوطه ، فوضع إحداهما لى والأخرى له ، ثم قعد عليها ،
وقال : استخر الله ، فكشفت الفوطه عن صلبه ، وقلت : أرني موضع الوجع ،
فقال : ضَعُ إِصْبَعُكَ عَلَيْهِ ، فَإِنِّي أَخْبِرُكَ بِهِ ، فوضعت إصبعي ، وقلت : هاهنا
موضع الوجع ؟ قال : ههنا أحمد الله على العافية ، فقلت : ههنا ؟ قال هاهنا أحمد
الله على العافية ، فقلت : هاهنا ؟ قال : هاهنا أسأل الله العافية ، قال : فعلمت أنه
موضع الوجع ، قال : فوضعت الموضع عليه ، فلما أحس بحرارة الموضع وضع يده
على رأسه ، وجعل يقول : اللهم اغفر للمعتصم ، حتى ببطته ، فأخذت القطعة
الميتة ورميت بها ، وشدت العصابة عليه ، وهو لا يزيد على قوله : اللهم اغفر
للمعتصم ، قال : ثم هدأوسكن ، ثم قال : كأني كنت معلقاً فأصدرت ، قلت :
يا أبا عبد الله ، إن الناس إذا امتحنوا محنة دعوا على من ظلمهم ، ورأيتك
تدعو للمعتصم ؟ قال : إني أفكرت فيما تقول ، وهو ابن عم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فكرهت أن آتي يوم القيامة وبينى وبين أحد من قرابته خصومة
هو مَنِّي فِي حِلِّ .

(١) البظ : الشق بآلة الجراحة التي هي الموضع .

ذكر الحث على العفو عن الجاني

حدثنا الفضل بن الحباب الجمحي بالبصرة حدثنا القعنبى حدثنا عبد العزيز ابن محمد عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال «أتى رجل فقال: يا رسول الله، إن لى قرابة أصلهم ويقطعونى، ويسئون إلى، وأحسن إليهم، ويجهلون على، وأحلم عنهم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن كان كما تقول: فكأتما تسفهم الملل^(١). ولا يزال من الله معك ظهير ما زالت على ذلك».

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل توطين النفس على لزوم العفو عن الناس كافة ، وترك الخروج لمجازاة الإساءة ؛ إذ لا سبب لتسكين الإساءة أحسن من الإحسان ، ولا سبب لنماء الإساءة وتهيجها أشد من الاستعمال بمثلها .

ولقد أنشدنى منصور بن محمد الكريزى :

سأزومُ نفسى الصّبح عن كل مذنب وإن كثرت منه إلى الجرائم
فما الناس إلا واحد من ثلاثة : شريف ، ومشروف ، ومثل مقاوم
فأما الذى فوقى : فأعرف فضله وأتبع فيه الحق ، والحق لازم
وأما الذى دونى : فإن قال صنت عن إجابته عرضى ، وإن لام لأئم
وأما الذى مثلى : فإن زلّ أو هفا تفضّلت ، إن الحلم للفضل حاكم
أنبأنا محمد بن عثمان العقبى^(٢) حدثنا محمد بن عامر الأنطاكى حدثنا ابن توبة
حدثنا محمد بن مهاجر عن يونس بن ميسرة بن جليس قال : ثلاثة يحبهم الله :

(١) المل - بفتح الميم - الرماد الحار تحت الحجر ، يدفن فيه الحبز لينضج . أراد صلى الله عليه وسلم : إنما تجعل الملة لهم سفوفاً يستفونوه ، يعنى عطاءك وصلتك وإحسانك وحلمك عليهم ، ذلك برد عليك ، وخير لك ، ونار فى بطونهم .

(٢) أنظر ص ١٣٨ السابقة .

من كره سوءاً يأتيه إلى أخيه وصاحبه ، فذلك قَمِنٌ أن يستحي من الله ، ومن كان ذارفة من الناس فتواضع لله ، فذلك الذي عرف عظمة الله ، فيخاف مقته ، ومن كان عفوه قريباً من إساءته ، فذلك تقوم به الدنيا .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : من أراد الثواب الجزيل ، واسترهان الودِّ الأصيل ، وتوقع الذكر الجميل ؛ فليتحمل من ورود ثقل الردى ، ويتجرع مرارة مخالفة الهوى ، باستعمال السنة التي ذكرناها في الصلة عند القطع ، والإعطاء عند المنع ، والحلم عند الجهل ، والعمو عند الظلم ؛ لأنه من أفضل أخلاق أهل الدين والدنيا .

ولقد أنبأنا محمد بن المهاجر حدثنا ابن أبي شيبة حدثنا إبراهيم بن محمد بن ميمون عن داود بن الزبرقان قال : قال أيوب « لا يَنْبُلُ الرجل حتى يكون فيه خصلتان : العفة عما في أيدي الناس ، والتجاوز عنهم » .

وأُنشدني محمد بن عبد الله بن زحبي البغدادي :

وإذا مذنب أتاه به الحق فغطاه عفوه في ستموره
راجياً للثواب في كل زُرءٍ من خَفِيِّ الأمور ، أو مشهوره
فهو في عاجل الحياة كريم ومن الفائزين يوم نشوره
خَصْلَةٌ جَزَلَةٌ بها خَصَّهُ الله لزين الدنيا ويوم كروره

أنبأنا محمد بن إسحاق بن خزيمة حدثنا عمر بن حفص الشيباني حدثنا سفيان عن رجل ، قال : سمعت عمر بن عبد العزيز يقول « أحب الأمور إلى الله ثلاثة : العفو في القدرة ، والتصد في الجِدَّة ، والرفق في العبادة ، وما رَفَقَ أحدٌ بأحد في الدنيا إلا رفق الله به يوم القيامة »

أنبأنا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا الغلابي حدثنا ابن عائشة قال : كتب الحجاج إلى عبد الملك « إنك أعزُّ ما تكون أحوجُّ ما تكون إلى الله ، فإذا تعززت بالله فاعفُ ، فانك به تعز ، وإليه ترجع » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لزوم الصفح عند ورود الإساءة عليه من العالم بأسرهم ، رجاء عفو الله جل وعلا عن جنائياته التى ارتكبها فى سالف أيامه ؛ لأن صاحب الصفح إنما يتكلف الصفح بإيثاره الجزاء ، وصاحب العقاب وإن انتقم كان إلى الندم أقرب ، فأما من له أخ يودّه فإنه يحتمل عنه الدهر كله زلاته .

ولقد أخبرنى محمد بن المنذر حدثنا أحمد بن داود التمار . قال : سمعت مردويه الصائغ يقول : سمعت الفضيل بن عياض يقول : احتمل لأخيك إلى سبعين زلّة ، قيل له : وكيف ذلك يا أبا على ؟ قال : لأن الأخ الذى آخيته فى الله ليس يزل سبعين زلّة .

أنشدنى على بن محمد البسامى :

إذا لم تجاوز عن أخ لك عثرةً فليست غداً من عثرى متجاوزا
وكيف يرجيك البعيدُ لنفعه إذا كان عن مولاك برّك عاجزا

أبناؤنا محمد بن صالح الطبرى حدثنا الرمادى حدثنا الجعفى يحيى بن سليمان حدثنا ابن أبحر حدثنى أبى قال : « أقبل الشعبى يوماً ، فإذا هو برجلين من قومه من وراء جدار قصير ، قال : فاستمع عليهما ، فإذا هما يقعان فيه ويشتمان ، وينتقصانه ^(١) حتى أكرها ، فلما أظالا أشرف عليهما الشعبى ، فقال ^(٢) :

هنيئاً مريئاً غير داء مخامر لعزة من أعراضنا ما استجالت
فقالا : والله يا أبا عمرو ، لا تقعُ فيك بعد اليوم .

وأنشدنى بعض أهل العلم :

ولربما ابتسم الوقورُ من الأذى وضميره من حرّه يتأوه
ولربما خزنَ الحليم لسانه حذرَ الجواب وإنه لمفوه
وأبناؤنا أبو عوانة يعقوب بن إبراهيم ، أبناؤنا عبد الله بن الحسين المصيصى ،

(١) فى نسخة « ويستقصانه » (٢) البيت لكثير عزة .

أبنا يعقوب بن أبي عباد ، قال : قال الفضيل بن عياض : مَنْ طلب أخاً بلا عيب بقي بلا أخ .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أغنى الناس عن الحقد مَنْ عظم عن المجازاة ، وأجلُّ الناس مرتبة من صدَّ الجهل بالحلم ، وما الفضل إلا لمن يحسن إلى من أساء إليه ، فأما مجازاة الإحسان إحساناً فهو المساواة في الأخلاق ، فربما استعملها البهائم في الأوقات ، ولو لم يكن في الصبح وترك الإساءة خصلة تحمد إلا راحة النفس ووداع القلب لكان الواجب على العاقل أن لا يكدر وقته بالدخول في أخلاق البهائم ، بالمجازاة على الإساءة إساءة ، ومن جازى بالإساءة إساءة فهو المسيء ، وإن لم يكن بادئاً .

كما أنشدنى الكريزى :

أسأت ، وأنكرتُ أنى أسأتُ فأفضل ، ولاتك عينَ الميبي
لك الفضل بالعفو عما عفوت ، وإلا فانت القرين السوى
وعفوك مقتدرأ نعمة وعفو المندد غير الهنى

سمعت محمد بن عثمان العقبى ، قال : سمعت هلال بن العلاء الباهلى يقول : جعلت على نفسي منذ أكثر من عشرين سنة أن لا أكفى أحدا بسوء ، وذهبت إلى هذه الأبيات :

لما عفوت ، ولم أحقد على أحدٍ أرحتُ قلبى من غمِّ العداواتِ
إنى أحيى عدوى عند رؤيته لأدفع الشر عنى بالتحياتِ
وأظهر البشر للإنسان أبغضه كأنما قد حشى قلبى محباتِ

أبنا ابن قتيبة ، حدثنا ابن أبي السرى ، قال : سمعت أبا عمر الصنعانى يقول : حدثنا زيد بن أسلم قال : قال ثمان لابنه « كذب من قال : إن الشر يطفىء الشر ، فإن كان صادقا فليوقد ناراً إلى جنب نار ، فلينظر هل تطفىء إحداهما الأخرى ؟ وإلا فإن الخير يطفىء الشر ، كما يطفىء الماء النار » .

حدثني محمد بن أبي علي الخلابي ، حدثنا محمد بن خلف البسامي ، حدثنا
محمد بن عبيد الله الداري ، حدثنا محمد بن عمران الضبي ، قال : قال ابن السماك :
لن لمن يجفو ، فقلّ من يصفو .

وأنشدني الأبرش :

توخّ من السبل أوساطها وعدّ عن الحائر المشتبه
وسمعت صن عن سماع القبيح كصون اللسان عن النطق به
فإنك عند استماع القبيح شريك لقائله ، فانتبه
فكم أزعج الحرص من طالب فوافي المنية في مطلبه

أبنا عمر بن حفص البزاز بخنديسابور ، حدثنا جعفر بن محمد بن حبيب
الذارع حدثنا عبد الله بن رشيد ، حدثنا مجاعة بن الزبير ، قال : قال لقمان لابنه
« أي بني ، أي شيء أقل ؟ وأي شيء أكثر ؟ وأي شيء أحلى ؟ وأي شيء
أبرد ؟ وأي شيء آس ؟ وأي شيء أوحش ؟ وأي شيء أقرب ؟ وأي شيء أبعد ؟
قال : أما أقل شيء فاليقين ، وأما أي شيء أكثر فالشك ، وأما أي شيء أحلى
فروح الله بين العباد يتحابون بها ، وأما أي شيء أبرد فغفو الله عن عباده ،
وعفو الناس بعضهم عن بعض ، وأي شيء آس حبيبك إذا أغلق عليك
وعليه باب واحد ، وأي شيء أوحش جسد إذا مات ، فليس شيء أوحش منه ،
وأى شيء أقرب فالآخرة من الدنيا ، وأي شيء أبعد فالدنيا من الآخرة » .
قال أبو حاتم رضي الله عنه : العاقل يحسن عند الجفوة ، ويفضي عن المجازاة
عليها بمثلها .

وقد قيل : إن من لم يغضب من الجفوة لم يشكر النعمة .

وهو عندي - والله أعلم - غضب لا يخرج به إلى المعاصي : ولا إلى الانتقام
من الجاني ، كأنه في نفسه يعلم محل الجفوة منه ، كما يعقل ورود النعمة عليه ، وما

أقبح قدرة اللئيم إذا قدر ، ومن أساء سمعاً أساء إجابة ، ومن أتى المكروه إلى أحد فبنفسه بدأ ؛ لأن الشرور تبدو صغاراً ثم تعود كباراً .

ولقد أنبأنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا محمد بن إدريس الرازي ، حدثنا عبد الرحمن بن يحيى وإسماعيل بن عبيد الله الخزومي ، قالوا حدثنا عبد الأعلى ابن مسهر ، عن سعيد بن عبد العزيز قال : سمعت إسماعيل بن عبيد الله يقول لبنيه : « يا بني أكرموا من أكرمكم ، وإن كان عبداً حبشياً ، وأهينوا من أهانكم ، وإن كان رجلاً قرشياً » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : هذا الذى قال إسماعيل بن عبيد الله بن أبى المهاجر : إن استعمله العاقل فى الأحوال كلها مع الجاهل فلا ضير ، فأما من ارتفع عن حد الجاهل ، واتضع عن حد العقلاء ، فالإغضاء عن مثله فى الأوقات أحمد مخافة الازدياد منه ، ولأن يصبر المرء على حرارة الجفاء ومرارتها أولى من الانتقام مما يستجلب عليه بما هو أحر وأمرّ مما مضى ؛ لأن من الكلام ما هو أشد من الحجر ، وأنفذ من الإبر ، وأمرّ من الصبر .

ولقد أحسن الذى يقول :

لقد أسمع القول الذى كاد كلما تذكريه النفس قلبى تصدّع
فأبدى لمن أبداه منى بشاشة كأنى مسرور بما منه أسمع
وما ذاك عن عجز به ، غير أننى أرى أن ترك الشر للشر أقطع

أنبأنا محمد بن صالح الطبرى بالصيمرة ، حدثنا أحمد بن مقدم العجلي ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن الطفاوى عن هشام بن عروة عن أبيه عن أبى عمرو فى هذه الآية (٧ : ١٩٩ خذ العفو وأمر بالعرف) قال : « أمر النبى صلى الله عليه وسلم بالعفو عن أخلاق الناس » .

ذكر صفة الكريم واللئيم

أنبأنا محمد بن الحسن بن الخليل بنسا ، حدثنا أبو كريب ، حدثنا عبدة

ابن سليمان عن عبيد الله بن عمر ، عن سعيد المقبري ، عن أنى هريرة قال « قيل يا رسول الله ، أى الناس أكرم ؟ قال : أكرمهم عند الله أتقاهم ، قالوا : ليس عن هذا نسألك ؟ قال : فعن معادن العرب تسألوننى ؟ قالوا : نعم ، قال : خياركم فى الجاهلية خياركم فى الإسلام ، إذا فقهوا . »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أكرم الناس من اتقى الله ، والكريم التقى . والتقوى : هى العزم على إتيان المأمورات ، والانزجار عن جميع المزجورات ^(١) فمن صح عزمه على هاتين الخصلتين فهو التقى الذى يستحق اسم الكرم ، ومن تسرى عن استعمالها ، أو أحدها ، أو شعبة من شعبهما ، فقد نقص من كرمه مثله .

ونعد أنبأنا محمد بن المهاجر ، حدثنا عيسى بن محمد بن سهل الأزدي عن أبيه عن المدائني ، قال : قال زيد بن ثابت « ثلاث خصال لا تجتمع إلا فى كريم : حسن المحضر ، واحتمال الزلة ، وقلة الملاة »
وأشدنى ابن زنجى البغدادى :

رأيت الحق يعرفه الكريم لصاحبه وينكره اللئيم
إذا كان الفتى حسناً كريماً فكل فعاله حسن كريم
إذا ألفتته سمجاً لئيماً فكل فعاله سمج لئيم
قال أبو حاتم رضى الله عنه : الكرم لا يكون حقوداً ولا حسوداً ، ولا

(١) هذا تفسير باللازم ، وإلا حقيقة التقوى فى اللغة : الأخذ بكل أسباب ما يدفع عن الإنسان كل ما يكره ويحذر فى الدنيا والآخرة ، واتخاذ الوقاية مما يؤذى ويضر فى الجسم والقلب والعقل ، ولا يكون ذلك إلا بالعلم واليقظة التامة ، والبصيرة النيرة فكم من آت بكل المأمورات ومنزجر عن كل المحرمات ولكنه على جبل وتقليد أعمى لا ينفعه شىء مما يأتى ، ولا يدفع عنه انزجاره شيئاً مما يخاف ويحذر ، والله الموفق لكل خير والهادى إلى سواء السبيل .

شامتاً ، ولا باغياً ، ولا ساهياً ، ولا لاهياً ، ولا فاجراً ، ولا فخوراً ، ولا كاذباً ،
ولا ملولاً ، ولا يقطع إلفه ، ولا يؤذى إخوانه ، ولا يضيع الحفاظ ، ولا يجفو في
الوداد ، يعطى من لا يرجو ، ويؤمن من لا يخاف ، ويعفو عن قبرة ، ويصل
عن قطعة .

أخبرني محمد بن محمد بن أبي علي الخلابي ، حدثنا محمد بن الحسن الذهلي عن
علي بن محمد المرحبي عن محمد بن إبراهيم العباسي عن عبد الله بن الحجاج - مولى
المهدي - عن إبراهيم بن شكلة ، قال « إن لكل شيء حياة وموتاً ، وإن مما
يجي الكرم مواصلة الكرماء ، وإن مما يجي اللؤم معاشره اللئام » .
وأنشدني الكريزي :

وما بال قوم لئام ليس عندهم عهد ، وليس لهم دين إذا ائتمنوا
إن ينمعو ريبة طاروا بها فرحاً منا ، وما سمعوا من صالح دفنوا
صمُّ إذا سمعوا خيراً ذُكرتُ به وإن ذُكرتُ بسوء عندهم أذِنوا^(١)
قال أبو حاتم رضي الله عنه : الكريم يلين إذا استعطف ، واللئيم يقسو إذا
الطف ، والكريم يُجَلُّ الكرام ، ولا يُهين اللئام ، ولا يؤذى العاقل ، ولا يمازح
الأحمق ، ولا يعاشر الفاجر ، مؤثراً إخوانه على نفسه باذلاً لهم ممالك ، إذا اطلع
على رغبة من أخ لم يدع مكافأتها ، وإذا عرف منه مودة لم ينظر في قلق العداوة ،
وإذا أعطاه من نفسه الإخاء لم يقطعه بشيء من الأشياء .

كما أنشدني الخلابي ، أنشدنا أحمد بن أبي علي القاضي ، قال : أنشدنا
محمد بن مقيس الأزدي :

فإن الذي بيني وبين عشيرتي وبين بني عمي لختلف جدا
إذا قدحو إلى نار حرب بزئدتم قدحت لهم في كل مكرمة زندا
(١) يقال : أذن الرجل للقول : أي ألقى سمعه وأصغى بانتباه ويقظة زائدة ،
والأبيات لقعن بن أم صاحب .

وإن أكلوا الحمي وقرت لحومهم وإن هدموا مجدى بنيت لهم مجدا
ولا أهل الحقد القديم عليهم وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا
وأعطيتهم مالى إذا كنت واجدا وإن قل مالى لم أكفهم رفا^(١)
أنبأنا ابن حوصا ، حدثنا النحاسى حدثنا ضمرة عن إبراهيم بن أبى عليه قال :
رأيت سالم بن عبد الله ومحمد بن عبد العزيز يتسايران بأرض الروم ، فأبال أحدهم
دايته ، فأمسك عليه الآخر حتى لحقه .

أنبأنا محمد بن المهاجر ، حدثنا أحمد بن أبى بكر بن خالد اليزيدى عن قطبة
ابن العلاء بن المهال ، قال : سمعت المبارك بن سعيد يقول : سمعت الأعمش يقول :
قال الشعبي « إن كرام الناس أسرعهم مودة ، وأبطؤهم عداوة ، مثل الكوب من
الفضة يبطن الانكسار ، ويسرع الانجبار ، وإن لثام الناس أبطؤهم مودة ،
وأسرعهم عداوة ، مثل الكوب من الفخار : يسرع الانكسار ، ويبطن الانجبار »
قال أبو حاتم رضى الله عنه : الكريم من أعطاه شكره ، ومن منعه عذره ،
ومن قطعه وصله ، ومن وصله فضله ، ومن سأله أعطاه ، ومن لم يسأله ابتدأه ،
وإذا استضعف أحداً رحمه ، وإذا استضعفه أحد رأى الموت أكرم له منه ،
واللئيم بضد ما وصفنا من الخصال كلها .

ولقد أنبأنا أحمد بن قريش بن عبد العزيز ، حدثنا إبراهيم بن محمد الذهلى ،
حدثنا أحمد بن الخليل ، حدثنا يحيى بن أيوب عن أبى عيسى قال : كان إبراهيم
ابن أدهم كريم النفس ، يخالط الناس بأخلاقهم ويأكل معهم ، قال : فربما
اتخذ لهم الشواء والجواذبات والخبيص ، وربما خلا وأصحابه الذين يأنس بهم
فيتصارعون ، قال : وكان يعمل عمل رجلين ، وكان إذا صار إلى نفسه أكل
عجينا .

(١) هذه الأبيات من شعر الحماسة منسوبة إلى المقنع الكندى من قصيدة له
وفى بعض ألفاظها اختلاف . و « الرقد » العطاء .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أجمع أهل التجارب للدهر ، وأهل الفضل في الدين ، والراغبون في الجميل : على أن أفضل ما اقتنى الرجل لنفسه في الدنيا ، وأجل ما يدخر لها في العقبى هو لزوم الكرم ، ومعاشرة الكرام ؛ لأن الكرم يحسن الذكر ، ويشرف القدر ، وهو طباع ركبها الله في بنى آدم ، فمن الناس من يكون أكرم من أبيه ، وربما كان الأب أكرم من ابنه ، وربما كان المملوك أكرم من مولاه ، وربّ مولى أكرم من مملوكه .

ولقد أحسن الذى يقول :

رب مملوك إذا كشفته كان من مولاه أولى بالكرم
فهو ممدوح على أحواله وترى مولاه يُهَجَى وَيُدَمَّ
وتراه كيف يعلو دائماً ؟ وترى مولاه من تحت القدم
وفتى تلقى أباه دونه وأباً تلقاه أعلى وأتم
من بنيه ، ثم لا يعقل إن طلب المعروف منه بالصمم
وكذاك الناس - فأعلم - ربنا قدر الأخلاق فيهم وقسم
وأشدنى الأبرش :

رأيت اللين لا يرضى بضم لأن الضيم يسخطه الكريم
وإن اللين أكرم كل شيء فليس يحيه خلق لثيم
فإن نزل الأذى واللين قلبا فإن اللين يرحل لا يقيم
ويبقى للأذى في القلب صحب من البغضاء يلبث لا يريم^(١)

حدثنا القطان بالرقه ، حدثنا أحمد بن أبي الحواري ، قال : سمعت أبي يقول :
مامن أحد إلا وله توبة ، إلا سيء الخلق ؛ فانه لا يتوب من ذنب إلا دخل في
شر منه .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الكريم محمود الأثر في الدنيا ، مرضى العمل

(١) لا يريم : لا يفارق .

في العقبى ، يحبه القريب والقاصي ، ويألفه المتسخط والراضي ، يفارقه الأعداء
واللثام ، ويصحبه العقلاء والكرام .

وما رأيت شيئاً أكثر عملاً في نقص كرم الكريم من الفقر ، سواء كان
ذلك بالقلب أو بالموجود .

ولقد أنشدني المنتصر بن بلال الأنصاري :

لعمرُك ، إن المالَ قد يحملُ الفتى نسيباً ، وإن الفقرَ بالمرءِ قد يُزري
ولا رَفَعَ النفسَ الدنيَّةَ كالغنى ولا وضعَ النفسَ الكريمةَ كالفقر
حدثنا الحسن بن سفيان ، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا حميد بن
عبد الرحمن عن زكريا بن أبي زائدة عن علي بن الأقر عن أبي جحيفة قال :
« جالسوا الكبراء ، وخالطوا الحكماء ، وسألوا العلماء » .

ذكر الزجر عن قبول قول الوُشاة

أبانا أبو يعلى ، حدثنا عبد الله بن محمد بن أسماء ، حدثنا مهدي بن ميمون
حدثنا واصل الأحذب عن أبي وائل عن حذيفة « أنه بلغه أن رجلاً يَنمُّ
الحديثَ ، فقال حذيفة : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يدخل
الجنةَ مَمَّام »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على الناس كافة : مجانبة الإفكار في
السبب الذي يؤدي إلى البغضاء والمشاحنة بين الناس ، والسعي فيما يفرق جمعهم
ويشتت شملهم ، والعاقل لا يخوض في الإفكار فيما ذكرنا ، ولا يقبل سعاية الواشي
بجيلة من الحيل ، لعلمه بما يرتكب الواشي من الإثم في العقبى بفعله ذلك .

ولقد أبانا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا عباس بن الوليد بن مزيد عن أبيه
عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير قال : قال سليمان بن داود لابنه « يا بني ،
إياك والنميمة ، فإنها أحد من السيف » .

وأنشدني الكريزي :

من نَمَّ في الناس لم تؤمن عقار به على الصديق ، ولم تؤمن أفاعيه
كالسيل بالليل ، لا يدري به أحد من أين جاء ، ولا من أين يأتيه؟
فالويل للعهد منه ، كيف ينقضه ؟ والويل للود منه ، كيف يفتيه ؟

أخبرنا أحمد بن إسحاق الناقد بواسط ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون قال « لما تعجل موسى ابن عمران إلى ربه رأى رجلا تحت العرش ، فقبضه بمكانه ، فسأل ربه أن يخبره باسمه ، قال : لكنني أخبرك من عمله بثلاث خصال : كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله ، ولا يعق والديه ، ولا يمشي بالنميمة »

أنبأنا محمد بن المهاجر ، حدثنا محمد بن يعقوب الربعي ، حدثنا محمد بن إدريس المعدل عن العتبي قال « سمعت أعرابية توصي ابنا لها ، فقالت : عليك بحفظ السرِّ ، وإياك والنميمة ، فإنها لا تترك مودة إلا أفسدتها ، ولا ضعيفة إلا أوقدتها . »

ثم لا بد لمن عرف بها ونسب إلى مقارقتها من أن يُحترس من مجالسته ، وأن لا يوثق بمودته ، وأن يزهد في مواصلته ومعاشرته .

ولذلك يقول أخو ربيعة :

تمشيتَ فينا بالنميمة ، وإنما تفرّق بين الأضياء النائمُ
وما زلتَ منسوبا إلى كل آفة وما زال منسوبا إليك الملاممُ
لأنك لم تندم لشرِّ فعلته وما تأت من خير فإنك نادم

أنبأنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي حدثنا محمد بن عبيد الله الجشمي ، حدثنا علي بن محمد المدائني قال « وشي واش بعد الله بن همام السبأولي إلى زياد ، قال : فبعث زياد إلى ابن همام ، فجاء فأدخل الرجل بيتاً ، فقال له زياد : يا ابن همام . بلغني أنك هجوتني ، فقال له : كلاً ، أصلحك الله ! ما فعلتُ ، وما أنت لذلك

أهل ، قال : فإن هذا أخبرني — وأخرج الرجل — فأطرق ابن همام هنيهة ،
ثم أقبل على الرجل ، فقال :

وأنت اسرؤ : إما ائتمنتك خاليا فحُنتَ ، وإما قلتَ قولاً بلا علم
فأنت من الأمر الذي كان بيننا بمنزلة بين الخيانة والإثم
قال : فأعجب زياد بجوابه ، وأدناه ، وأقصى الساعي ، ولم يقبل منه .
وأنشدني ابن زنجي البغدادي :

يمشون في الناس يبعون العيوب لمن لا عيب فيه ، لكي يستشرف العطب
إن يعلموا الخير يحفوه ، وإن علموا شراً أذاعوا ، وإن لم يعلموا كذبوا
أخبرني محمد بن أبي علي ، حدثنا ابن أبي شيبَةَ أبو جعفر ، حدثنا الحسن بن
صالح قال : سمعت حُجَين بن المثنى يقول « سعى رجل بالليث بن سعد إلى والي
مصر ، فبعث إليه فدعاه ، فلما دخل عليه قال له : يا أبا الحارث ، إن هذا أبلغني
عنك كذا وكذا ، فقال له الليث : سله — أصلح الله الأمير ! — عما أبلغك :
أهو شيء ائتمناه عليه فخاننا فيه ، فما ينبغي لك أن تقبل من خائن ، أو شيء كذب
علينا فيه ، فما ينبغي لك أن تقبل من كاذب ؟ فقال الوالي : صدقت يا أبا الحارث »
أخبرنا ابن حوصا ، حدثنا عبد الله بن هاني بن عبد الرحمن عن ابن أبي عُلَيَّة
عن أبيه عن عمه إبراهيم بن أبي عبلة قال : « كنت جالسا مع أم الدرداء ، فأتاها
آت ، فقال : يا أم الدرداء ، إن رجلا نال منك عند عبد الملك بن مروان ،
فقال : إن نؤبِن^(١) بما ليس فينا فظالما زُكِّينا بما ليس فينا »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على العاقل لزوم الإغضاء عما ينقل
الوشاة وصرف جميعها إلى الإحسان ، وترك الخروج إلى مالا يليق بأهل العقل ،
مع ترك الأفكار فيما يُزرى بالعقل ، لأن من وشى بالشيء إلى إنسان بعينه يكون
قصده إلى المخبر أكثر من قصده إلى المخبر به ، لمشافهته إياه بالشيء الذي يشقُّ

عليه علمه وسماعه »

ولقد أحسن الذي يقول :

من يُخْبِرَكَ بِشْتَمٍ عَنْ أَخٍ فهو الشاتم ، لا من شَتَمَكَ
ذَلِكَ شَيْءٌ لَمْ يَشَافِهَكَ بِهِ إنما اللوم على من أَعْلَمَكَ
كَيْفَ لَمْ يَنْصُرِكَ ؟ إِنْ كَانَ أَخَا ذا وفاء عند من قد ظلمك
إِنَّمَا رَامَ بِابْلَاغِ الَّذِي نَمَّ فِيهِ - فاعلمن - أن يُرْغَمَكَ
فَاهْنَهُ ، إِنَّهُ مِنْ لَوْمَةٍ إن تُهِنَهُ بهوان أكرمك
لَكِنَّ الْحَرْأَ إِذَا أُكْرِمَتْهُ لم يُصغِرَكَ ، ولكن فَخَّكَم

أنبأنا محمد بن المهاجر ، حدثنا محمد بن عبد الله السويدي قال : سمعت العباس
ابن ميمون يقول : شيع المأمون الحسن بن سهل ذا الوزارتين ، فلما بلغا غاية
التشيع ، قال له المأمون : يا حسن ، ألك حاجة ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، تحفظ
على من قلبك ما لا أستطيع إدراكه إلا بك ، ويكون بيني وبينك قول كثير عزة :
وكوني على الواشين لءاء شعبة كما أنا للواشي ألد شعوب

أخبرنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا محمد بن خزيمة البصري حدثنا حذيفة
حدثنا عكرمة بن عمار عن يحيى بن أبي كثير قال : « الذي يعمله النمام في ساعة
لا يعمله الساحر في شهر »

أخبرنا محمد بن عثمان العقبى ، حدثنا محمد بن الحسن الهلالى حدثنا أبو عوانة
البصرى ، حدثنا داود بن شبيب ، حدثنا حماد بن سلمة قال « باع رجل من رجل
غلاماً له ، وقال : أبرأ إليك من النيمة ، فاشتره على ذلك ، فجاء إلى مولاته ،
فقال : إن زوجك ليس يحبك ، وهو يتسرّى عليك ويتزوج ، أفتريدين أن يعطف
عليك ؟ قالت : نعم ، قال : خذى موسى فاحلقى به شعرات من باطن لحيته
وبخرّيه بها ، وجاء إلى الرجل ، فقال : إن امرأتك تبغى ، وتصادق ، وهى
فانتلتك ، أفتريد أن يبين لك ذلك ؟ قال : نعم ، قال تناوم لها ، قال : فتناوم لها ،

فجاءت بموسى تحلق الشعر ، فأخذها فقتلها ، فأخذها أولياؤها فقتلوه «
قال أبو حاتم رضى الله عنه : هذا وأمثاله من ثمرة النيمة ؛ لأنها تهتك الأستار
وتفشى الأسرار ، وتورث الضغائن ، وترفع المودة ، وتجدد العداوة ، وتبدد الجماعة
وتهيج الحقد ، وتزيد الصد ، فمن وئى إليه عن أخ كان الواجب عليه معاتبته
على الهفوة إن كانت ، وقبول العذر إذا اعتذر ، وترك الإكثار من العتب ، مع
توطين النفس على الشكر عند الحفاظ ، وعلى الصبر عند الضياع ، وعلى المعاتبة
عند الإساءة .

وأنشدنى منصور بن محمد السكرى :

كاف الخليل على المودة مثلها وإذا أساء فكافه بعبابه
وإذا عتبت على امرئ أحبته فتوقّ ظاهر عيبه وسبابه
وأن جناحك ما استلان لوده وأجب أخاك إذا دعا بجوابه
وأنشدنى على بن محمد السامى :

أعاتب إخوانى ، وأبقى عليهم ولست لهم بعد العتاب بقاطع
وأغفر ذنب المرء إن زلّ زلة إذا ما أتاها كارهاً غير طائع
وأجزع من لوم الخليم وعذله وما أنا من جهل الجهول بمجازع
أخبرنى محمد بن على الخلابى ، أخبرنى محمد بن يزيد النحوى عن العتبى
عن أبيه قال : عتب ابن الزبير على معاوية فى شئ ، فدخل عليه ، فقال : يا أمير
المؤمنين : اسمع آياتاً أعتبتك فيها ، قال : هات ، فأنشده (١) :

لعمرك ما أدرى ، وإنى لأوجل على آيتنا تعدو المنية أول
وإنى على أشياء منك تريبنى كثيراً لذو صفح على ذاك مجمل
إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته على طرف الهجران لو كان يعقل
فقال له معاوية : لقد شعرت بعدى يا أبا بكر ، فدخل عليه مَعْنُ بن أوس

(١) الأبيات لمعن بن أوس ، وسينذكر المؤلف ذلك .

الزنى بعد ذلك ، فقال له معاوية : هل أحدثت بعدنا شيئاً ؟ قال : نعم ، ثم أنشده :

* لعمرك ما أدري وإني لأوجل *

فقال : عليّ بابن الزبير ، فقال : أليس هذا لك فيما زعمت ؟ قال : أنا ألقت المعنى ، وهو ألف القوافي ، وهو بعدُ ظنّري ، ومهما قال من شيء فأنا قلته ، فضحك معاوية ، وكان معن بن أوس مُسترضعاً في مُزينة .

سمعت الحسين بن إسحاق الأصفهاني يقول : كتب علي بن حجر السعدي إلى بعض إخوانه :

أحنُّ إلى عتابك ، غير أني أحلك عن عتابٍ في كتاب
ونحن إذا التقينا قبل موت شفيتُ غليلَ صدرى من عتابي
وإن سبقتُ بنا أيدي المنايا فكم من عتابٍ تحت التراب
وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

صحائفٌ عندي للعتاب طويتها ستشر يوماً ، والعتاب يطولُ
كتابٌ لعمرى لا بنانٌ يخطّه وسوف يؤديه إليك رسول
سأكتب إن لم يجمع الله بيننا وإن نجتمع يوماً فسوف أقول

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن لا يقصّر عن معاتبة أخيه على زلته ، لأن من لم يعاتب على الزلة لم يكن بخافض للخلة ، ومن أعتب لم يذنب ، كما أن من اغتفر لم يعاقب ، وظاهر العتاب خير من مكتوم الحقد ، ورُبَّ عتبٍ أنفعُ من صفحٍ ؛ ولذلك أنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

إذا ما امرؤ ساءتكَ منه خليقةٌ فكاتمته ، فالوهن في ذاك تركبُ
لعلك لو عاتبته ، ثم لمته لسكر ، حتى لم تكن تتعتبُ
وأنشدني الكريزي :

فإن تكن العتبي فأهلاً ومرحباً وحقّ لها العتبي لدينا وقلتِ

وإن تكن الأخرى ، فإن وراءنا مفاوز لو سارت بها العيس كَلَّت
قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يجب على العاقل أن يناقش على تصحيح
الإعتاب بالإكثار مخافة أن يعود العاتب الى ما عوتب عليه ؛ لأن من عاتب على
كل ذنب أخاه ، فحقيق أن يَمَلَّه ويقلاه ، وإن من سوء الأدب كثرة العتاب .
كما أن من أعظم الجفاء ترك العتاب ، والإكثار فى المعاتبة يقطع الود ، ويورث الصد
ولقد أنشدنى عبد الله بن أحمد النقيب البغدادى لابن المعتز :

معاتبة الإلفين تحسنُ مرّةً فإن أكثروا إذمانها أفسد الحبّا
إذا شئت أن تُقلَى فزر مُتتابعاً وإن شئت أن تزداد حُبّاً فزر غيبّاً
وأنشدنى محمد بن أبى على الصيداوى ^(١) :

إذا كنت فى كل الأمور معاتباً خليلك لم تلق الذى لا تعاتبه
ففس واحداً ، أو صل أخاك فإنه مقارف ذنب مرّةً ومجانبه
إذا أنت لم تشرب مراراً على القدى ظميت ، وأى الناس تصفومشار به ؟
أخبرنا محمد بن المهاجر حدثنا محمد بن الحسن الذهلى عن أبى السائب قال :
قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : « لا تكثر العتاب ، فإن العتاب يورث
الضعفينة والبغضة ، وكثرته من سوء الأدب »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد ذكرت ما يشا كل هذه الحكايات فى كتاب
« مراعاة الإخوان » فأغنى ذلك عن تكرارها فى هذا الكتاب .

ذكر استحباب قبول الاعتذار من المعتذر

أنبأنا على بن الحسن بن عبد الجبار - بنصيبين - حدثنا على بن حرب الطائى
حدثنا وكيع عن الثورى عن ابن جريج عن العباس بن عبد الرحمن بن مينا عن

(١) تنسب الأبيات لبشار بن برد .

جودان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من اعتذر إلى أخيه فلم يقبل كان عليه مثلُ خطيئة صاحب مَكْس »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أنا خائف أن يكون ابن جريج رحمة الله ورضوانه عليه دلَّس هذا الخبر بأن سمعه من العباس بن عبد الرحمن فهو حديث حسن .

فالواجب على العاقل إذا اعتذر إليه أخوه لجرم مضى ، أو لتقصير سبق ، أن يقبل عذره ، ويجعله كمن لم يذنب ؛ لأن من تُنصَل إليه فلم يقبل أخاف أن لا يَرِدَ الحوضَ على المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ومن فرط منه تقصير في سبب من الأسباب يجب عليه الاعتذار في تقصيره إلى أخيه .

ولقد أنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

إذا اعتذر الصديق إليك يوماً من التقصير عذر أخٍ مُقرِّ
فصنّه عن جفائك ، واعفُ عنه فإن الصنح شيمَةٌ كلِّ حرِّ

وأنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

شفيع من أسلمه جرمه إقراره بالجرم والذنب
وتوبة للذنب من ذنبه إعتاب من أصبح ذاعب

أبنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا ابن عائشة ، قال : غضب سليمان بن عبد الملك على خالد بن عبد الله ، فلما دخل عليه قال : يا أمير المؤمنين ، القدرة تُذهب الحفيظة ، وأنت تجلُّ عن العقوبة ، فإن تعفُ فأهلُ ذاك أنت ، وإن تعاقب فأهلُ ذاك أنا ، قال : فعفّ عنه .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يجب للمرء أن يعتذر بحيلة إلى من لا يجب أن يجد له عذراً ، ولا يجب أن يكثر من الاعتذار إلى أخيه ؛ فإن الإكثار من الاعتذار هو السبب المؤدى إلى التهمة ، وإني أستحب الإقلال من الاعتذار على الأحوال كلها ؛ لعلمى أن المعاذير يعتريها الكذب ، وقل ما رأيتُ أحداً

اعتذر لإشاب اعتذاره بالكذب ، ومن اعترف بالزلة استحق الصفع عنها ، لأن ذلك الاعتذار عن الزلة يوجب تسكين الغضب عنها ، والمعتذر إذا كان محقاً خضع في قوله ، وذلك في فعله ، كما أنشدني المنتصر بن بلال :

أياربٌ قد أحسنتَ عوداً وبدأةً إلىّ ، فلم ينهض بإحسانك الشكر
فمن كان ذا عذر إليك وحُجَّةٍ فمعدري إقرارى بأن ليس لي عذر
وأنشدني الكريزي :

وإني وإن أظهرتَ لي منك جفوةً وأزمتني ذنباً وإن كنتُ مجرمًا^(١)
لراضٍ لنفسي مارضيت لها به أراك بها مني أبرَّ وأرحمها
أبناءنا محمد بن عثمان العقبى ، حدثنا الفيض بن الجهم التميمي ، حدثنا عبد الله ابن خبيق قال : كان يقال : احتمل من دلك عليك ، وأقبل ممن اعتذر إليك .

أبناءنا بكر بن محمد بن الوهاب القزاز - بالبصرة - حدثنا إسماعيل بن إبراهيم أبو بشر قال : سمعت أبي قال : حدثنا مبارك بن فضالة عن حميد الطويل عن أبي قلابة ، قال : إذا بلغك عن أخيك شيء تكرهه فالتمس له عذرا ، فإن لم تجد له عذراً فقل : لعل له عذراً لا أعلمه .

قال أبو حاتم رضى عنه : لا يجب للمرء أن يعلن عقوبة من لم يعلن ذنبه ، ولا يخلو المعتذر في اعتذاره من أحد رجلين : إما أن يكون صادقا في اعتذاره ، أو كاذباً ؛ فإن كان صادقا فقد استحق العفو ؛ لأن شر الناس من لم يقبل العثرات ، ولا يستر الزلات ، وإن كان كاذباً فالواجب على المرء إذا علم من المعتذر إثم الكذب ورييته وخضوع الاعتذار وذلته : أن لا يعاقبه على الذنب السالف

(١) «إن» الأخيرة نافية ، والمعنى : وما لم أكن في الواقع مجرماً ، على حد قوله تعالى (٣٥ : ٤١ إن أمسكهما من أحد من بعده) وقوله (٧٢ : ٢٥ إن أدرى أقرب ما توعدون) .

بل يشكر له الإحسان المحدث ، الذي جاء به في اعتذاره ، وليس يعيب المعتذر
إن ذلَّ وخضع في اعتذاره إلى أخيه .

وأنشدني الأبرش :

هَبْنِي أَسَاتُ ، كما زعمتَ ، فأين عاطفة الأخوة ؟

أو إن أسأتُ ، كما أسأتُ ، فأين فضلك والمرورة ؟

وأنشدني علي بن محمد البسامي :

هَبْنِي مَسِيئًا كَالَّذِي قَلَبْتَ ظَالِمًا فَعَفُوًّا جَمِيلًا كِي يَكُونَ لَكَ الْفَضْلُ

فَإِنْ لَمْ أَكُنْ لِلْعَفْوَمَنْكَ - لَسُوءَ مَا أَتَيْتُ بِهِ - أَهْلًا ، فَأَنْتَ لَهُ أَهْلٌ

وأنشدني ابن زنجي البغدادي :

هَبْنِي أَسَاتُ ، وَكَانَ جُرْمِي مِثْلَ جُرْمِ أَبِي لَهْبُ

فَأَنَا أَتُوبُ كَمَا أَسَأْتُ ، وَكَمْ أَسَاتُ فَلَمْ تَتُبْ ؟

وأنشدني محمد بن أبي علي ، أنشدنا الربيعي عن الأصمعي :

أَتَيْتَكَ تَائِبًا مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَيْرِ النَّاسِ مَنْ أَخْطَأَ فَتَابًا^(١)

أَلَيْسَ اللَّهُ يُسْتَعْفَى فَيَعْفُو وَقَدْ مَلَكَ الْعُقُوبَةَ وَالثَّوَابَ ؟

وأنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

عَصَيْتُ وَتَبْتُ ، كَمَا قَدْ عَصَى وَتَابَ إِلَى رَبِّهِ آدَمُ

فَقُلْ قَوْلَ يُوسُفَ لَا تَتْرَبًا لَكُمْ يَغْفِرُ الْغَافِرُ الرَّاحِمُ

أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا محمد بن عبد الله الجرزي عن حميد

ابن سنان الخالدي - وكان نديمًا لأبي دلف - قال : دخلت على أبي دلف يوما ،

وبين يديه كتاب وهو يضحك ، فقال : هذا كتاب عبد الله بن طاهر ، وفيه

أبيات أحبُّ أن أنشدك إياها ، وذلك أني كنت استبظاته في بعض المؤامرات ،

فكتبت إليه :

(١) أخطأ : أصله أخطأ ، قلب الهمزة ألفا لا فتاح ما قبلها .

أرى وُدَّكم كالورد ليس بدائم ولا خير فيمن لا يدوم له عهد
وودي بكم كالآس حسناً وبهجة له نضرة تبقى إذا فنى الورد
فكتب إلى هذه الأبيات :

شَبَّهت ودي الورد ، فهو مشاكلي وهل زهرٌ إلا وسيدها الوردُ
وشَبَّهت منك الود بالآس في البقا ولم تخلف التشبيه فيك ولم تعدُ
فودك كالآس المرير مذاقُه وليس له في الريح قبلُ ولا بعدُ

أخبرنا عبد الكبير بن عمر الخطابي بالبصرة ، حدثنا أبو حاتم السجستاني
عن الأصمعي قال : حدثنا عيسى بن عمر قال : كان لأبي الأسود الدؤلي صديق ،
ف رأى منه بعض ما يكره ، فقال أبو الأسود :

رأيت امرءاً لم أكن أبله^(١) أتاني ، فقال : اتخذني خليلاً
فخاللته ، ثم صافيته فلم ينقص الود منه فتبلاً
فراجعته ، ثم عاتبته عتاباً رقيقاً ، وقولاً جميلاً
فألفيته غير مستعتبٍ ولا ذاكرٍ الله إلا قليلاً
أستُ حقيقاً بتوديعه وأتبع ذلك هجرًا طويلاً ؛

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الاعتذار يذهب الموم ، ويُنجلي الأحران ،
ويدفع الحقد ، ويذهب الصد ، والإقلال منه تستغرق فيه الجنايات العظيمة
والذنوب الكثيرة ، والإكثار منه يؤدي إلى الاتهام وسوء الرأي ، فلو لم يكن
في اعتذار المرء إلى أخيه خصلة تُحمد إلا نفي التعجب عن النفس في الحال لكان
الواجب على العاقل أن لا يفارقه الاعتذار عند كل زلّة .

ولقد أنشدني الكريزي

فانظر إلى بطرف غير ذي مرض فطال ماصحاً لى من طرفك النظرُ

(١) هكذا في الأصل ، والمحفوظ « أريت امرءاً كنت لم أبله » إلخ ، مع بعض

اختلاف في الباقي :

أدرك بفضلك عظماً كنت تجبره واجمع برقك ما قد كاد ينتشر^(١)
أبنا عمرو بن محمد الأنصاري ، حدثنا الغلابي ، حدثنا مهدي بن سابق
حدثنا عطاء بن مصعب قال : قدم عبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد على معن بن
إئدة باليمن ، وكانت بينهما عداوة ، فلما رآه قال له : يا عبد الرحمن ، بأى وجه
تبتني ؟ ولأى خير أملتني ؟ قال : أصلح الله الأمير ! اسمع مني حتى أنشدك بيتين
قالهما نصيب في عبد العزيز بن مروان ، قال : وما هما ؟ فأشده :

لو كان فوق الأرض حتى فعاله كفعلك ، أو للفعل منك مقارب
لقلت له هذا ، ولكن تعذرت سواك على المستعيبين المذاهب
فقال : أقم ، فإني لأأواخذك فيما مضى ، ولا أعتفك فيما بقى .

أبنا الخلادي حدثنا محمد بن موسى السمرى عن حماد بن إسحاق . قال ابن
السمك لمحمد بن سليمان ، أو حماد بن موسى لكتابه ، ورآه كالمعرض عنه : مالى
أراك كالمعرض عنى ؟ قال : بلغنى عنك شيء كرهته ، قال : إذا لا أبالي ، قال :
ولم ؟ قال : لأنه إن كان ذنباً غفرته ، وإن كان باطلا لم تقبله ، قال : فعاد
إلى المؤانسة .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد ذكرت ما يشاكل هذه الحكايات فى كتاب
« مراعاة العشرة » ، فأغنى ذلك عن تكرارها فى هذا الكتاب .

ذكر الحث على لزوم كتمان السر

أبنا محمد بن سليمان بن فارس الدلال ، حدثنا محمد بن إبراهيم بن سعيد
العبدى ، حدثنا الهيثم بن أيوب العطار السامى ، حدثنا سهل بن عبد الرحمن عن
محمد بن مطرف أبى غسان عن محمد بن المنكدر عن عروة عن أبى هريرة قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « استعينوا على الحوائج بكتمان السر ، فإن
لكل نعمة حاسداً » .

(١) ينتشر : يتفرق ويذهب ههنا وههنا .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : هذا إسناد حسن ، وطريق غريب ، إن كان عروة هذا هو ابن الزبير بن العوام ، وسعيد بن سلام ، ما أرى حفظ حديثه ؛ فلذلك تنكبت ^(١) عن ذكره .

فالواجب على من سلك سبيل ذوى الحجى لزوم ما انطوى عليه الضمير بتركه إبداء المكنون فيه ، لا إلى ثقة ولا إلى غيره ؛ فإن الدهر لا بد من أن يضرب ضرباته ، فيوقع صدّ الوصل بينهما بحالة من الأحوال فيخرجه وجود ضد ما انطوى عليه قديماً من وفائه إلى صحة الخروج بالكلية إلى جفائه ، بإبداء مكتوماته ، والكشف عن محبّاته .

ولقد أبانا محمد بن عثمان العقبى ، حدثني محمد بن عبد الكريم العبدى ، حدثنا بكر بن يونس بن بكير ، حدثني موسى بن علي عن أبيه عن عمرو بن العاص أنه قال : عجبت من الرجل يفرّ من القدر ، وهو موافقه ، ومن الرجل يرى القداة في عين أخيه ، ويدع الجذع في عينه ، ومن الرجل يخرج الضغن من موضع ويدع الضغن في نفسه ، وما ندمت على أمر قط فأنت نفسي على تندمى عليه ، وما وضعت سرى عند أحد فلهته على أن يفشيه ، كيف أومه وقد ضقت به ؟ وأنشدني علي بن محمد البسامي :

تبيح بسرّك ضيقاً به وتبغى لسرك من يكتم
وكتمانك السرّ ممن تخاف ومن لا تخافنه أحرّم
إذا داع سرّك من مخبر فأنت ، وإن لمته ، ألوم
وأنشدني عبد العزيز بن سليمان :

إذا ضاق صدر المرء عن بعض سره فألقاه في صدري ، فصدري أضيق
ومن لامني في أن أضيع سره وضيّعه قبلي ، فذو السرّ أخرق ^(٢)

(١) تنكبت : أعرضت .

(٢) أخرق : أحقق .

أخبرنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا أحمد بن محمد الصيداوى ، حدثنا حماد بن إسحاق عن المدائنى قال : كان يقال : أصبر الناس الذى لا يفشى سره إلى صديقه مخافة أن يقع بينهما شيء فيفشيهِ ، وأنشدنى البغدادي :

صُنِّ السَّرَّ بِالكَتْمَانِ يَرْضِيكَ غَيْبُهُ فَقَدْ يَظْهَرُ الْمَرْءَ الْمَضِيعَ فَيَنْدِمُ
فَلَا تَلْجَأَنَّ سِرًّا إِلَى غَيْرِ حَرْزِهِ فَيَظْهَرُ حَرْزَ السُّوءِ مَا كُنْتَ تَكْتُمُ
وَأَنْشَدَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْوَاسِطِيَّ :

إذا المرء لم يحفظ سريرة نفسه وكان لسرِّ الأَخِّ غيرَ كتومٍ (١)
فَبَعْدًا لَهُ مِنْ ذِي أَخٍ وَمُودَةٍ وليس على وُدِّ له مقيم
قال أبو حاتم رضى الله عنه : من حصَّن بالكتمان سره تمَّ له تدييره ، وكان له الظفر بما يريد ، والسلامة من العيب والضرر ، وإن أخطأه التمكن والظفر ، والحازم يجعل سره في وعاء ، ويكنمه عن كل مستودع ، فإن اضطره الأمر وغلبه أودعه العاقلُ الناصح له ، لأن السرَّ أمانة ، وإفشاؤه خيانة ، والقلب له وعاءه ، فمن الأوعية ما يضيق بما يودع ، ومنها ما يتسع لما استودع .
وَأَنْشَدَنِي الْكَرِيرِيُّ .

أجعل لسرك من فؤادك منزلا لا يستطيع له اللسان دخولا
إن اللسان إذا استطاع إلى الذى كتم الفؤاد من الشئون وصولا
ألفيت سرَّك في الصديق وغيره من ذى العداوة فاشياً مبذولا
وَأَنْشَدَنِي الْمُنْتَصِرِينَ بِلَالِ الْأَنْصَارِيِّ :

سأكنمه سرى وأكنم سره ولا غرَّنى أنى عليه كريم
حليم فيفشى ، أو جهول يذيعه وما الناس إلا جاهل وحليم
أخبرنى محمد بن سعيد القرزاز ، حدثنا إبراهيم بن الجنيد ، حدثنى على بن عيسى عن محمد عن ابن الأعرابي قال : كان يقال : العاقل من حذرَ صديقه .

(١) الأَخ - ههنا بتشديد الحاء - وهى لغة .

وأنشدني بعض إخواننا :

لعمرك كتمان الفتى سرِّ مانوى أعفَّ وأدنى للرشاد وأكرم
وأجملُ في بثِّ الحديثِ مقالة وأحسن في الأخلاقِ دوماً وأحزم
وأنشدني الكريزي :

إذا أنت لم تحفظ لنفسك سرها فأنت إذا حملته الناس أضيعُ
ويضحك في وجهي إذا ما لقيته وينهشني بالغيب يوماً ويلسع
قال أبو حاتم رضى الله عنه : الإفراط في الاسترسال بالأسرار عجز ،
وما كتبه المرء من عدوه فلا يجب أن يظهره لصديقه ، وكفى لذوى الأبواب عبراً
ماجر بوا ، ومن استودع حديثاً فليستر ، ولا يكن مهتاكاً ، ولا مشياًعاً ؛ لأن
السر إنما سمي سرّاً ؛ لأنه لا يفشى .

فيجب على العاقل أن يكون صدره أوسع لسره من صدر غيره بأن لا يفشيه
ولقد أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا محمد بن إسماعيل بن يعقوب الأعم
قال : أنشدني محمد بن سليمان بن سلام الجمحي لرجل من عبد شمس :

إذا ما ضاق صدرك عن حديث فأفشاء الرجال ، فمن تلوم ؟
إذا عاتبْتُ من أفشى حديثي وسرِّي عنده فأنا الظلوم
وإني يوم أسأم حمل سرى وقد ضمنتَه سدرى سؤوم
فلمست مُحدثاً سرى خليلي ولا نفسى إذا حضرت هموم
وأطوى السرَّ دون الناس : إني لما استودعت من سرِّك توم
وأنشدني علي بن حيدة الكاتب ، قال : أنشدنا عبد الرحمن بن بندار

لشيطان الطاق .

أمتِ السرِّ بكتانٍ ولا يُسمعن منك إذا استودعت سرَّ
فإذا ضقت به ذرعاً ، فلا تضعنُ سرِّك إلا عند حُر
أنبأنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا الرمادي ، حدثنا مسدد قال : سمعت ابن

داود يقول : سمعت الأعمش يقول : يضيق صدر أحدهم بسره ، حتى يحدث به ، ثم يقول : ا كتمه على :

وأُشدني إبراهيم بن علي الظفري ^(١) أنشدني الحسين بن عبيد الله :
لا يكتم السر إلا من له شرف والسر عند كرام الناس مكتوم
السر عندي في بيت له غلق ضلت مفاتيحه والبابُ مختوم
أبناؤنا الخلادي ، حدثنا أحمد بن عبد الله بن شجاع البياضي ، قال :
أنشدنا عبد الرحمن بن محمد :

وإني لأنسى السر كما أضونه فيأمن رأى شيئاً يُصان بأن ينسى
مخافة أن يجرى بيالي ذكره فيخلصه قلبي إلى منطقي خلساً
قال أبو حاتم رضي الله عنه : الظفر بالحزم ، والحزم بإجالة الرأي ، والرأي بتحصيل الأسرار ، ومن كتم سره كانت الخيرة في يده ، ومن أنبا الناس بأسراره هان عليهم وأذاعوها ، ومن لم يكتم السر استحق الندم ، ومن استحق الندم صار ناقص العقل ، ومن دام على هذا رجع إلى الجهل .
فتحصين السر للعاقل أولى به من التلief بالندم بعد خروجه منه .

ولقد أحسن الذي يقول :

خشيتُ لساني أن يكون خوؤنا فأودعته قلبي ، فكان أميناً
فقلت ، ليخفي دون شخصي وناظري : أيا حرَكاتي كنَّ في سكونا
أبناؤنا إبراهيم بن إسحاق الأنماطي ، حدثنا محمد بن سليمان المصيصي ، حدثنا ابن عيينة عن ابن شبرمة عن الحسن في قوله تعالى (٣ : ١٥٩) وشاورهم في الأمر)
قال : ما كان يحتاج إليهم ، ولكن أحب أن يستنَّ به من بعده .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : المستشار مؤتمن ، وليس بضامن ، والمستشير متحصن من السقط ، متخير للرأي .

(١) وجد في هامش الأصل « نسخة الطريقي » .

والواجب على العاقل السالك سبيل ذوى الحجى : أن يعلم أن المشاورة تفشى
الأسرار ، فلا يستشير إلا اللبيب الناصح الودود الفاضل فى دينه ، وإرشاد المشير
المستشير قضاء حق النعمة فى رأى ، والمشورة لاتخلو من البركة إذا كانت مع
مثل من وصفنا نعتة .

ولقد أنبأنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابى ، حدثنا ابن عائشة ، قال : قال
الحسن ماحزب (١) قوما قط أمر فاجتمعوا فتشاوروا فيه إلا أرشدهم الله لأصوبه .
وأنشدنى الكرىزى :

دَبَّرَ إِذَا مَارَمْتَ أَمْرًا بِفِكْرَةٍ لتعلم ما تاتى وما تتجنبُ
وشاور نقيَّ الرأى عند التباسه لكى يَصِحَّ الأمر الذى هو أصوبُ (٢)

وأنشدنى المنتصر بن بلال :

لاتسبقنَّ الناس بالرأى واتند فإنك إن تعجل إلى القول تزلِ
ولكن تصفح رأى من كان حاضراً وقل بعدهم رسلا ، وبالحق فاعمل

أنبأنا محمد بن عثمان العقبى ، حدثنى يحيى بن زيد بن محمد الأبلى ، حدثنى
إسماعيل بن حبيب أبو حميد الأبلى عن عبد الله بن الديلمى عن وهب بن منبه
أنه قال : فى التوراة أربعة أحرف مكتوبة : من لم يشاور يندم ، ومن استغنى
استأثر ، والفقر الموت الأحمر ، وكما تدين تُدان .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لأنس أنس من استشارة عاقل ودود ، ولا
وحشة أوحش من مخالفته ؛ لأن المشاورة والمناظرة بابا بركة ومفتاحا رحمة ،
من استشير فليشر بالنصيحة ، وليجتهد بالرأى ، وليلزم الحق ، وقصد السبيل
وليجعل المستشار كنفه بترك الخيانة ، وبذل النصيحة ، وليكن كما أنشدنى على
ابن محمد البسامى :

(١) حزهم : اشتد عليهم وشق .

(٢) يضح : مضارع وضع ، إذا اشتد ظهوره .

ومن الرجال إذا زَكَتْ أعلامُهُمْ مَنْ يَسْتَشَارُ إِذَا اسْتَشِيرَ فَيَطْرُقُ
حَتَّى يَجُولَ بِكُلِّ وادِّ قَلْبُهُ فَيَرَى وَيَعْرِفُ مَا يَقُولُ وَيَنْطِقُ
إِنَّ الْحَلِيمَ إِذَا تَفَكَّرَ لَمْ يَكْذِبْ يَخْفَى عَلَيْهِ مِنَ الْأُمُورِ الْأَوْفَقُ
أَبْنَانَا أَبُو يَعْلَى ، حَدَّثَنَا غَسَّانُ بْنُ الرَّبِيعِ ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ ثَابِتٍ عَنْ يَاسِ
ابْنِ دَعْفَلٍ عَنِ الْحَسَنِ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « مَا شَاوَرَ قَوْمٌ
قَطُّ إِلَّا هَدَوْا إِلَى رَشْدِهِمْ » .

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْذِرِ ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ خَالِدِ السَّيْرَانِيِّ ، حَدَّثَنَا شَيْبَانُ ، حَدَّثَنَا
أَبُو الْأَشْهَبِ قَالَ : قَالَ الْحَسَنُ : لَا يَنْدَمُ مَنْ شَاوَرَ مَرشِدًا .

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الْوَاجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ إِذَا اسْتَشِيرَ قَوْمٌ هُوَ فِيهِمْ
أَنْ يَكُونَ آخِرَ مَنْ يَشِيرُ ؛ لِأَنَّهُ أَمْكَنُ مِنَ الْفِكْرِ وَأَبْعَدُ مِنَ الزَّلَلِ ، وَأَقْرَبُ مِنَ
الْحِزْمِ ، وَأَسْلَمُ مِنَ السَّقَطِ ، وَمَنْ اسْتَشَارَ فَلْيَنْفِذِ الْحِزْمَ بَأَنْ لَا يَسْتَشِيرَ عَاجِزًا ، كَمَا أَنَّ
الْحَازِمَ لَا يَسْتَعِينُ كَسِيلًا ، وَفِي الْاسْتِشَارَةِ عَيْنُ الْهُدَايَةِ ، وَمَنْ اسْتَشَارَ لَمْ يَعْصِمْ رَشْدًا ،
وَمَنْ تَرَكَ الْمَشَاوِرَةَ لَمْ يَعْصِمْ غَيًّا وَلَا يَنْدَمُ مِنْ شَاوَرَ مَرشِدًا ، وَقَدْ أَنْشَدَنِي الْوَاسِطِيُّ :

الْهَمُّ مَالِمٌ تَمْضُهُ لِسَبِيلِهِ سَقَمُ الْقُلُوبِ وَآفَةُ الْأَبْدَانِ
وَمُعْوَلُ الرَّجُلِ الْمَوْفُوقُ رَأْيَهُ عِنْدَ اعْتِرَاضِ طَوَارِقِ الْأَحْزَانِ
وَإِذَا الْهَوَاثِ سَدَّتْ أَسْبَابَهُ كَانَ التَّبَصُّرُ أَنْجِدَ الْأَعْوَانَ
وَإِذَا أَضَلَّ سَبِيلَهُ تَدْيِيرُهُ طَلَبُ الْهُدَى بِتَشَاوُرِ الْإِخْوَانَ

أَبْنَانَا مُحَمَّدُ بْنُ عَثْمَانَ الْعَقْبِيِّ ، حَدَّثَنَا مَطْرُوحُ بْنُ شَاكِرٍ ، حَدَّثَنَا أَصْبَغُ بْنُ ابْنِ
وَهْبٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ نَشِيطٍ عَنْ ابْنِ أَبِي حَسِينٍ قَالَ : كَانَ يَقَالُ : مَا هَلْكَ أَمْرُؤُ
عَنِ الْمَشُورَةِ ، وَلَا سَعْدَ بِتَوْحِدِ

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِنْ مِنْ شِيمِ الْعَاقِلِ عِنْدَ النَّائِبَةِ تَنْوِيهِ : أَنْ يَشَاوَرَ
عَاقِلًا نَاصِحًا ذَا رَأْيٍ ثُمَّ يَطِيعُهُ ، وَلِيَعْتَرِفَ لِلْحَقِّ عِنْدَ الْمَشُورَةِ ، وَلَا يَتَّكِبَ فِي الْبَاطِلِ
بَلْ يَقْبَلُ الْحَقَّ مَنْ جَاءَ بِهِ ، وَلَا يَحْقِرُ الرَّأْيَ الْجَلِيلَ إِذَا أَنَاهُ بِهِ الرَّجُلُ الْحَقِيرُ ؛ لِأَنَّ

اللؤلؤة الخطيرة لا يشينها قلة خطر غائصها الذي استخرجها ، ثم ليستخر الله ، ولبيض
فيا أشار عليه ، وقد أنشدني البغدادى :

أطع الحلِيم إذا الحلِيمُ عصاك إن الحلِيم إذا عصاك هذا كما
وإذا استشارك من تودُّ ، فقل له : أطع الحلِيم إذا الحلِيم نها كما
ولئن أبيتَ لتأتينَّ خلفه أرباباً يحوطك ، أو يكون هلاكاً
واعلم بأنك لن تسود ، ولن ترى سُبُل الرِشاد إذا أطمت هواك

أبناؤنا أبو محمد عبد الرحمن بن عبد المؤمن بجران ، حدثنا محمد بن حميد
البراز ، حدثنا جرير عن ابن المقفع عن وزير كسرى قال : ثلاثة ليس لهم رأى |
فلا تستشيروهم : صاحب الخف الضيق ، وحاقد البول ، وصاحب المرأة السوء
السَّليطة (١) .

ذكر الحث على لزوم النصيحة للمسلمين كافة

أبناؤنا الحسين بن محمد بن أبي معشر - بجران - حدثنا عبد الرحمن بن عمرو
البحلى ، حدثنا زهير بن معاوية عن سهيل بن أبي صالح عن عطاء بن يزيد الليثي
عن تميم الهاربي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدين النصيحة ، قيل :
لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين ، وعامتهم » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لزوم النصيحة للمسلمين كافة ،
وترك الخيانة لهم بالإضرار والقول والفعل معا ، إذ المصطفى صلى الله عليه وسلم
كان يشترط على من بايعه من أصحابه « النصح لكل مسلم » مع إقامة الصلاة
وإيتاء الزكاة .

وأخبرني محمد بن أبي علي الخلابى ، حدثنا محمد بن الحسن الذهلى عن
أبي السائب قال : قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه « لا تعمل بالخدعة فإنها
خُلِقَ اللثام ، وانحصر أخاك النصيحة حسنة كانت أوقبيحة ، وزُلْ معه حيث
زال » .

(١) السليطة : أى البديهة اللسان التى تكثر من قول السوء .

وأنشدني الكريزي :

قل : للنصح الذي أهدى نصيحته
النصح ليس له حدٌّ فتعرفه
حتى إذا صرَّحتُ عنَّا عواقبه
لو كان للنصح حدٌّ يُستبان به
لكن له سُبُلٌ شتى مخالفة
والناس غاوٍ ، وذو رشد ، ومختلط
سِرًّا إلينا ، وسامته التكليفُ
والنصح مستوحش منه ومألوف
كانت لنا عِظَةٌ منه وتعنيف
ما نالنا حَسْرَةَ منه وتلief
بعضٌ لبعض ، فجهول ومعرف
والنصح ممضًى ، ومردود وموقوف
قال أبو حاتم رضى الله عنه : خير الإخوان أشدهم مبالغة في النصيحة ، كما
أن خير الأعمال أحدها عاقبة ، وأحسنها إخلاصا ، وضرب الناصح خير من
تحية الشائء .

ويجب أن يكون للعاقل نصيحة مبذولة للامة مكتوما من العام والخاص ما قدر
عليه ، وليس الناصح بأولى بالنصيحة من المنصوح له .

وأبانا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن القاسم
التيبي ، حدثني أبي قال « لما قدم على الكوفة لقيه المغيرة بن شعبة ، فقال له :
إني أشير عليك برأى فاقبله ، قال : هات ، قال : أقر معاوية على الشام ، يسمح
لك طاعته ، فإن أهل الشام قد ذاقوه فاستعذبوه ، ووليمهم عشرين سنة لم يعبوا
عليه ، ولم يعبوه في عرض ولا مال ، فقال : والله لو سألتى قرية ما وليته إياها ،
قال : فقال المغيرة : أراه سبلى أرضين وقريات »

أبانا محمد بن المهاجر ، حدثنا ابن أبي شيبة ، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ،
حدثنا ابن المبارك عن معمر عن يحيى بن المختار عن الحسن قال « المؤمن شعبة من
المؤمن ، وهو مرآة أخيه ، إن رأى منه ما لا يعجبه سدَّده وقومته ونصحه السر
والعلانية » وأنشدني على بن محمد البسامي :

أمنتُ على السر امرءا غير حازم ولكنه في النصح غير مريب

فَذَاعَ بِهِ فِي النَّاسِ ، حَتَّى كَانُوا بَعْلِيَاءَ نَارٍ أَوْقَدَتْ بِتَقْوَبِ
فَمَا كُلُّ ذِي لَبٍ بِمُؤْتِيكَ نُصْحَهُ وَمَا كُلُّ مُؤْتٍ نَصْحَهُ بِلَيْبِ
وَلَسْكَنٍ إِذَا مَا اسْتَجْمَعَا عِنْدَ وَاحِدٍ فَحَقَّ لَهُ مِنْ طَاعَةِ بِنَصِيبِ

سمعت محمد بن نصر بن نوفل المروزي يقول : سمعت أبا داود السنجي
يقول : سمعت ابن الأعرابي يقول : قال بعض الحكماء « اثنان ظالمان : رجل
أهديت له النصيحة فاتخذها ذنبا ، ورجل وسع له في مكان ضيق فجلس متربعا »
قال أبو حاتم رضى الله عنه : النصيحة محاطة بالتهمة ، وليست النصيحة إلا
لمن قبلها ، كما أن الدنيا ليست إلا لمن تركها ، ولا الآخرة إلا لمن طلبها ، وليس
على كل ذي نصيح إلا الجهد ، ولو لم يقبل من نصيحائه ما يثقل عليه لم يحمد غيب
رأيه ، ومشاورة الأعمى أحمد من الناصح المعرض عنه ، ومن بدل نصيحة لمن
لا يشكر كان كالباذر في السباح ، وأكثر ما يوجد ترك قبول النصيحة من المعجب
برأيه ، وأنشدني الأبرش :

إِذَا نَصَحْتَ لَدُنِي عَجَبٌ لَتَرْتَدَّهُ فَلَمْ يَطْعَكَ ، فَلَا تَنْصَحْ لَهُ أَبَدًا
فَإِنْ ذَا الْعَجَبِ لَا يَعْطِيكَ طَاعَتَهُ وَلَا يَجِيبُ إِلَى إِرْشَادِهِ أَحَدًا
وَمَا عَلَيْكَ ، وَإِنْ غَاوِ غَوَى حَقْبًا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ قُرْبَى ، أَوْ يَكُنْ وِلْدًا
قال أبو حاتم رضى الله عنه : النصيحة تجب على الناس كافة على ما ذكرنا
قبل ، ولكن إبدائها لا يجب إلا سرا ؛ لأن من وعظ أخاه علانية فقد شانه ،
ومن وعظه سرا فقد زانه ، فابلاغ المجهود للمسلم فيما يزين أخاه أخرى من القصد
فيما يشينه .

ولقد أنبأنا محمد بن عثمان العقبى ، حدثنا الرمادى ، حدثنا على بن المديني ،
حدثنا سفيان قال : قلت لِمَسْعَرٍ « تحب أن يخبرك رجل بعيوبك ؟ قال : أما أن
يجىء إنسان فيؤبِّخنى بها فلا ، وأما أن يجىء ناصح فنعم » .

أخبرنا محمد بن أبي علي الخلابي ، حدثنا محمد بن المغيرة النوفلي حدثنا محمد بن

على الشقيق حدثنا أبي عن ابن المبارك قال « كان الرجل إذا رأى من أخيه ما يكره أمره في ستر، ونهاه في ستر، فيؤجر في ستره، ويؤجر في نهيه، فأما اليوم فإذا رأى أحد من أحد ما يكره استغضب أخاه، وهتك ستره »

أخبرنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا محمد بن منصور حدثني علي بن المديني عن سفيان قال : جاء طلحة إلى عبد الجبار بن وائل - وعنده قوم - فسارّه بشيء ، ثم انصرف ، فقال : أندرون ما قال لي ؟ قال : رأيتك التفتّ أمس وأنت تصلي » قال أبو حاتم رضي الله عنه : النصيحة إذا كانت على نعت ما وصفنا تقيم الألفة ، وتؤدى حق الأخوة .

وعلامه الناصح إذا أراد زينة المنصوح له أن ينصحه سراً ، وعلامة من أراد شينه أن ينصحه علانية ، فليحذر العاقل نصحه الأعداء في السر والعلانية .

ولقد أنشدني ابن زنجي البغدادي :

فكم من عدو مُعلنٍ لك نصحه
وكم من صديقٍ مرشدٍ قد عصيته
وما الأمر إلا بالعواقب ؛ إنها
سيبدو عليها كل سر وذائع

وأنشدني منصور بن محمد الكريزي :

وصاحبٍ غيرٍ مأمونٍ غوائله
على خلاف الذي يُبدي ويظهره
عفوت عنه انتظاراً أن يشوب له
دهراً فلما بدا لي أن شيمته
تركته ترك قال لارجوع له
إلى مودته ما حنت الإبل (١)

أخبرنا عبد الله بن محمد القيراطي حدثنا محمد بن يزيد الملقب يحمش حدثنا يعلى بن عبيد حدثنا أبو حيان عن أبيه قال : كتب الربيع بن خيثم وصية :

(١) الإبل : لا تترك الجنين ، فهذه كناية عن دوام تركه إياه .

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أوصى به الربيع بن خيثم ، وأشهد عليه وكفى بالله شهيداً وجازياً لعباده الصالحين مثيباً ، إني رضيت بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ، وأن يعبد الله ^(١) من أطاعني في العابدين ويحمدّه في الحامدين ، وينصح جماعة المسلمين » .

وصية الخطاب بن المعلى المخزومي ابنه

أخبرني محمد بن المنذر بن سعيد حدثنا أبو حاتم محمد بن إدريس الحنظلي حدثني عبد الرحمن بن أبي عطية الحمصي عن الخطاب بن المعلى المخزومي القرشي أنه وعظ ابنه فقال « يا بني ، عليك بتقوى الله وطاعته ، وتجنب محارمِه باتباع سنته ومعامله حتى تصح عيوبك ، وتقر عينك ، فإنها لا تخفى على الله خافية ، وإني قد وسمت لك سما ، ووضعت لك رسماً ، إن أنت حفظته ووعيته وعملت به ملأت أعين الملوك ، وانقاد لك به الصلوك ، ولم تزل مرتجياً مشرفاً محتاج إليك ، ويرغب إلى ما في يديك ، فأطع أباك ، واقتصر على وصية أبيك ، وفرغ لذلك ذهنك ، واشغل به قلبك ولبّك ، وإياك وهذر الكلام ، وكثرة الضحك والمزاح ، ومهازلة الإخوان ، فإن ذلك يذهب البهاء ، ويوقع الشحنة ، وعليك بالرزانة والتوقر ، من غير كبر يوصف منك ، ولا خيلاء تحكى عنك ، والق صديقك وعدوك بوجه الرضى ، وكف الأذى ، من غير ذلة لهم ولا هيبة منهم ، وكن في جميع أمورك في أوسطها ؛ فإن خير الأمور أوسطها ، وقلل الكلام ، وأفش السلام وامش متمكناً قصداً ، ولا تخطّ برجلك ، ولا تسحب ذيلك ، ولا تلو عُنُقك ، ولا ردائك ، ولا تنظر في عطفك ، ولا تكثر الالتفات ، ولا تقف على الجماعات ، ولا تتخذ السوق مجلساً ، ولا الحوانيت متحدثاً ، ولا تكثر المراء ، ولا تنازع السفهاء ، فإن تكلمت فاختصر ، وإن مزحت فاقصر ، وإذا جلست فترجع ، وتحفظ من تشبيك أصابعك وتفقيعها ، والعَبث بلحيتك وحاتمك ، وذوابة سيفك

(١) في الأضل « وأن يعبد الله ومن أطاعني » والواو مقحمة .

وتخليل أسنانك ، وإدخال يدك في أنفك ، وكثرة طرد الذباب عنك ، وكثرة التثاؤب والتمطى ، وأشبه ذلك مما يستخفه الناس منك ، ويعتمزون به فيك .
وليكن مجلسك هادياً ، وحديثك مقسوماً ، وأصغ إلى الكلام الحسن ممن حدثك ، بغير إظهار عجب منك ، ولا مسألة إعادة ، وغض عن الفكاهات من المضحك والحكايات ، ولا تحدث عن إعجابك بولدك ، ولا جاريتك ، ولا عن فرسك ، ولا عن سيفك ، وإياك وأحاديث الرويا ، فإنك إن أظهرت عجباً بشيء منها طمع فيها السفهاء ، فولدوا لك الأحلام ، واغتمزوا في عقلك ، ولا تصنع تصنع المرأة ، ولا تبدل تبدل العبد ، ولا تهلب^(١) لحيتك ولا تبطنها ، وتوق كثرة الحف ، وتنف الشيب ، وكثرة الكحل ، والإسراف في الدهن ، وليكن كحكك غيباً ، ولا تلح في الحاجات ، ولا تشع في الطلبات ، ولا تعلم أهلك وولدك - فضلاً عن غيرهم - عدد مالك ، فإنهم إن رأوه قليلاً هنت عليهم ، وإن كان كثيراً لم تبلغ به رضاهم ، وأخفهم في غير عنف ، وإن لهم في غير ضعف ، ولا تهازل أمتك ، وإذا خاصمت فتوقر ، وتحفظ من جهلك ، وتجنب عن عجلتك ، وتفسكر في حجتك ، وأر الحاكم شيئاً من حملك ، ولا تكثر الإشارة بيدك ، ولا تحفز على ركبتك ، وتوق حمرة الوجه ، وعرق الجبين وإن سقه عليك فاحلم ، وإذا هدا غضبك فتكلم ، وأكرم عرضك ، وألق الفضول عنك ، وإن قربك سلطان فكن منه على حد السنان ، وإن استرسل إليك فلا تأمن من انقلابه عليك ، وارفق به رفقك بالصبي ، وكله بما يشتهي ، ولا يحملنك ما ترى من إطفاه إياك ، وخاصته بك : أن تدخل بينه وبين أحد من ولده وأهله وحشمه ، وإن كان لذلك منك مستمعاً ، وللقول منك مطيعاً ، فإن سقطة الداخل بين الملك وأهله صرعة لا تنهض ، وزلة لا تقال ، وإذا وعدت

(١) هلب الشعر: تنف ما غلظ منه ، وتبطين اللحية : أن لا يؤخذ مما تحث الذقن

ففق ، وإذا حدثت فاصدق ، ولا تجهر بمنطقك كمنزاع الأسم ، ولا تخافت به
كتخافت الأخرس ، وتخبر محاسن القول بالحديث المقبول ، وإذا حدثت بسماع
فانسبه إلى أهله ، وإياك الأحاديث العابرة المشنعة التي تنكرها القلوب ، وتقف
لها الجلود^(١) ، وإياك ومضعف الكلام مثل : نعم ، نعم ، ولا ، لا ، وعجل ، عجل ،
وما أشبه ذلك ، وإذا توضأت فأجد عرك كفيك ، وليكن وضعك الحرض^(٢)
من الأسنان في فيك كفعلك بالسواك ، ولا تنخع في الطست ، وليكن طرحك
الماء من فيك مترسلا ، ولا تمحج فتنضح على أقرب جلسائك ، ولا تعض نصف
اللقمة ، ثم تعيد ما بقي منها منصبغا ، فإن ذلك مكروه ، ولا تكثر الاستسقاء على
مائدة الملك ، ولا تعبت بالمشاش^(٣) ، ولا تعب شيئا مما يقرب إليك على مائدة
بقلة خل أو تابل أو غسل ، فإن السحابة قدصيرت لنفسها مهابة ، ولا تمسك إمساك
النبور ، ولا تبذر تبذير السفية المغرور ، واعرف في مالك واجب الحقوق ، وحرمة
الصديق ، واستغن عن الناس يحتاجوا إليك ، واعلم أن الجشع يدعو إلى الطبع ،
والرغبة كما قيل تدق الرقبة ، ورب أكلة تمنع أكالات ، والتعفف مال جسيم ،
وخلق كريم ، ومعرفة الرجل قدره ، تشرف ذكره ، ومن تعدى القدر ، هوى
في بعيد القعر ، والصدق زين ، والكذب شين ، وأصدق يسرع عطب صاحبه
أحسن عاقبة من كذب يسلم عليه قائله ، ومعاداة الحلیم خير من مصادقة الأحمق ،
ولزوم الكريم على الهوان خير من صحبة اللئيم على الإحسان ، ولقرب ملك
جواده ، خير من مجاورة بحر طراد ، وزوجة السوء الداء العضال ونكاح العجوز
يذهب بماء الوجه ، وطاعة النساء تزرى بالعقلاء .

تشه بأهل العقل تكن منهم ، وتصنع للشرف تدرکه .

(١) تقف لها الجلود : تقشعر .

(٢) الحرض - بزنة قفل أو عنق - الأسنان تغسل به الأيدي إثر الطعام .

(٣) المشاش - بزنة غراب - العظم الذي لا مخ فيه .

واعلم أن كل امرئ حيث وضع نفسه ، وإنما ينسب الصانع إلى صناعته ،
والمرء يعرف بقريته ، وإياك وإخوان السوء فإنهم يخونون من راقهم ، ويمخزون
من صادقهم ، وقرّبهم أعدى من الجرب ، ورفضهم من استكمال الأدب ،
واستخفاف المستجير لؤم والعجلة شؤم ، وسوء التدبير وهن .

والإخوان اثنان : فحافظ عليك عند البلاء ، وصديق لك في الرخاء ،
فاحفظ صديق البلاء وتجنب صديق العافية ، فإنهم أعدى الأعداء .

ومن اتبع الهوى ، مال به الردى ، ولا يعجبك الجهم من الرجال ، ولا تحقر
ضئيلاً كالخلخال^(١) فإنما المرء بأصغريه : قلبه ولسانه ، ولا ينتفع به بأكثر من
أصغريه .

وتوق الفساد ، وإن كنت في بلاد الأعدى ، ولا تفرش عرضك لمن
دونك ، ولا تجعل مالك أكرم عليك من عرضك ، ولا تكثر الكلام فتنتقل
على الأقوام وامنح البشر جليساك ، والقبول ممن لا فاك .

وإياك وكثرة التبريق والتزليق ، فإن ظاهر ذلك ينسب إلى التأنيث وإياك
والتصنع لمغازلة النساء ، وكن متقرباً ، متعزلاً ، متمهزلاً في فرصتك ، رقيقاً في
حاجتك ، مثبّتاً في حملتك ، والبس لكل دهر ثيابه ، ومع كل قوم شكلهم .
واحذر ما يلزمك اللائمة في آخرتك ، ولا تعجل في أمر حتى تنظر في عاقبته ،
ولا ترد حتى ترى وجه المصدر .

وعليك بالنورة في كل شهر مرة ، وإياك وحلاق الإبط بالنورة ، وليكن
السواك من طبيعتك ، وإذا استكّت فعرضاً ، وعليك بالعمارة ، فإنها
أنفع التجارة ، وعلاج الزرع خير من اقتناء الضرع ، ومنازعتك اللئيم
تطمعه فيك ، ومن أكرم عرضه أكرمه الناس ، وذم الجاهل إياك أفضل

(١) الخلال - بكسر الحاء ، بزة الكتاب العود الذي تخلل به الأسنان ،

يريد الرجل ، التحيف البالغ التحافة .

من ثنائه عليك ، ومعرفة الحق من أخلاق الصدق ، والرفيق الصالح ابن عم ، ومن
أيسر أكبر ، ومن افتقر احتقر ، قصر في المقالة ، مخافة الإجابة ، والساعي إليك
غالب عليك ، وطول السفر ملالة وكثرة المنى ضلالة ، وليس للغائب صديق ،
ولا على الميت شفيق ، وأدب الشيخ عناء ، وتأديب الغلام شقاء ، والفاحش
أمير ، والوقاح ^(١) وزير ، والحليم مطية الأحق ، والحمق داء لاشفاء له والحلم خير
وزير ، والدين أزين الأمور ، والسماجة سفاهة ، والسكران شيطان ، وكلامه
هذيان ، والشعر من السحر والتهدد هجر ، والشخ شقاء ، والشجاعة بقاء ، والهدية
من الأخلاق السرية ، وهي تورث المحبة ، ومن ابتدأ المعروف صار ديناً ، ومن
المعروف ابتداء من غير مسألة ، وصاحب الرياء يرجع إلى السخاء ، ولرياء بخير
خير من معالنة بشر ، والعرق نزع ، والعادة طبيعة لازمة : إن خير فخير ، وإن
شراً فشر ، ومن حل عقداً احتمل حقداً ، ومراجعة السلطان خُزق بالإنسان ،
والفرار عار ، والتقدم مخاطرة ، وأعجل منفعة يسار في دعة ، وكثرة العلل
من البخل ، وشر الرجال ، الكثير الاعتلال وحسن اللقاء ، يذهب بالشحناء ،
ولين الكلام ، من أخلاق الكرام .

يا بني ، إن زوجة الرجل سَكَنه ، ولا عيش له مع خلافها ، فإذا هممت
بنكاح امرأة فسل عن أهلها ، فإن العروق الطيبة تنبت الثمار الحلوة .

واعلم أن النساء أشد اختلافاً من أصابع الكف ، فتوقَّ منهن كل ذات
بداً مجبولة على الأذى ، فمنهن المعجبة بنفسها ، المزرية ببعْلِها ، إن أكرمها
رأته لفضلها عليه ، لا تشكر على جميل ، ولا ترضى منه بقليل ، لسانها عليه سيف
صقيل ، قد كشفت القحَّةُ ستر الحياء عن وجهها ، فلا تستحي من إعوارها ،
ولا تستحي من جاراها ، كلبة هرارة ، مهارشة عقَّارة ^(٢) ، فوجه زوجها مكبوم ،

(١) الوقاح - يفتح الواو - الوصف من الوقاحة ، وهي الإفراط في سوء الأدب

(٢) هر الكلب هريراً : نبح ، وعقارة : تعقر صاحبها كما يعقر الكلب .

وعرضه مشتوم ، ولا ترعى عليه لدين ولا الدنيا ، ولا تحفظه لصحبة ولا لكثرة بنين ، حجاباه مهتوك ، وستره منشور ، وخيره مدفون ، يصبح كثيبا ، ويمسى عاتبا ، شرابه مر ، وطعامه غيظ ، وولده ضياع ، وبيته مستهك ، وثوبه وسخ ، ورأسه شعث ، إن ضحك فواهن ، وإن تكلم فمتكاه ، نهاره ليل ، وليله ويل ، تلدغه مثل الحية العقارة ، وتلسعُه مثل العقرب الجرارة .

ومنهن شفشليق شعشع سلفع^(١) ، ذات سم منقع ، وإبراق واختلاق ، تهب مع الرياح ، وتطير مع كل ذى جناح ، إن قال : لا ، قالت : نعم ، وإن قال : نعم ، قالت : لا ، مولدة لخازيه ، محترقة لما فى يديه ، تضرب له الأمثال ، وتقصر به دون الرجال ، وتنقله من حال إلى حال ، حتى قلا بيته ، ومَلَّ ولده ، وغثَّ عيشه ، وهانت عليه نفسه ، وحتى أنكره إخوانه ورحمه جيرانه .

ومنهن الورهاء الحقاء^(٢) : ذات الدَّل فى غير موضعها ، الماضغة للسامها ، الآخذة فى غير شأنها ، قد قنعت بحبه ، ورضيت بكسبه ، تأكل كالحمار الراجع ، تنتشر الشمس ولما يُسمع لها صوت ، ولم يكنس لها بيت ، طعامها بائت ، وإناؤها وضر^(٣) ، وعجينها حامض ، وماؤها فاتر ، ومتاعها مزروع ، وماعونها ممنوع ، وخادمها مضروب ، وجارها محروب .

ومنهن العطوف الودود ، المباركة الولود ، المأمونة على غيبها ، المحبوبة فى جيرانها ، المحمودة فى سرها وإعلانها ، الكريمة التبعيل ، الكثيرة التفضل ، الخافضة صوتا ، النظيفة بيتا ، خادمها مسمن ، وابنها مزين ، وخيرها دائم ، وزوجها ناعم ، موموقة مألوفة ، وبالغاف والخيرات موصوفة .

(١) الشفشليق : العجوز المسترخية ، والشعشع : الطويلة ، والسلفع : الصحابة البديئة السيئة الخلق ، والسّم المنقع : المرين .

(٢) الورهاء : الحقاء ، وأصله قولهم « سحابة ورهاء » أى كثيرة المطر

(٣) الوضر - بفتح الواو والضاد - بقية الدسم والدهن فى الإناء ، والوضر - بكسر الضاد - الوصف منه .

جعلك الله يا بنى من يقتدى بالهدى ، ويأتى بالتقى ، ويمتنب السخط ،
ويحب الرضى .

والله خليفتي عليك ، والمتولى لأمرك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ،
وصلى الله على محمد نبي الهدى وعلى آله وسلم تسليما كثيرا .

ذكر الزجر عن تهاجر المسلمين كافة

حدثنا أبو يعلى الموصلى حدثنا وهب بن بقية الواسطى حدثنا خالد بن عبد الله
عن عبد الرحمن بن إسحاق عن الزهري عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « لا تباغضوا ، ولا تنافسوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تدابروا ، وكونوا
عباد الله إخوانا » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يحل التباغض ولا التنافس ولا التحاسد
ولا التدابر بين المسلمين ، والواجب عليهم أن يكونوا إخوانا كما أمرهم الله ورسوله
فإذا تألم واحد منهم تألم الآخر بألمه ، وإذا فرح فرح الآخر بفرحه ، ينفى الغش
والدغل ، مع استسلام الأفسس لله عز وجل ، مع الرضا بما يوجب القضاء
في الأحكام كلها ، ولا يجب الهجران بين المسلمین عند وجود زلة من أحدهما ،
بل يجب عليهما صرفها إلى الإحسان والعطف عليه بالإشفاق ، وترك الهجران .

ولقد حدثني محمد بن المهاجر حدثني موسى بن محمد الأخبارى عن النخعي
حدثني محمد بن يحيى النكتاني قال : أنشدني أبو غزية لمعاوية بن عبد الله بن جعفر :

لا يُرْهِدَنَّكَ فِي أَخٍ لَكَ أَنْ تَرَاهُ زَلَّ زَلَّهُ

وَالرُّءُ يُطْرَحُهُ الَّذِيْنَ يَلُونَهُ فِي شَرِّ آلِهِ ^(١)

ويخونه من مَأْمَنٍ أَهْلِ الْبَطَانَةِ وَالِدَخْلَةِ ^(٢)

(١) « الألة » بفتح الهمزة - أصله الحربة والسلاح ، وأراد في شر موضع
(٢) « الدخلة » الدخيلة وباطن الأمر ، وأصلها بسكون الحاء فأتبع حركتها
حركة الدال .

والموت أعظم حادث مما يمر على الجبيلة

أنشدني محمد بن الحسن بن قتيبة أنشدني حميد بن عياش :

ولا تك في حب الأخلاء مفرطاً فإن أنت أهنضت البغيض فأجل
فإنك لا تدري متى أنت مبغض حبيبتك أو تهوى البغيض فأعقل
وأنشدني عمرو بن محمد بن عبد الله النسوي لثعلب :

وما صدودُ ذوات الدلِّ يرُمنُني لكنما الموت عندي صدُّ إخواني
إني لأضبرُ من عودِ به جُلبِ عند الملتاتِ إلا عند هجران^(١)
إذا رأيت ازورارا من أخى ثقة ضاقت على برحب الأرض أوطاني
وأنشدني الأبرش :

أبلُ الرجال إذا أردت إخاءهم وتوسمنَ أمورهم وتفقد
فإذا ظفرت بذى اللبابة والتقى فبه اليدين قريرَ عينٍ فاشدُ
فمتي يزَلَّ ، ولا محالة ، زلةً فعلى أخيك بفضل حلك فاردد
وإذا الخنى نقض الحُبِّي في مجلس ورأيت أهل الطيش قاموا فاقعد

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يجب للمرء أن يدخل في جملة العوام والهمج
ياحداث الود لإخوانه ، وتكديره لهم بالخروج بالسبب الذى يؤدى إلى الهجران
الذى نهى المصطفى صلى الله عليه وسلم عنه بينهم ، بل يقصد قصده الإغضاء عن
ورود الزلات ، ويتحرى ترك المناقشة على الهفوات ، ولا سيما إذا قيل فى أحدهم
الشيء الذى يحتمل أن يكون حقاً وباطلاً معاً ، فإن الناس ليس يخلو وصلهم من
رشق أسهم العذال فيه .

ولقد سمعت محمد بن عثمان العقبى يقول : سمعت عبد العزيز بن عبد الله يقول :

قال محمد بن حميد :

ومن ذا من غيوبِ الناسِ ناجٍ بحقِّ قيل فيه ، أو قراف^(٢)

(١) العود — بالفتح — الجمل المسن ، والجلب : القروح

(٢) أقرفه بكذا وقرفه : أتهمه .

قبيح بي إذا خالتُ خلا ولازم خلتي أن لا أكاف
وكلُّ مودة لا خير فيها إذا لم تحتمل حقَّ المصافي
فأما في الكلام فكم وفي ولكن في الشدائد لا يوافي
إذا أحببتُ لم أنقض إخائي ولم أن الإخاء على اعتساف
ولكن أمنحُ الكرماءُ ودًّا ولا أدعو اللثام إلى العطف
متى تقطعُ صديقك بعد وصل ولا تثبت ، فعهدك غير واف
إذا مالرء أدبر لم تُطقه وصار المستقيم إلى خلاف

سمعت محمد بن المنذر يقول : سمعت محمد بن عبد الرحمن يقول : سمعت أبا عمار
الحسين بن حريث يقول : قيل لرجل : ألك عيوب ؟ قال : لا ، قيل له : فلك
من يلتمسها ؟ قال : نعم ، قال : فما أكثر عيوبك ! .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : السبب المؤدى إلى الهجران بين المسلمين ثلاثة
أشياء : إما وجود الزلة من أخيه - ولا محالة يزل - فلا يغضى عنها ولا يطلب لها
ضدها ، وإبلاغ واشٍ يقدح فيه ، ومشى عاذل بثلب له فيقبله ولا يطلب لتكذيبه
سبباً ولا لأخيه عذراً ، وورود ملل يدخل على أحدهما ، فإن الملامة تورث القطع
ولا يكون للول صديق .

ولقد أخبرني محمد بن أبي على الخلابى ، حدثنا محمد بن إبراهيم اليعمرى
حدثني عبد الرحمن بن إبراهيم الأصبهاني أنشدني بعض أهل الأدب :

إِنَّ الملوَّةَ ودُّهُ مثل السراب يذم وردُّهُ
أو كالسحاب الزائد البراق لم يصدقك وعدُّهُ
أو كالحسام هزرتَه عند الضراب فكَلَّ حدهُ (١)
لا تقبلنَّ إخاءه فوعيده كذبٌ ووعده
بيننا يودك رأى عينك إذ بدالك منه صده

(١) كل حده : ضعف .

وتغيرت أخلاقه وأزوراً ، حتى مال خده

أبنا محمد بن يعقوب الخطيب بالأهواز حدثنا معمر بن سهل حدثنا إبراهيم
ابن بشار عن سفیان قال : كان لابن شُبْرُمَةَ أخٌ فجفاه ، فكتب إليه :

كلانا غنى عن أخيه حياته ونحن إذا متنا أشد تغانيا

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه المسلم فوق ثلاثة
أيام : فمن فعل ذلك كان مرتكباً لنهى النبي صلى الله عليه وسلم ، وخيرها الذى
يبدأ بالسلام ، والسابق بالسلام يكون السابق إلى الجنة ، ومن هجر أخاه سنة
كان كسفك دمه ، ومن مات وهو مهاجر أخاه دخل النار ، إن لم يتفضل الله
عليه بعفو منه ورحمة ، وغاية ما أبيض من الهجران بين المسلمين ثلاثة أيام .

ولقد أنشدنى عبيد الله بن محمد الأعماطى قال : أنشدنى محمد بن الحسن :

ياسيدى عندك لى مظلمة فاستفت فيها ابن أبى خيثمه

فإنه يرويه عن شيخه قال : روى الضحاك عن عكرمه

عن ابن عباس عن المصطفى نبينا المبعوث بالمرحمة

إن صدود الخلل عن خله فوق ثلاث ربنا حرمه (١)

وأنشدنى محمد بن شاه الأبيوردى بالموصل :

ماودنى أحد إلا بذلت له صفو المودة منى آخر الأبد

ولا جفانى وإن كنت المحب له إلا دعوت له الرحمن بالرشد

ولا ائتمنت سرفبحت به ولا مددت إلى غير الجميل يدى

ولا أخون خليلى فى خليلته حتى أغيب فى الأكفان والحمد

أبنا محمد بن المهاجر حدثنا أحمد بن عبد الله بن شجاع حدثنا محمد بن سماعة ،

(١) وفى غير الأصل بعد الأيات .

قال : جئت يوما إلى أبي على المصرى أسلم عليه ، قال : فبشَّ بي واحتملني في حَجْرِهِ ، ثم قال :

حسبي بوصلك في حياتي لذة ورضيتُ في ذاك المعاد ثوابا .
لو كنتَ رزقي ماأردت زيادة وقلقتُ : أحسنَ خالقي وأطابا

ذكر الحث على لزوم الحلم عند الأذى

أبنا محمد بن الحسن بن قتيبة حدثنا يزيد بن خالد بن موهب الرملي حدثنا ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا حلِيم إلا ذو عَثْرَةٍ ، ولا حلِيم إلا ذو تجرِبَةٍ » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : هذا الخبر في الضرب الذى ذكرت في كتاب فصول السنن بأن العرب تُضيف الاسم إلى الشيء للقرب من التمام ، وتنفي الاسم عن الشيء للنقص من الكمال ، فلما كان الغالب على المرء أن لا يكون حلِيمًا حتى يكون ذا عَثْرَةٍ نفي النبي صلى الله عليه وسلم اسم الحلِيمِ عن من لم يكن بذى عَثْرَةٍ ، لنقصه عن الكمال .

فالحلِيمُ عظيم الشأن ، رفيع المكان ، محمود الأمر ، مرضى الفعل .
والحلم : اسم يقع على زَمِّ النفس عن الخروج عند الورود عليها ضد ما تحب إلى ماهى عنه .

فالحلم يشتمل على المعرفة والصبر والأناة والتثبت ، ولم يقرن شيء إلى شيء أحسنَ من عفو إلى مقدره .

والحلم أجمل ما يكون من المقتدر على الانتقام .
ولقد حدثنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي ببغداد حدثنا يحيى ابن معين قال : حدثنا الحسن بن واقع عن ضمرة قال : « الحلم أرفع من العقل ؛ لأن الله تبارك وتعالى تسمى به » .

وأُشْدِنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَنْجِيٍّ الْبَغْدَادِيَّ :

ألم تر أنَّ الحلمَ زَيْنٌ مُسَوِّدٌ لصاحبه والجهلَ للمرءِ شائنٌ

فكن دافئاً للشرب بالخير تسترحُ من الهم ، إن الخير للشردافن

وأُشْدِنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ حَبِيبِ الْوَاسِطِيِّ :

إذا شئت يوماً أن تسود عشيروهُ فبالحلمِ سُدُّهُ ، لا بالتسرع والشم
وللحلمِ خيرٌ - فاعلمن - مَقْبَةٌ من الجهل ، إلا أن تشرسنَّ من الظلم^(١)

وأُشْدِنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ الْبَسَامِيِّ :

فَارْضَ بِمَا حُمَّ مِنْ قَضَاءِ يُصِيبُكَ مِنْ ذَلِكَ الْخِيَارِ
وَعِشْ حَمِيداً ، رَحِيَّ بِالْ مَارَانِكَ الْحَلْمُ وَالْوَقَارُ

قال أبو حاتم رضي الله عنه : إن من نفاسة اسم « الحلم » وارتفاع قدره ، أن الله جل وعلا تسمى به ، ثم لم يُسَمَّ بالحلم في كتابه أحداً إلا إبراهيم خليله وإسحاق ذبيحه ، حيث قال : (٩ : ١١٤ إن إبراهيم لأواه حليم) وقال :

(٣٧ : ١٠١ فبشرناه بغلام حليم)^(٢)

ولو لم يكن في الحلم خصلة محمد إلا ترك اكتساب المعاصي ، والدخول في المواضع الدنسة لكان الواجب على العاقل أن لا يفارق الحلم ما وجد إلى استعماله سيلا .

والحلم : سَجِيَّةٌ ، أو تجرِبَةٌ ، أو هما .

(١) يعني أن الظالم المعتدى لا يناسب الحلم معه ، فلا ينبغي أن يعامل إلا بالشراسة التي تردعه .

(٢) هذه الآية من سورة الصافات ، والسياق فيها واضح جداً بأنه إسماعيل ، فإنه سبحانه وتعالى بعد أن ساق قصة الذبيح وصره وأبيه ورضاهما التام عن ربهما وأمره ونجاحهما في هذا البلاء العظيم قال تعالى (٣٧ : ١٠٩ - ١١٣ سلام على إبراهيم ، كذلك نحزى المحسنين ، إنه من عبادنا المؤمنين ، وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين ، وباركنا عليه وعلى إسحاق ، ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين) =

حدثنا أبو حمزة محمد بن عمر بن يوسف حدثنا عند الله بن سعيد الكندي
حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه قال : سمعت معاوية بن أبي سفيان
يقول « لا حلم إلا بالتجربة » .

وأشدني المنتصر بن بلال الأنصاري :

صافِ الصديق بؤده وإذا دنا شبراً فزده
واحلم إذا نطق السفية ، فن يزد جهلاً يجده
أنبأنا محمد بن علي الصيرفي بالبصرة حدثنا ابن أبي الشوارب حدثنا أبو عوانة
عن عبد الملك بن عمير عن رجاء بن حيوة عن أبي الدرداء قال « إنما العلم بالتعلم ،
وإنما الحلم بالتعلم ، ومن يتوخ الخير يُعطه ، ومن يتوق الشر يُوقه » .
وأشدني الكريزي :

إذا أنا كافت الجهول بفعله فهل أنا إلا مثله إذ أحاوره ؟
ولكن إذا ما طاش بالجهل طائش على ، فإني بالتعلم قاهره
أنبأنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار حدثنا يحيى بن معين حدثنا عثمان
ابن صالح حدثنا ابن وهب عن عمرو بن الحارث ، أن رجلاً كتب إلى أخ له :
اعلم أن الحلم لباس العلم فلا تعريّن منه .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : العاقل يلزم الحلم عن الناس كافة ، فإن صعب
ذلك عليه فليتحالم ؛ لأنه يرتقى به إلى درجة الحلم .

وأول الحلم : المعرفة ، ثم التثبت ، ثم العزم ، ثم التصبر ، ثم الصبر ، ثم
الرضا ، ثم الصمت والإغضاء ، وما الفضل إلا للمحسن إلى المسيء ، فأما من
أحسن إلى المحسن ، وحلم عن لم يؤذه ؛ فليس ذلك بحلم ، ولا إحسان .

= والعجب العاجب أن يخفى هذا على ابن حبان وغيره حتى يقولوا : إن النبي
إسحاق ، مقلدين في ذلك من غير بيان حجة ، ثم غافلين عن النصوص القرآنية الصريحة ،
وبالأخص في هذه السورة بهذا السياق البين .

ولقد أنبأنا محمد بن عثمان العقبى حدثنا إسحاق بن زكريا حدثنا عبد الصمد ابن حسان حدثنا أبو عمر المازني عن وهب بن منبه أنه قال : يابني لاتجادلن العلماء قهون عليهم فيرفضوك ، ولا تمارين السفهاء فيجهلوا عليك ويشتموك ، فإنه يلحق بالعلماء من صبر ورأى رأيهم ، وينجو من السفهاء من صمت وسكت عنهم ، ولا تحسبن أنك إذا ماريت الفقيه إلا زدته غيظاً دائماً ، ولا تحمين من قليل تسمعه فيوقعك في كثير تكرهه ، ولا تفضح نفسك لتشفى غيظك ، فإن جهل عليك جاهل فلينفعن إياك حامك ، وإنك إذا لم تحسن حتى يحسن إليك فما أجرمك ، وما فضلك على غيرك ؟ فإذا أردت الفضيلة فأحسن إلى من أساء إليك ، واعف عن ظلمك ، وانفع من لم ينفعك ، وانتظر ثواب ذلك من قبل الله ، فإن الحسنة الكاملة التي لا يريد صاحبها عليها ثواباً في الدنيا .

وأشدني محمد بن حبيب الواسطي :

إذا المرء لم يصرف عذاباً من الأذى حياء ، ولم يفر لأخرق مذنب فلم يصطنع إلا قليلاً صديقه ومن يدفع العوراء بالحلم يغلب وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

احفظ لسانك إن لقيت مشاماً لا تجريين مع اللئيم إذا جرى من يشتري عرض اللئيم بعرضه يحوى الندامة حين يقبض ما اشتري

أنبأنا إبراهيم بن نصر العبدي حدثنا علي بن الأزهر الرازي حدثنا إبراهيم ابن رستم قال : سمعت ابن المبارك يقول : دعانا عبد الله بن عون إلى طعانه ، فكنا نأكل ، فجاءت الخادم ومعها صحيفة فعثرت في ثوبها ، فسقطت الصحيفة من يدها فقال لها ابن عون : مترس آزادي (١)

حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا ابن عائشة قال : قال محمد بن

(١) معناه بالفارسية : لا تخافي ، أنت حرة .

السعدى لابنه عروة ، لما ولى اليمن : إذا غضبت فانظر إلى السماء فوقك ، وإلى الأرض تحتك ، ثم عظم خالقهما .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل ، إذا غضب واحتدَّ أن يذكر كثرة حلم الله عنه مع تواتر انتهاك محارمه وتصديه حرمانه ، ثم يحلم ، ولا يخرج غيظه إلى الدخول في أسباب المعاصي .

والناس على ضرب ثلاثة : رجل أعزُّ منك ، ورجل أنت أعزُّ منه ، ورجل ساواك في العز ؛ فالتجاهل على من أنت أعزُّ منه لؤم ، وعلى من هو أعزُّ منك جنف ، وعلى من هو مثلك هراش كهراش السكبين ، وتقار كنفار الديكين ، ولا يفترقان إلا عن الخدش والعقر والهجر ، ولا يكاد يوجد التجاهل وترك التحلم إلا من سفهين ، ولقد أحسن الذى يقول :

ماتمَّ حلمٌ ولا علمٌ بلا أدبٍ ولا تجاهلَ في قوم حليانِ
وما التجاهل إلا ثوبٌ ذى دنسٍ وليس يلبسهُ إلا سفهيانِ
وأنشدنى ابن زنجى البغدادى :

وما شئٌ أسرُّ إلى لثيمٍ إذا شتم الكرام من الجواب
متاركة اللثيم بلا جواب أشدُّ عليه من مرِّ العذاب
وأنشدنى الكريزى :

تجرد ما استطعت من السفيه بحسن الحلم ، إن العز فيه
فقد يعصى السفيه مؤديه ويبرمُ باللحاجة منصفيه^(١)
تلينُ له فيغلظ جانباه كعير السوء يرمحُ عاقيه^(٢)

أبنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا الحسن بن محمد الأزدي الكوفي . حدثنا عمر بن حفص بن غياث عن أبيه قال : كنت جالسا عند جعفر بن محمد ، ورجل

(١) أبرمه باللحاجة : أى غاظه بكثرة الماحلة والتأدى في السفه والجهل . ولج في الأمر : أوغل فيه وزاد . (٢) العير : الحمار ، ورمح : يعنى رفس .

يشكو رجلا عنده ، قال لي كذا ، وفعل لي كذا ، فقال له جعفر : من أكرمك فأكرمه ، ومن استخف بك فأكرم نفسك عنه .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : ما ضمَّ شيء إلى شيء هو أحسن من حلم إلى علم ، وما عدم شيء في شيء هو أوحش من عدم الحلم في العالم ، ولو كان للحلم أبوان لكان أحدهما العقل والآخر الصمت ، وربما يُدفع العاقل إلى الوقت بعد الوقت إلى من لا يرضيه عنه الحلم ولا يقنعه عنه الصفح ؛ فحينئذ يحتاج إلى سفيه ينتصر له ؛ لأن ترك الحلم في بعض الأوقات من الحلم .

واقعد حدثني محمد بن المنذر ، حدثنا يزيد بن عبد الصمد ، حدثنا عبد الرحمن ابن إبراهيم ، حدثنا الوليد عن سعيد بن عبد العزيز : أن رجلا استطال على سليمان بن موسى ، فسكت له سليمان وانتصر له أخوه ، قال : فقال مكحول : ذلَّ مَنْ لاسفيه له .

حدثنا عمرو بن محمد الأنصاري ، حدثنا الغلابي ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن ابن القاسم عن أبيه قال : قال أبو حنيفة لشيطان الطاق ^(١) : ما تقول في المتعة ؟ قال : حلال ، قال : فيسرك أن أمك تزوجت متعة ؟ فسكت عنه ساعة ، ثم قال يا أبا حنيفة : ما تقول في النبيذ ؟ قال : حلال ، قال : وشربه وبيعه وشراؤه ؟ قال : نعم ، قال : فيسرك أن أمك تَبَاذَة ؟ قال : فسكت عنه أبو حنيفة .

أنشدني علي بن محمد البسامي :

إذا كنت بين الحلم والجهل قاعدا وخيرت : أنى شئت ، فالحلم أفضل

ولسكن إذا أنصفت من ليس منصفاً ولم يرض منك الحلم ، فالجهل أفضل

وأنشدني محمد بن حبيب الواسطي :

إذا أمن الجهال جهلك مرة فعرضك للجهال غمٌّ من الغم

فعمَّ عليه الجهل والحلم والقه بمرتبة بين العداوة والسلام

(٣) شيطان الطاق : شاعر رافضي مشهور .

فيرجوك تارات ، ويخشاك تارة وتأخذُ فيما بين ذلك بالحزم
حدثنا محمد بن عثمان العقبى ، حدثنا يزيد بن عبد الصمد الدمشقي ، حدثنا
أبو مسهر ، حدثنا سعيد بن عبدالعزيز عن مكحول قال : لا حلم لمن لا جاهل له .
وحدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا مهدي بن سابق قال : قال
المأمون : يحسنُ بالملوك الحلم عن كل أحد ، إلا عن ثلاثة : قادح في ملك ، أو
مذيع لسر ، أو متعرض لحرمة .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الحلم على ضربين :
أحدهما : ما يرد على النفس من قضاء الله من المصائب التي امتحن الله بها عباده
فيصبر العاقل تحت ورودها ، ويحلم عن الخروج إلى ما لا يليق بأهل العقل .
والآخر : ما يرد على النفس بصد ما تشتهييه من المخلوقين ، فمن تعود الحلم فليس
بمحتاج إلى التصبر ، لاستواء العدم والوجود عنده .

كما حدثنا أبو حمزة محمد بن يوسف بن عمر بنسا ، حدثنا يعقوب بن إبراهيم
الدورقي ، حدثنا عبد الله بن صالح العجلي قال : سمعت ابن أبي عتبة يقول :
قيل للأحنف بن قيس التيمي ، ممن تعلمت الحلم ؟ قال : من قيس بن عاصم
التيمي ، أنه أت وهو محتب ، فقال : ابن أخيك قتل ابنك ! قال : عصي ربه ،
وفت عضده ، وقطع رحمه ، جهزوه ، وما حلَّ حُبوته ، فنه تعلمت الحلم .

حدثنا محمد بن شاذل الهاشمي ، حدثنا أحمد بن الخليل البغدادي ، حدثنا
علي بن الحسين بن شقيق ، أخبرنا عبد الله عن جعفر بن سليمان قال : كانت
امراة بالبصرة متعبدة تصيها المصائب ، فنكر من صبرها ، حتى أصابتها مصيبة
موجعة ، فصبرت ، فذكرت ذلك لها ، فقالت : مامن مصيبة تصيني فأذكر
معا النار إلا صارت في عيني مثل التراب .

حدثنا بكر بن أحمد بن سعيد الطاحي بالبصرة ، حدثنا عمرو بن إسحاق بن
خلاد الجهضمي ، حدثنا خالد بن خدش ، حدثنا ابن وهب عن بكر بن مضر

قال : كان أبو الهيثم مات ولده ، وبقى له بُنْيٌ صغير ، فأتته ، فأتاه إخوانه يعزونه وهو في ناحية المسجد ، فقال لهم : تركني حُزْنُ يوم القيامة لا آسى على شيء فأتني ، ولا أفرح لما أتاني .

حدثنا محمد بن إسحاق الثقفي ، حدثنا القاسم بن الحسن الزبيدي ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، قال : مات ابن لشريح ، فلم يصيحوا عليه ، ولم يشعر به أحد ، فقيل له : يا أبا آمنة ، كيف هو ؟ قال : قد سكن عَلاؤه ^(١) ورجاه أهله ، ولم يكن منذ اشتكى أسكن منه الليلة .

ذكر الحث على لزوم الرفق في أمور وكرهية العجلة فيها

حدثنا محمد بن صالح الطبري بالصيمرة ، حدثنا عبد الجبار بن العلاء العطار حدثنا سفيان بن عمرو بن دينار عن ابن أبي مليكة عن يعلى بن مملكة عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أعطى حَظَّهُ من الرفق فقد أُعطيَ حَظَّهُ من الخير ، ومن مُنِعَ حَظَّهُ من الرفق فقد مُنِعَ حَظَّهُ من الخير » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على العاقل لزوم الرفق في الأمور كلها وترك العجلة والخفة فيها ؛ إذ الله تعالى يحب الرفق في الأمور كلها ، ومن مُنِعَ الرفق منع الخير ، كما أن من أعطى الرفق أعطى الخير ، ولا يكاد المرء يتمكن من بغيته في سلوك قصده في شيء من الأشياء على حسب الذي يُحِبُّ إلا بمقارنة الرفق ومفارقة العجلة .

وأشدني المنتصر بن بلال الأنصاري :

الرفق بمن سيليقي اليمينَ صاحبهُ وألخرق منه يكون العنْفُ والزللُ
والحزم أن يتأني المرء فرصته والكف عنها إذا ما أمكنت فشلُ

(١) العلاء - محرقة - قلق وخفة وهلع يصيب المريض والمهتضر .

والبرُّ لله خير الأمر عاقبةً والله للبرِّ عونٌ ماله مثل
خيرُ البرية قولاً خيراً عملاً لا يصلح القول حتى يصلح العمل
وأشدنى منصور بن محمد الكريزي :

الرفق أيمن شيء أنت تتبعه والخرق أشأم شيء يقدم الرجال
وذو الثبث من حمد إلى ظفر من يركب الرفق لا يستحب الزلل
حدثنا محمد بن أبي علي الخلابي ، حدثنا محمد بن خلف السامي عن أحمد
ابن موسى الأزرق أنه أنشده :

وزن الكلام إذا نطقت ، فإنما يبدى العقول أو العيوب المنطقُ
لا ألفينك ثاوياً في غربة إن الغريب بكل سهم يُرشق
لو سار ألف مُدجج في حاجة لم يقضها إلا الذي يتفرق
قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يلزم الرفق في الأوقات ، والاعتدال
في الحالات ؛ لأن الزيادة على المقدار في المبتغى عيب ، كما أن النقصان فيما يجب
من المطلب عجز ، وما لم يصلحه الرفق لم يصلحه العنف ، ولا دليل أوفر من رفق ،
كما لا ظهر أوثق من العقل ، ومن الرفق يكون الاحتراز ، وفي الاحتراز ترجى
السلامة . وفي ترك الرفق يكون الخرق ، وفي لزوم الخرق تخاف الهلكة .
ولقد أنشدنى الأبرش :

عليك بوجه القصد ، فاسلك سبيله ففي الجور إهلاك ، وفي القصد مسلك
إذا أنت لم تعرف لنفسك قدرها تحمّلها مالا تطيق قهلك
قال أبو حاتم رضى الله عنه : الراق لا يكاد يسبق ، كما أن العجل لا يكاد
يتلحق ، وكما أن من سكت لا يكاد يندم ، كذلك من نطق لا يكاد يسلم
والعجل يقول قبل أن يعلم ، ويحيب قبل أن يفهم ، ويحمد قبل أن يُجرب ،
ويذم بعد ما يحمد ، يعزم قبل أن يفكر ، ويمضى قبل أن يعزم ، والعجل نصحه
الندامة ، وتعترزه السلامة ، وكانت العرب تكني العجلة أم الندامات .

ولقد أشدنى بعض أهل العلم :
العجز ضرر ، وما بالحزم من ضرر وأحزم الحزم سوء الظن بالناس
لا تترك الحزم في أمر تحاذره فإن أمنت فما بالحزم من باس
أخبرنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابي حدثنا إبراهيم بن عمر بن حبيب قال :
كان يقال : لا يوجد العجول محموداً ، ولا الغضوب مسروراً ، ولا الحر حريصاً ،
ولا الكريم حسوداً ، ولا الشره غنياً ، ولا اللول ذا إخوان .

وأشدنى محمد بن عبد الله البغدادي :
إذا ما أتيت الأمر من غير بابه تصعب ، حتى لا ترى فيه مرتقى
وإن الذي يصطاده الفتح إن عتا على الفخ كان الفخ أعتى وأضيقت
قال أبو حاتم رضى الله عنه : العجلة تكون من الحدة ، وصاحب العجلة
إن أصاب فرصته لم يكن محموداً ، وإن أخطأها كان مذموماً ، والعجل لا يسير
إلا مناكباً للقصد ، منحرفاً عن الجادة ، يلتبس ما هو أنكد وأوعر وأخفى
مساراً ، يحكم حكم الورهاء ، ويناسب أخلاق النساء .

ولقد حدثنا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا الغلابي حدثنا مهدي بن سابق
قال : قال خالد بن برمك : من استطاع أن يمنع نفسه من أربعة أشياء فهو خليق
أن لا ينزل به كبير مكروه : العجلة ، واللجاجة ، والعجب ، والتواني ، فثمره العجلة
الندامة ، وثمره اللجاجة الحيرة ، وثمره العجب البغضة ، وثمره التواني الذل .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العجلة موكل بها الندم ، وما عجل أحد إلا
اكتسب ندامة ، واستفاد مذمة ؛ لأن الزلل مع العجل ، والإقدام على العمل
بعد التأنى فيه أحزم من الإمساك عنه بعد الإقدام عليه ، ولا يكون العجول
محموداً أبداً ، والعاقل يعلم أن العجز في الأمور يقوم في النقص مقام الإنراط في
السعي فيتجنبهما معاً ، ويجعل لنفسه مسلكاً بينهما .

ولقد حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا أبو الدرداء عبد العزيز بن منيب

حدثني إبراهيم بن عاصم قال : سمعت صدقة يقول : سمعت الشمردل يقول :
نكح العجز التواني ، فولد الندامة .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : سب النجاح ترك التواني ، ودواعي الحرمان
الكسل ، لأن الكسل عدو المروءة ، وعذاب على الفتوة ، ومن التواني والعجز
أتجت المهلكة ، وكما أن الأناة بعد الفرصة أعظم الخطأ كذلك العجلة قبل
الإمكان نفس الخطأ ، والرشد من رَشَد عن العجلة ، والخائب من خاب عن
الأناة ، والعجل مخطيء أبداً ، كما أن المثبت مصيب أبداً .

حدثني محمد بن عثمان العقبى ، حدثنا محمد بن الحسن المصرى حدثني نعيم
ابن حماد حدثنا ابن المبارك حدثنا معمر قال : كتب عمرو إلى معاوية يعاتبه في
التأني « أما بعد ، فإن التضم في الخير زيادة ورشد ، وإنه من لا ينفعه الرفق
يضره الخرق ، ومن لا تنفعه التجارب لا يدرك المعاني - أوقال : المعالي -
ولا يبلغ الرجل مبلغ الرأى حتى يغلب حلمه جهله ، وتصبره شهوته ، ولا يدرك
ذلك إلا بقوة الحلم » .

وأنشدني محمد بن حبيب الواسطي :

بني إذا مسأقتك الضر فاتتد فالرفق أولى بالأريب وأحرز
فلا تحمين عند الأمور تعزراً فقد يورث الذل الطويل التعزز

أخبرني محمد بن المنذر حدثنا إسماعيل بن إسحاق حدثنا سليمان بن حرب
حدثنا حماد عن أيوب قال : قال أكرم بن صيفي : مايسرنى أنى نزلت بدار
معجزة فأسمنت وألبنت^(١) ، قيل له : لم ؟ قال : لأنى أخاف أن أنخذ العجز عادة .

وأنشدني المنتصر بن بلال :

وعليك في بعض الأمور صعوبة والرفق للمستصعبات مدان
وبحسن عقل المرء يثبت حاله وعلى المقارس تثمر العيدان

(١) أسمنت : صرت ذا سمن ، وألبنت : صرت ذا لبن .

حدثنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابي حدثنا مهدي بن سابق عن عبد الله ابن عياش عن أبيه قال : شهد أعرابي عند معاوية بشهادة ، فقال معاوية : كذبت ، فقال الأعرابي : إن الكاذب للمتمزّل في ثيابك ، فقال معاوية : هذا جزاء من يعجل .

ذكر الحث على تعلم الأدب ولزوم الفصاحة

حدثنا الحسين بن إدريس الأنصاري أنبأنا أحمد بن أبي بكر عن مالك عن زيد بن أسلم عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن من البيان لسحراً » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد شبه النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الخبر البيان بالسحر ؛ إذ الساحر يستميل قلب الناظر إليه بسحره وشعوذته والقصيح الدَّربُ اللسان يستميل قلوب الناس إليه بحسن فصاحته ونظم كلامه ، فالأنفس تكون إليه تائقة ، والأعين إليه رامية .

ولقد حدثنا أبو خليفة حدثنا أبو محمد التوزي النحوي حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا حبان بن عليّ قال : سمعت ابن شبرمة يقول : مارأيت لباساً على رجل أحسن من فصاحة ، ولا على امرأة من شحم ، وإن الرجل ليتكلم فيعرب ، فكأن عليه الخرز الأذكن ، وإن الرجل ليتكلم فيلحن فكأن عليه أسملاً^(١) ، إن أحببت أن يصغر في عينك الكبير ، ويكبر في عينك الصغير ؛ فتعلم النحو وأنشدني الكريزي :

أكرم بذى أدب أكرم بذى حسب فإنما العزم في الأحساب والأدب
والناس صنفان ذو عقل وذو أدب كعدن الفضة البيضاء والذهب
وسائر الناس من بين الورى همج كانوا موالى أو كانوا من العرب
وأنشدني البسامي :

(١) الأسمال : الثياب البالية .

ليس المسودَّ مَنْ بالمال سؤدده بل المسود من قد ساد بالأدب
لأنَّ من ساد بالأموال سؤدده مادام في جمع ذا الأموال والنسب
إن قلَّ يوماً له مال يصير إلى هُون من الأُمر في ذل وفي تعب
قال أبو حاتم رضی الله عنه : الفصاحة أحسن لباس يلبسه الرجل وأحسن
إزار يتزر به العاقل ، والأدب صاحب في العربة ، ومؤنس في القلعة ، وزين في
المحافل ، وزيادة في العقل ، ودليل على المروءة ، ومن استفاد الأدب في حديثه
انتفع به في كبره ؛ لأن من غرس قَسِيلاً^(٢) يوشك أن يأكل رُطَبها ،
وما يستوى عند أولى النهى ، ولا يكون سيان عند ذوى الحجى : رجلان :
أحدهما يلحن ، والآخر لا يلحن .

وقد حدثنا الحسين بن محمد بن مصعب السمعاني حدثنا أبو داود حدثنا
عبدالله بن بكر بن حبيب حدثنا أبي عن سالم بن قتبية قال : كنت عند
ابن هبيرة فجرى الحديث ، حتى ذكروا العريية ، فقال : والله ما استوى رجلان
حسبهما واحد ، ومروءتهما واحدة ، أحدهما يلحن ، والآخر لا يلحن ، إلا أن
أفضلهما في الدنيا والآخرة الذي لا يلحن ، قال : قلت : أصلح الله الأمير ! هذا
أفضل في الدنيا لفضل فصاحته وعرييته ، أرايت الآخرة ما باله فضل فيها ؟ قال :
إنه يقرأ كتاب الله على ما أنزل ، والذي يلحن يحملة لحنه على أن يدخل في
كتاب الله ما ليس فيه ، ويخرج منه ما هو فيه ، قال قلت : صدق الأمير وبراً !
وأشدني محمد بن عبد الله البغدادي :

أيها الطالب فخرًا بالنسب إنما الناس لأم ولأب
هل تراهم خلقوا من فضة أو حديد أو نحاس أو ذهب ؟
أو ترى فضلهم في خلقهم هل سوى لحمٍ وعظمٍ وعصبٍ ؟
إنما الفضل بحلمٍ راجح وبأخلاقٍ كرامٍ وأدبٍ

(٢) القسيل : صغار النخل .

ذاك من فاخر في الناس به فاق من فاخر منهم وغلب
وأشدني محمد بن نصر بن نوفل أشدني عبد العزيز بن أحمد بن بكار إمام
مسجد مكة :

ما حُسلَ نُسجت بالذُّر والذهب إلا وأحسن منها المرء بالأدب
حدثنا محمد بن أبي علي الخلابي حدثنا أحمد بن محمد المسروق حدثنا محمد بن
الحسين البرجلاني حدثنا أبو عمر العمري حدثني عبد الله بن سلمة بن مرداس عن
أبيه قال : قال لي رجل من حكام الفرس : أقربُ القرابة المودة الدائمة ، وأفضل
ما ورث الآباء الأبناء حسن الأدب .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : أفضل ما ورث أب ابناً ثناء حسن وأدب نافع ،
والحرص عندي خير من البيان بالكذب ، كما أن الحضور خير من العاهر .
فيجب على العاقل أن يذكر قلبه بالأدب ، كما يذكر النار بالحطب ؛ لأن
من لم يذكر قلبه ران حتى يسود ، ومن تعلم الأدب فلا يتخذ المهاراة عُدَّة ،
ولا المهاراة ملجأ ، ولكن يقصد قصد الانتفاع بنفسه ، وليستمع به على
ما يقرب به إلى بارئته .

ولقد أشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

أدب المرء كلام ودمٍ ما حواه رجل إلا صلح
لو وزتم رجلاً ذا أدب بأوف من ذوى الجهل رجح
أبنا أحمد بن بشر الكرجي حدثنا محمود بن الخطاب حدثنا رُسَيْمَةُ
عبد الرحمن بن عمر قال : سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول : ما ندمت على شيء
ندمته أرى لم أنظر في العربية .

سمعت إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل القاضي يقول : سمعت ابن أخي
الأصمعي يقول : سمعت عمي يقول : تعلموا النحو ، فإن بني إسرائيل كفروا بكلمة

واحدة ، كانت مشددة فحقوقها ، قال الله « يا عيسى إني ولدتك » فقرأوا يا عيسى
إني ولدتك مخفف فكفروا .

حدثنا الحسن بن إسحاق الإصبهاني حدثنا أبو أمية حدثنا عبد الله بن صالح
حدثنا أبو زيد النحوي قال : جاء رجل إلى الحسن ، فقال : ما تقول في رجل
ترك أبيه وأخيه ؟ فقال الحسن : ترك أباه وأخاه ، قال الرجل : فما لأباه ولأخاه ؟
فقال الحسن : فما لأبيه ولأخيه ؟ فقال الرجل : كلما تابعتك خالفت .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا زينة أحسن من زينة الحسب ، كما أن من
أجمل الجمال استعمال الأدب ، ولا حسن لمن لا أدب له ، ومن كان من أهل
الأدب ممن لا حسب له يبلغ به أدبه مراتب أهل الأحساب ؛ لأن حسن الأدب
خلف من الحسب ، وليست الفصاحة إلا إصابة المعنى والقصد ، ولا البلاغة
إلا تصحيح الأقسام واختيار الكلام ، ومن أجمد الفصاحة الاقتدار عند البدهة
والغرارة عند الإطالة ، وأحسن البلاغة وضوح الدلالة ، وحسن الإشارة .

ولقد سمعت محمد بن نعيم بن نوفل المروزي يقول : سمعت أبا داود السنجي
يقول : سمعت الأصمعي يقول : ليست البلاغة بخفة اللسان ، ولا كثرة الهذيان ،
ولكن بإصابة المعنى والقصد إلى الحاجة ، وإن أبلغ الكلام ما لم يكن بالقروى
المجدع ، ولا البدوى المعرب .
وأنشدني الكريزي :

ولم أر فضلاً تمَّ إلا بشيمة ولم أر عقلاً صح إلا على أدب
ولم أر في الأعداء حين اختبرتهم عدواً لعقل المرء أعدى من الغضب

حدثنا عمر بن محمد حدثنا الغلابي حدثنا محمد بن عبيد الله الجشمي قال : قال
المدائني : ذكر عند علي بن عبد الله بن عباس بلاغة رجل ، فقال : إني لأكره
أن يكون مقدار لسانه فاضلاً على مقدار علمه ، كما أكره أن يكون مقدار علمه
فاضلاً على مقدار عقله .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الكلام مثل اللؤلؤ الأزهر ، والزبرجد الأخضر والياقوت الأحمر ، إلا أن بعضه أفضل من بعض ، ومنه ما يكون مثل الخريف والحجر والتراب والمدر ، وأحوج الناس إلى لزوم الأدب وتعلم الفصاحة أهل العلم ؛ لكثرة قراءتهم الأحاديث ، وخوضهم في أنواع العلوم .

ولقد سمعت محمد بن نصر بن نوفل يقول : سمعت أبا داود السنجى أو حدثنى سهل بن هانى عنه ، قال : سمعت الأصمعى يقول : إن أخوف ما أخاف على طالب العلم إذا لم يعرف النحو أن يدخل فيما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « مَنْ كَذَبَ عَلَىَّ مَتَعِدًّا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » ؛ لأنه عليه الصلاة والسلام لم يكن لجاناً ، ولم يلحن في حديثه ، فمهما رويت عنه ولحنت فيه كذبت عليه .

وأشدنى ابن زنجى البغدادى :

ليس الفتى كلُّ الفتى إلا الفتى فى أدبه
وبعضُ أخلاقِ الفتى أولى به من نسبه
حَقُّ امرئٍ لسانه فى جدِّه أو لعبه
بينَ اللّهيِّ مقتله رُكْبَ فى مرَّكبه

سمعت أحمد بن الخطاب بن مهران بتستتر يقول : سمعت عثمان بن خرزاد يقول : سمعت على بن الجعد يقول : سمعت شعبة يقول : مثل الذى يطلب الحديث ولا يعرف النحو مثل الدابة عليها الخلاة ، ليس فيها شيء .

ذكر إباحة جمع المال للقائم بحقوقه

حدثنا أحمد بن محمد بن الحسين ابن بنت الحسن بن عيسى بن ماسر بن جيس حدثنا جدى حدثنا ابن المبارك أنبأنا موسى بن على بن رباح عن أبيه عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص عن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يا عمرو نِعِمَّا المالُ الصالحُ للرجلِ الصالحِ » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : هذا الخبر يصرح عن النبي صلى الله عليه وسلم بإباحة جمع المال من حيث يجب ، ويحل للقائم فيه بحقوقه ؛ لأن في تقريره الصلاح للمال والرجل معاً بيانا واضحا ؛ لأنه إنما أباح في جمع المال الذى لا يكون بمحرم على جامعه ، ثم يكون الجامع له قائماً بحقوق الله فيه ، ولقد ذكرت هذه المسألة بتامها بالعلل والحكايات في كتاب «الفضل بين الغنى والفقر» بما أرجو الغنية فيها لمن أراد الوقوف على معرفتها ، فأغنى ذلك عن تكرارها في هذا الكتاب .

أنشدنى منصور بن محمد الكريزى :

إذا كان ما جمعت ليس بنافع فأنْتَ وأقصى الناس فيه سواء

على أن هذا خارج من أئامه وأنت الذى تجزى به وتساء

أبنا محمد بن سليمان بن فارس حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا أبو عياد حدثنا شعبة عن قتادة قال : سمعت مُطَرِّف بن عبد الله بن الشَّخِير يحدث عن حكيم بن قيس بن عاصم عن أبيه أنه أوصى بنيه عند موته ، فقال : عليكم بالمال واصطناعه فإنه منبئة للكريم ، ويستغنى به عن اللئيم ، وإياكم ومسألة الناس ؛ فإنها آخر كسب الرجل .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن من أحسن ما ينتفع المرء [به] فى عمره وبعده المات تقوى الله والعمل الصالح .

فالواجب على العاقل أن يعمل فى شبابه فيما يقيم به أودّه ، كالشئ الذى لا يفارقه أبداً ، وفيما يصلح به دينه كالشئ الذى لا يجده غداً ، وليكن تعاهدهُ لِماله ما يصلح به معاشهُ ، ويصون به نفسه ، وفى دينه ما يقدم به لآخرته ، ويرضى به خالقه ، والفاقة خير من الغنى بالحرام ، والغنى الذى لا مسرودة له أهون من الكلب ، وإن هو طوق وخأجل .

حدثنى محمد بن عثمان العبقي حدثنا عمران بن موسى بن أيوب حدثنى أبى

حدثني عيسى بن يونس عن محمد بن سُوقة عن محمد بن المنكدر قال : نعم العون
على تقوى الله الغنى .

وأنشدني علي بن محمد البسامي :

أرى كلَّ ذى مال يسود بماله وإن كان لا أصلٌ هناك ولا فصلُ
وآخرَ منسوباً إلى الرأى خاملاً وأنوكَ مجهولاً ، له الجاه والنُّبلُ
فلا ذا بفضل الرأى أدرك بُلغته ولم أر هذا ضرَّه النُّوكُ والجهلُ

وأنشدني منصور بن محمد الكريزي ليحيى بن أكرم :

إذا قلَّ مال المرء قلَّ بهأوه وضائق عليه أرضه وسأوه
وأصبح لا يدري ، وإن كان حازماً أقدماه خيرٌ له أم وراؤه
ولم يَمْضِ في وجهه من الأرض واسعٌ من انناس إلا ضاق عنه فضاؤه
وأصبح مردوداً عليه مقاله وكان به قد يقتدى خطبأوه
وإن يبق لم يضرُّ عدواً بقاؤه وإن يفن لم يفقد لخير فناؤه

حدثني محمد بن المهاجر حدثنا أبو أحمد بن حماد البربري عن سليمان بن أبي

شيخ حدثني الزبيرى قال : مر عمر بن الخطاب بمحمد بن مسامة وهو يغرس
وَدِيًّا^(١) . فقال : ما تصنع يا ابن مسامة ؟ قال : ما ترى ، أستغنى عن الناس ، كما
قال صاحبكم أحيحة بن الجلاح :

استغن ، أو مُت ، فلا يفررك ذونشبٍ من ابن عم ، ولا عم ، ولا خال
إني أظللُّ على الزوراء أعرها إن الحبيب إلى الإخوان ذو المال
أبأنا محمد بن المنذر حدثنا علي بن عبد الرحمن عن عبدان قال : دخلت على
عبد الله المبارك ، وهو يبكي ، فقلت له : مالك يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : بضاعة لى
ذهبت ، قال : قلت : أو تبكى على المال ؟ قال : إنما هو قوام ديني .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن من أسعد الناس من كان فى غناه عفيفاً ،

(١) الودى - بفتح الواو وكسر الـدال وياء مشددة - صغار النخل ، واحده ودية

وفي مسكنته قنعاً ؛ لأن من نزل به الفقر لم يجد بدءاً من ترك الحياء : والفقر
يذهب العقل والمروءة ، ويذهب العلم والأدب ، وكاد الفقر أن يكون كفراً ،
ومن عُرِف بالفقر صار معدنًا للتهمة ، ومجمعاً للبلايا ، اللهم إلا أن يرزق المرء قلباً
نقيّاً قنعاً ، يرى الثواب المدّخر من الضجر الشديد ، فحينئذ لا يبالي بالعالم بأسرهم
والدنيا وما فيها ، والفقر داعية إلى المهانة ، كما أن الغنى داعية إلى المهابة ، ولقد
أحسن الذي يقول :

يُعطى عيوبَ المرءِ كثرةُ ماله وصدّقَ فيما قال ، وهو كذوبُ
ويُزرى بعقل المرءِ قلةُ ماله يُحمّقه الأرقام وهو لبيبُ

أنبأنا بكر بن أحمد بن سعيد الطاحي حدثنا النمر بن قادم حدثنا حماد بن
زيد عن أيوب قال : قال لي أبو قلابة : يا أيوب ، الزم سوقك ؛ فإنك لا تزال
كرماً على إخوانك ما لم تحتج إليهم .

وأنشدني العقبى أنشدني محمد بن خلف التيمي بالكوفة :

كأنَّ مُقِلًّا حين يقدو لحاجة إلى كل من يلقي من الناس مذنبُ
وكان بنو عمي يقولون : مرحبا فلما رأوني مُعدِّماً مات مرحبُ
وأنشدني الكريزي :

لعمرك ، إن المال قد يجعل الفتي نسيباً ، وإن الفقر بالمرء قد يزرى
ولا رفعَ النفسِ الدينئةَ كالغني ولا وضعَ النفسِ الكريمةَ كالفقير

حدثنا محمد بن يحيى العمى ببغداد حدثنا الصلت بن مسعود حدثنا حماد بن
ريد حدثنا أيوب قال : قال لي أبو قلابة : الزم السوق ؛ فإن الغنى من العافية .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : ليس خلة هي للغنى مدح إلا وهي للفقير عيب ؛
فإن كان الفقير حلماً قيل : بليد ، وإن كان عاقلاً قيل : مكار ، وإن كان بليغاً
قيل : مهذار ، وإن كان ذكياً قيل : حديد ، وإن كان صموتاً قيل : عبيّ ، وإن

كان متأنياً قليل : جبان ، وإن كان عارماً قليل : جرىء ، وإن كان جواداً قليل : مسرف ، وإن كان مقدرراً قليل : ممسك .

وشر المال ما اكتسب من حيث لا يحل وأنفق فيما لا يجمل ، ووجوده وعدمه ليسا بتجلد ولا يكثره حيلة ، ولكنه أقسام ومواهب من الخلاق العليم^(١) ولقد أنشدني الأبرش :

يشقى رجالٌ ، ويشقى آخرون بهم ويسعدُ الله أقواماً بأقوام
وليس رزق الفتى من حُسن حيلته لكن جُدود بأرزاق وأقسام
كالصيد يُحرّمهُ الرامى الجيد ، وقد يرمى فيُرزقُهُ من ليس بالرامى

حدثني محمد بن سعيد القزاز حدثنا أحمد بن داود بن موسى العطار حدثنا أحمد بن نصر العدني حدثنا المنذني قال : قال أبو قيس بن معديكرب ، وكان له أحد عشر ذكراً : يَا بَنِيَّ ، اطلبوا هذا المال أجل الطلب ، واصرفوه في أحسن مذهب ، صلوا به الأرحام ، واصطنعوا به الأقسام ، واجعلوه جنةً لأعراضكم تحسن في الناس قالتكم ، فإن جمعه كمال الأدب ، وبذله كمال المروءة ، حتى إنه ليسود غير السيد ، ويقوى غير الأيد ، وحتى إنه ليكون في أنفس الناس نبيا ، وفي أعينهم مهيبا . ومن جمع مالا فلم يصنّ عرضا ، ولم يعط سائلا ، بحث الناس عن أصله ؛ فإن كان مدخولا هتكوه ، وإن كان صحيحاً نسبوه إما إلى عرضٍ دنية ، وإما إلى لَوْص^(٢) لئيم حتى يهجنوه .

(١) فإذا كان كذلك فما بال أبي قلابة يقول « الزم سوقك فإن الغنى من العافية » ؟ نعم هو همة من الخلاق العليم ، ولكن الخلاق العليم هو سبحانه الخبير الحكيم ، الذي جعل لكل شيء سبباً ، ودعا الإنسان إلى الأخذ بأسباب ما سخره في السموات والأرض ، متوكلاً على الله ، ضارعاً إليه أن يديم عليه التوفيق لهذه الأسباب ، والإحسان فيها والتقدير لها ، وشكرها لمسديها ، والله يقول (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها ، وهم فيها لا يبخسون)

(٢) في اللسان : لاصه بعينه لوصا ، ولاوصه : طالعه من خلل أو ستر . وقيل : =

حدثني مطهر بن يحيى بن ثابت بواسط حدثنا سنان القطان حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة قال « سمع رجل صوتا في غمام : اذهبي إلى أرض فلان فاسقيه ، قال : فقال الرجل : لآتين فلانا هذا فلا نُنظرنَّ ما يعمل في أرضه ، فاتاه وقد مُطر فيها وهو قائم يفتح الأوعي ، فسلم عليه وقال : يا عبد الله ، أخبرني ما تعمل في أرضك هذه ؟ قال : أنظر إلى ما أخرج الله منها ، فأرد فيها ثلثه ، وأتصدق بثلثه ، وآكل أنا وعيالي ثلثه . قال علقمة : فكان ابن مسعود يبعثني إلى أرض له بزازان أفعل فيها مثل ذلك » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : إن شر المال ما لا يُخرج منه حقوقه ، وإن شرًّا منه ما أخذ من غير حِلِّه ، ومنع من حقه ، وأنفق في غير حله ، واستثمار المال قوام المعاش ، ولا بد للمرء من إصلاح ماله ، وما ارتفع أحد قط عن إصلاح ماله صالحا كان أو طالحا .

ولا يجب للعاقل أن يعتمد على مجاورة نعم الله عنده فلا يقضى منها حقوقها ؛ لأن من أساء مجاورة نعم الله أساءت مجاورته ، وتحولت عنه إلى غيره .

ولقد أنشدني ابن زنجي البغدادي :

فإن كنتَ في خير ، فلا تغتر به ولكن قل : اللهم سلمّ وتمم
فمن لم يَصُنْ عِرْضاً إذا ما استفاده ويشكر لأهل الخير يُسَلِّبُ ويذم

حدثنا عمرو بن محمد حدثنا الفلابي أنشدنا مهدي بن سابق :

ورُبَّ مُمْلِكٍ مالا كثيرا ولكن حَظُّه منه قليل
يعيش بفضلِه هذا وهذا وقد سالت به فيه سيول
له منه الذي يحيا عليه بعيشته ، وسائرُه فضول

= الملاوصة : النظر عينة ويسرة ، كأنه يروم أمراً - إلى أن قال - والإنسان يلاوص الشجرة إذا أراد قلعها بالقأس ، فتراه يلاوص في نظره عينة ويسرة كيف يضرها ، وكيف يأتها ليقتلها

حدثنا أحمد بن الحسين الحرازى - بالموصل - حدثنا أحمد بن سنان القطان
حدثنا كثير بن هشام عن عيسى بن إبراهيم عن معاوية بن عبد الله عن كعب
قال : أول من ضرب الدينار والدرهم آدم ، وقال : لا تصلح المعيشة إلا بهما .
قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد ذكرت ما شاكل هذه الحكايات فى كتاب
« السخاء والبذل » فأغنى ذلك عن تكرارها فى هذا الكتاب .

ذكر الحث على إقامة المروءات

حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل القاضى وعبد الله بن محمود بن سليمان
السعدى قالا : حدثنا عبد الوارث بن عبيد الله العتكى حدثنا مسلم بن خالد الزنجى
عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال النبي صلى الله عليه
وسلم « كرم الرجل دينه ، ومروءته عقله ، وحسبه خلقه » .
قال أبو حاتم رضى الله عنه : صرح النبي صلى الله عليه وسلم فى هذا الخبر
بأن المروءة هى العقل ، والعقل اسم يقع على العلم بسلك الصواب واجتناب الخطأ .
فالواجب على العاقل أن يلزم إقامة المروءة بما قدر عليه من الخصال الحمودة ،
وترك الخلال المذمومة .

وقد نبغت نابغة اتكلوا على آبائهم ، واتكلوا على أجدادهم ، فى الذكر
والمروءات ، وبعدوا عن القيام بإقامتها بأنفسهم .

ولقد أنشدنى منصور بن محمد فى ذم من هذا نعته :

إن المروءة ليس يدركها امرؤ ورث المروءة عن أب ، فأضاعها
أمرته نفس بالدناءة والخناسا ونهته عن طلب العلى فأطاعها
فإذا أصاب من الأمور عظيمةً بينى الكريم بها المروءة باعها
وأنشدنى محمد بن إسحاق :

خساسة أخلاق الرجال تشينهم وقل غناء عنهم النسب المحض

يصلون بالآباء في كل مشهد وقد غيّبت آباءهم عنهم الأرض
طويلٌ تبدّ بهم بمجدٍ أيهم وما لهم في المجد طول ولا عرض
وأنشدني الحسين بن أحمد البغدادي :

ليس الكريم بمن يُدنس عرضه ويرى مروءته تكون بمن مضى
حتى يشيد بناءه بينانه ويزين صالح ما أتوه بما أتى
قال أبو حاتم رضي الله عنه : ما رأيت أحداً أخسرَ صفقة ، ولا أظهر حسرة ،
ولا أخيب قصداً ، ولا أقلّ رشداً ، ولا أحقّ شعارا ، ولا أدنسَ دنارا ، من
المفتخر بالآباء الكرام وأخلاقهم الجسام ، مع تعريه عن سلوك أمثالهم ؛ وقصد
أشباههم ، متوّهًا أنهم ارتفعوا بمن قبلهم ، وسادوا بمن تقدمهم ، وهينات ! أتى
يسود المرء على الحقيقة إلا بنفسه ؟ وأتى ينبل في الدارين إلا بكده ؟
ولقد أنشدني البسامي :

وكم قائل : إني ابن بيت ، هو ابنه وقد هدم البيت الذي مات عامرُه
فأودى عموداه ، ورثت حباله وأصلح أولاه ، وأفسد آخره
وأنشدني الأبرش :

فإن قلت : لى آباءه صدق ومنصبٌ كريم وإخوانٌ مضت. وجدودُ
صدقته ، ولكن أنت هدمت ما بنوا بكفك عمداً ، والبناء جديدُ
وأنشدني محمد بن عبد الله البغدادي :

إن لم تكن بفعال نفسك سامياً لم يغن عنك سموٌ من تسمو به
ليس القديم على الحديث براجع إن لم تجده آخذاً بنصيبه
ولربما اقترب البعيد بوُدّه وغدا القريب مباعداً لقريبه
أنيابنا الحسين بن محمد بن مصعب السنجى حدثنا أبو داود السنجى حدثنا
عبد الرزاق عن معمر عن الحسن قال : لا دين إلا بمروءة .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : اختلف الناس في كيفية المروءة :

ومن قائل قال : المروءة ثلاثة : إكرام الرجل إخوان أبيه ، وإصلاح ماله ،
وقعوده على باب داره .

ومن قائل قال : المروءة : إتيان الحق ، وتعاهد الضيف .

ومن قائل قال : المروءة : تقوى الله ، وإصلاح الضيعة ، والغذاء والعشاء
في الألفية .

ومن قائل قال : المروءة : إنصاف الرجل من هو دونه ، والسمو إلى من هو
فوقه ، والجزاء بما أتى إليه .

ومن قائل قال : مروءة الرجل : صدق لسانه ، واحتماله عثرات جيرانه ، وبذله
المعروف لأهل زمانه ، وكفه الأذى عن أباعده وجيرانه .

ومن قائل قال : إن المروءة : التباعد من الخلق الدني فقط .

ومن قائل قال : المروءة : أن يعتزل الرجل الريبة ؛ فإنه إذا كان مريباً كان
ذليلاً ، وأن يصلح ماله ؛ فإن من أفسد ماله لم يكن له مروءة ، والإبقاء على نفسه
في مطعمه ومشربه .

ومن قائل قال : المروءة : حسن العشرة ، وحفظ الفرج واللسان ، وترك المرء
ما يعاب منه .

ومن قائل قال : المروءة : سخاوة النفس ، وحسن الخلق .

ومن قائل قال : المروءة العفة والحزفة ، أي يعف عما حرم الله ، ويحترف
فيما أحل الله .

ومن قائل قال : المروءة : كثرة المال والولد .

ومن قائل قال : المروءة : إذا أعطيت شكرت ، وإذا ابتليت صبرت ، وإذا
قدرت غفرت ، وإذا وعدت أنجزت .

ومن قائل قال : المروءة : حسن الحيلة في المطالبة ، ورقة الظرف في المكاتبة .

ومن قائل قال : المروءة : اللطافة في الأمور ، وجودة الفطنة .

ومن قائل قال : المروءة : مجانبة الريبة ؛ فإنه لا ينبل مريب ، وإصلاح المال ؛ فإنه لا ينبل فقير ، وقيامه بجوائح أهل بيته ؛ فإنه لا ينبل من احتاج أهل بيته إلى غيره .

ومن قائل قال : المروءة : النظافة ، وطيب الرائحة .

ومن قائل قال : المروءة : الفصاحة والسماحة .

ومن قائل قال : المروءة : طلب السلامة ، واستعفاف الناس .

ومن قائل قال : المروءة : مراعاة العهود ، والوفاء بالعقود .

ومن قائل قال : المروءة : التذلل للأحباب بالتملق ، ومداراة الأعداء بالترفق .

ومن قائل قال : المروءة : ملاحظة الحركة ، ورقة الطمع .

ومن قائل قال : المروءة : هي المفاكحة ، والمباسمة .

حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا سويد بن سعيد حدثنا مسلم بن عبيد أبو فراس

قال : قال ربيعة : المروءة مروءتان : فللسفر مروءة ، وللحضر مروءة :

فأما مروءة السفر فبذل الزاد ، وقلة الخلاف على الأصحاب ، وكثرة المزاح

في غير مسأخظ الله .

وأما مروءة الحضر : فالإدمان إلى المساجد ، وكثرة الإخوان في الله ،

وقراءة القرآن .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : اختلفت ألفاظهم في كيفية المروءة ، ومعاني

ما قالوا قريبة بعضها من بعض .

والمروءة عندي خصلتان : اجتناب ما يكره الله والمسلمون من الفعال ،

واستعمال ما يحب الله والمسلمون من الخصال .

وهاتان الخصلتان يأتیان على ما ذكرنا قبل من اختلافهم ، واستعمالها هو

العقل نفسه ، كما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم « إن مروءة المرء عقله » .

ومن أحسن ما يستعين به المرء على إقامة مروءته المال الصالح .

ولقد أنشدني منصور بن محمد الكريزي :
احتل لنفسك أيها المحتالُ فمن المروءة أن يرى لك مالُ
كم ناطق وسط الرجال ، وإنما عنهم هناك تكلمُ الأموالُ
قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يقيم مروءته بما قدر
عليه ، ولا سبيل إلى إقامة مروءته إلا باليسار من المال ، فمن رزق ذلك وضمن
بإنفاقه في إقامة مروءته فهو الذى خسر الدنيا والآخرة ، ولا آمن أن تفجأه المنية
فتسلبه عما ملك كريها ، وتودعه قبرا وحيدا . ثم يرث المال بعد من يأكله
ولا يحمد ، وينفقه ولا يشكره ، فأى ندامة تشبه هذه ؟ وأى حسرة تزيد عليها ؟
ولقد أنشدني محمد بن عبد الله البغدادى :

يا جامع المال فى الدنيا لوارثه هل أنت بالمال قبل الموت منتفع ؟
قدم لنفسك قبل الموت فى مهلٍ فإنَّ حظك بعد الموت منقطعُ
أنبأنا المفضل بن محمد الجندى - بمكة - حدثنا إسحاق بن إبراهيم الطبرى
حدثنا أزهر عن ابن عون عن ابن سيرين قال : ثلاثة ليست من المروءة : الأكل
فى الأسواق ، والأدهان عند العطار ، والنظر فى مرآة الحجام .
حدثنا محمد بن إسحاق الثقفى حدثنا سعيد بن يعقوب الطالقانى حدثنا هشيمُ
عن مغيرة عن الشعبي قال : ليس من المروءة النظر فى مرآة الحجام .
حدثنا محمد بن يحيى بن الحسن العمى ببغداد حدثنا الصلت بن مسعود حدثنا
حماد بن زيد حدثنا أيوب قال : سمعت أبا قلابة يقول : ليس من المروءة أن
يربح الرجل على صديقه .

وأنشدنى البسامى :
اعلم بأنك - لا أبالك - فى الذى أصبحت تجمعه لغيرك خازنُ
إنَّ المنية لا تؤامر من أنت فى نفسه يوما ، ولا تستأذنُ
أنبأنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابى حدثنا ابن عائشة عن أبيه قال : كان

يقال : مجالسة أهل الديانة تجلو عن القلب صدأ الذنوب ، ومجالسة ذوى المروءات تدل على مكارم الأخلاق ، ومجالسة العلماء تذكى القلوب

حدثني محمد بن أبي علي الخلابي حدثنا أبو أحمد بن حماد البربري عن سليمان بن أبي شيخ حدثنا محمد بن الحكم عن عوانة قال : قال معاوية بن أبي سفيان : آفة المروءة إخوان السوء .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : والواجب على العاقل تفقد الأسباب المستحقرة عند العوام من نفسه حتى لا يثلم مروءته ؛ فإن المحقرات من ضد المروءات تؤذي الكامل في الحال بالرجوع في القهقري إلى مراتب العوام وأوباش الناس (١) .

ولقد حدثنا جعفر بن محمد الهمداني - بصور - قال : سمعت طلحة بن إسحاق ابن يعقوب قال : سمعت موسى بن إسحاق الأنصاري يقول : سمعت علي بن حكيم الأودي يقول : سمعت شريكا يقول : ذل الدنيا خمسة : دخول الحمام سحراً بلا كرنيب (٢) ، وعبور المعبر بلا قطعة ، وحضور مجلس العلم بلا نسخة ، وحاجة الشريف إلى الدني ، وحاجة الرجل إلى امرأته .

حدثنا أبو شعبة الحسن بن محمد الإصطخري حدثنا عبد الرحمن بن محمد ابن منصور ، حدثنا محمد بن عبد العزيز الرملي ، حدثنا رشدين بن سعد ، حدثنا طلحة بن زيد عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : « من قلة مروءة الرجل نظره في بيت الحائث ، وحمله الفلوس في كفه » .

(١) عرية هذه الكلمة « أوشاب الناس » أي أخلاطهم .

(٢) في القاموس : الكرنيب - بالفتح ، ويكسر - المجمع ، والكرنية : إطعامه للضيف ، وأكل التمر باللبن . وهذه المعاني لاتناسب ما هنا ، والظاهر : أنه أراد إثناء يغرف به ، وفي مدينة حلب من سوريا يستعمل هذا اللفظ لإناء على شكل مخصوص معد لعرف الجمادات من بر ونحوه .

باب الحث على لزوم السخاء ، ومجانبة البخل

أبنا أحمد بن يحيى بن زهير بثُتَرَ ، حدثنا الحسن بن عرفة بن يزيد العبدى حدثنا سعيد بن محمد الوراق ، حدثنا يحيى بن سعيد الأنصارى عن الأعرج عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « السخي قريب من الله قريب من الناس ، والبخيل بعيد من الله ، بعيد من الناس ، ولَسَخِيٌّ جَاهِلٌ ، أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ بَخِيلٍ عَابِدٍ » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن كان حفظ سعيد بن محمد إسناد هذا الخبر فهو غريب غريب .

فالواجب على العاقل إذا أمكنه الله تعالى من حُطام هذه الدنيا الفانية ، وعلم زوالها عنه ، وانقلابها إلى غيره ، وأنه لا ينفعه في الآخرة إلا ما قدم من الأعمال الصالحة : أن يبلغ مجهوده في أداء الحقوق في ماله ، والقيام بالواجب في أسبابه ، مبتغياً بذلك الثواب في العقبى ، والذكر الجميل في الدنيا ، إذ السخاء محبة ومحمدة كما أن البخل مذمة ومبغضة ، ولا خير في المال إلا مع الجود ، كما لا خير في المنطق إلا مع الخبر .

ولقد أشدنى المنتصر بن بلال الأنصارى .

الجود مكرمة ، والبخل مبغضة لا يستوى البخل عند الله والجود والفقرفيه شخوص ، والغنى دعة والناس في المال مرزوق ومحدود^(١) حدثني محمد بن أبي علي الخلابى حدثنا محمد بن الحسن الذهلى ، حدثنا محمد ابن يوسف السدوسى ، حدثنا أحمد بن خالد القشوى ، حدثنا سليمان مولى عبد الصمد بن علي : أن المنصور أمير المؤمنين قال لابنه المهدي « اعلم أن رضاء الناس غاية لا تدرك ، فتحبب إليهم بالإحسان جهديك ، وتودد إليهم بالإفضال ، واقصد بإفضالك موضع الحاجة منهم » .

(١) المحدود — بالحاء المهملة — : المنوع من البخت وغيره .

وأشدني محمد بن إسحاق الواسطي :
 أعاذتني اليوم ، ويحكما مهلاً ، وكفماً الأذى عني ، ولا تكثرا العذلا
 دعاني تجدد كفى بما ملكت يدي سأسبح يوماً أترك الجود والبخلا
 إذا وضعوا فوق الضريح جنادلا علي وخلفت المطية والرحلا
 فلا أنا مختار إذا مازلته ولا أنا لاق ماثويت به أهلا
 أنبأنا إبراهيم بن إسحاق الأماطي ، حدثنا لوين ، حدثنا ابن أبي الزناد عن
 هشام بن عروة قال : كان أبي يقول « مال قوم قط أقاموا على ماء عذب »
 حدثنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابي حدثنا بكر بن عامر العتري ، حدثنا هشام
 ابن محمد عن أبيه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال « من آتاه الله منكم
 مالا فليصل به القرابة ، وليحسن فيه الضيافة ، وليفك فيه العاني والأسير
 وابن السبيل والمساكين والفقراء والمجاهدين ، وليصبر فيه على النائبة ؛ فإن بهذه
 الخصال ينال كرم الدنيا وشرف الآخرة » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : أجود الجود من جاد بماله ، وصان نفسه عن
 مال غيره ، ومن جاد ساد ، كما أن من بخل رذل .

والجود حارس الأعراض ، كما أن العفو زكاة العقل ، ومن أتم الجود أن
 يتعمى عن المنية ؛ لأن من لم يمتن بمعروفه وفقره . والامتنان يهدم الصنائع ، وإذا
 تعرت الصنيعة عن إزار له طرفان : أحدهما الامتنان ، والآخر طلب الجزاء -
 كان من أعظم الجود ، وهو الجود على الحقيقة .

ولقد أشدني ابن زنجي :

يارب عاذلة في الجود قلت لها : قلبي ، على الله فيما أنفق الخلفاً
 همل من تحيل رأيت المال أخذه ؟ أم هل رأيت جواداً ميتاً عجباً ؟^(١)
 لا رأيت أوتي المال طالبه ولا أبالي تлада كان أم طرفاً^(٢)
 عدت سماحي تبديراً ، ولست أرى ما يكسب الحمد تبديراً ولا سرفاً

(١) العجب : الهزال (٢) الطريف : المال المستحدث ، وطرف ككرم .

أنبأنا الحسين بن سفيان ، حدثنا حبان بن موسى قال : قسم ابن المبارك يوما بين إخوانه وأصحاب الحديث ألف درهم ، ثم أنشأ يقول :

لاخير في المال لكنّأزه إلا جواد الكف وهآبه
يفعل أحيانا بزواره ما تفعل الحمر بشرابه
حدثني محمد بن عثمان العقبي ، حدثنا الحسن بن محمد عن ابن السماك ، قال :
يا عجبى لمن يشتري المالك بالثمن ، ولا يشتري الأحرار بالمعروف .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : إن من أحسن خصال المرء الجود من غير امتنان ، ولا طلب ثواب ، والحلم من غير ضعف ولا مهانة .

وأصل الجود ترك الضنّ بالحقوق عن أهلها ، كما أن أصل تربية الجسد أن لا يحمل عليه في الأكل والشرب والباه ، فكما لا تنفع المروءة بغير تواضع ، ولا الحفظ بغير كفاية ، كذلك لا ينفع العيش بغير مال ، ولا المال بغير جود ، وكما أن القرابة تبع للمودة ، كذلك المحمدة تبع للإتفاق .

أنبأنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار ، حدثنا يحيى بن معين ، حدثنا المبارك ابن سعيد الثوري قال : كان يقال : ثلاث هنّ أحسن شيء فيمن وجدت فيه :
تؤدّة في غير ذل ، وجود لغير ثواب ، ونصب لغير الدنيا .

حدثنا أبو يعلى - بالموصل - حدثنا محمد بن الصباح الدولابي ، حدثنا إسماعيل ابن زكريا عن عاصم الأحول قال : قلت للحسن : ما معنى قوله صلى الله عليه وسلم « اليد العليا خير من اليد السفلى » ؟ قال : يد المعطى خير من يد المانع .

حدثنا أبو خليفة ، حدثنا ابن كثير ، أنبأنا سفيان عن الأعمش عن ذكوان وعبد الله بن مرة عن كعب قال : من أحب الله ، وأبغض الله ، وأعطى الله ، ومنع الله : فقد استكمل الإيمان .

وأنشدني البكريزي ليحيى بن أكرم :

ويُظهِرُ عيبَ المرء في الناس مُخْله ويستره عنهم جميعا سخاؤه
تغطّ بأثواب السخاء ؛ فإننى أرى كل عيب والسخاء غطاؤه

وأشدني أحمد بن محمد بن عبد الله اليماني لبعض القرشيين :
سأبذلُ مالي كلما جاء طالبٌ وأجمله وقفا على القرض والقرض
فإما كريما صُنْتُ بالجود عرَضه وإما لثيما صُنْتُ عن لؤمه عرضي
وأشدني كامل بن مكرم أبو العلاء ، أشدني هلال بن العلاء بن عمر الباهلي :
ملأتُ يدي من الدنيا مرارا فما طمع العواذل في اقتصادي
وما وجبتُ على زكاة مالٍ وهل تجب الزكاة على الجواد ؟
قال أبو حاتم رضى الله عنه : البخل شجرة في النار أغصانها في الدنيا ، مَنْ
تعلق بغصن من أغصانها جرَّه إلى النار ، كما أن الجود شجرة في الجنة أغصانها
في الدنيا ، فمن تعلق بغصن من أغصانها جرَّه إلى الجنة ، والجنة دار الأسخياء .
والبحيل يقال له في أول درجته : البخيل ، فإذا عتا وطمع في الإمساك يقال
له : الشحيح ، فإذا ذم الجود والأسخياء يقال له : لثيم ، فإذا صار يحتج للبخلاء
ويعذرهم في فعالهم يقال له : الملائم .

وما أترر رجل يإزار أهتك لعرضه ، ولا أثم لدينه من البخل .

ولقد أشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

لكلِّ همٍّ من الهموم سَعَةٌ والبخل واللؤم لافلاح مَعَهُ (١)
قد يجمع المالَ غيرَ آكله ويأكل المالَ غيرَ من جمعه
أقبلُ من الدهر ما أتك به من قرَّ عينا بعيشه نفعه

سمعت الخطابي بالبصرة يقول : سمعت أبا حاتم السجستاني يقول : سألت
كسرى : أى شيء أضر على ابن آدم ؟ قالوا : الفقر ، قال : الشح أضرُّ منه ،
إن الفقير إذا وجد اتسع ، وإن الشحيح لا يتسع إذا وجد .

أنبأنا إبراهيم بن محمد بن يعقوب حدثنا ابن أبي القعقاع قال : قال أبو الهذيل :
كنت عند يحيى بن خالد البرمكي ، فدخل عليه رجل هندي ، ومعه مترجم له ،

(١) الأبيات محفوظة لأوس بن حجر ، وفيها « والصبح والنسي لا فلاح معه »

فقال المترجم : إن هذا رجل شاعر ، قد حاول مدحتك ، فقال يحيى : لينشد ،
فقال الهندي :

أَرَهُ أَصْرَهُ كَكَرَا كِي كَرِهِ مَنْدَرِهِ

فقال يحيى للمترجم : ما يقول ؟ قال : يقول :

إذا المكارم في آفاقنا ذكرت فإنما بك فيها يضربُ المثل
قال : فأمر له بألف دينار .

وأنشدني عبد الرحمن بن محمد المقاتلي^(١) :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عِرْضَهُ فكلُّ رِداءٍ يرتديه جميلُ
إذا قلت : لا ، في كل شيء سئلته فليس إلى حسن الثناء سبيلُ

وأنشدني عمرو بن محمد الأنصاري أنشدني الغلابي أنشدني مهدي بن سابق :
يا مانع المال ، كم تَضِنُّ به تطمع بالله في الخلود معه ؟
هل حمل المال ميت معه ؟ أما تراه لغيره جمعة ؟

أنبأنا عمران بن موسى السخيتاني حدثنا سليمان بن معبد المروزي حدثنا
عثمان بن صالح حدثنا ابن وهب أخبرني يحيى بن أيوب عن أبي علي الغافقي
سمع عامر بن عبد الله اليحصبي قال : كان ابن منبه يقول : أجود الناس في الدنيا
من جاد بحقوق الله ، وإن رآه الناس بخيلاً بما سوى ذلك ، وإن أبخل الناس
في الدنيا من أبخل بحقوق الله ، وإن رآه الناس كريماً جواداً بما سوى ذلك .

وأنشدني علي بن محمد البسامي :

رب مال سينعمُ الناس فيه وهو عن ربه قليل الغناء^(٢)
كان يشقي به ، وينصب فيه ثم أضحي لعشر غرباء
ماله عندهم جزاء إذا ما نعموا فيه غير سوء الثناء

(١) أول هذين البيتين وعجز ثانيهما في كلمة مشهورة للسموأل بن عدياء .

(٢) الغناء بالفتح والند : النفع

رب مال يكون ذمًّا وغمًّا وغنيًّا يعد في الفقراء
حدثنا أحمد بن الحسن بن أبي الصغير المدائني حدثنا الربيع بن سليمان قال :
سمعت الشافعي يقول : كان أبو حاتم - يعني الطائي - سخياً ، وكان يضع الأشياء
مواضعها ، وكان حاتم مبدراً ، فاجتمع يوماً عند أبيه أصحابه ، وشكا إليهم حاتماً ،
قال : والله ما أدري ما أصنع ؟ لا يأخذ شيئاً إلا بذره ، فاجتمع رأيهم على أن
لا يعطيه شيئاً سنة ، قال : فأقام أبوه ، ولم يمكنه من شيء سنة ، مع ما هو فيه من
الضر ، فلما مضت السنة أمر له بمائة ناقة حمراء ، قال : فلما وقفت عليه قال حاتم :
من أحب شيئاً فهو له ، حتى أخذوها كلها ، فدعا أبوه ، فقال له : أي بني ،
ماذا تصنع ؟ قال : والله يا أبي لقد بلغ الجوع مني شيئاً ، لا يسألني أحد شيئاً إلا
أعطيته إياه .

وأشدني عبد العزيز بن سليمان :

تجودُ بالمال على وارثٍ ولا ترى أهلاً له نفسكا
قدمَ حسن الظن بالله من جادٍ ، وسوء الظن من أمسكا
أنا أبو عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا ابن عائشة قال : كان عمر بن
عبد العزيز كثيراً ما يتمثل بهذا الشعر ويعجبه :

وما تزودَ مما كان يجمعه إلا حنوطاً غداة البين مع خرقِ
وغيرِ نَفْحَةٍ أعواد تُشَدُّ له وقلَّ ذلك من زادٍ لمنطلقِ
أنا أبو يعلى حدثنا يحيى بن أيوب المقابري حدثنا حماد بن زيد حدثنا
أيوب عن نافع قال « مرض ابن عمر بالمدينة ، فاشتبهى عنباً في غير زمانه ، قال :
فطلبوا ، فلم يجدوا إلا عند رجل ، فاشترى سبع حبات بدرهم ، فجاء سائلٌ فأمر
له به ، ولم يذقه »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : ما رأيت أحداً من الشرق إلى الغرب ارتدى
برداء الجود واتزر بإيزار ترك الأذى إلا رأس أشكاله وأصداده ، وخضع له

الخاص والعالم ، فمن أراد الرفعة العالية في العقبى ، والمرتبة الجليلة في الدنيا ، فليزِم الجود بما ملك ، وترك الأذى إلى الخاص والعالم ، ومن أراد أن يهتك عرضه ، ويثلم دينه ، ويملّه إخوانه ، ويستثقله جيرانه ، فليزِم البخل .

ولقد ذم البخل أهل العقل في الجاهلية والإسلام إلى يومنا هذا ، فنه ما أنشدني محمد بن عبد الله البغدادي :

كأنما نُقِرَتْ كَفَّاهُ من حجر فليس بين يديه والندي عملُ
يرى التيم في بحر وفي بلد مخافة أن يُرى في كَفِّه بللُ
وأنشدني عمرو بن محمد أنشدني الغلابي أنشدنا مهدي بن سابق :

لو أن دارك أنبتت لك ، واحتشيتُ إبراً يضيق بها فناء المنزلِ
وأناك يوسفُ يستعيرك إبرة ليخيط قد قميصه لم تفعل
وأنشدني أحمد بن محمد بن أيوب :

وكفّاك لم يخلقاً للندي ولم يك بخلفها بدعاه
فكفّ عن الخير مقبوضة كما حط من مائة سبعة^(١)
وأخرى ثلاثة آلافها وتسع مئتيها لها شرعه

سمعت محمد بن نصر بن نوفل المروزي يقول : سمعت محمد بن صالح الوركاني يقول : قيل للنضر بن شميل : أى بيت قالته العرب أسخى ؟ قال : الذى يقول :

فلو لم تكن في كفّه غيرُ روحه لجادَ بها ، فليتنق الله سائله

قل : وأى بيت قالته العرب أبخل ؟ فقال :

لو جُعِلَ الخردلُ في كفّه ماسقَطتُ من كفّه خردلة

قال : وأى بيت قالته العرب أهجى ؟ قال :

العَجْرَفيُّون لا يوفون ما وعدوا والعجرفيات ينجزن المواعيدا

(١) في المحاسن والمساوى (كما نقصت مائة تسعة)

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل ، إذا لم يُعرف بالساحة ، أن لا يعرف بالبخل ، كما لا يجب ، إذا لم يعرف بالشجاعة ، أن يعرف بالجن ، ولا إذا لم يعرف بالشهامة أن يعرف بالمهانة ، ولا إذا لم يعرف بالأمانة أن يعرف بالخيانة ، إذ البخل بئس الشعارُ في الدنيا والآخرة ، وشر ما يُدخر من الأعمال في العقبى .

حدثنا أحمد بن عمرو بن جابر بالرملة ، حدثنا أبو عتبة الحمصى أحمد بن الفرغ حدثنا ضمرة ، حدثنا إبراهيم بن أبي عبلة قال : سمعت أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز تقول : أفٍ للبخل ، والله لو كان طريقاً ما سلكته ، ولو كان ثوباً ما لبسته .

حدثنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابي حدثنا العباس بن بكار الهذلى قال : قال الحسن : من أيقن بأخلفٍ جاد بالعطية .

ذكر الزجر عن ترك قبول الهدايا من الإخوان

حدثنا محمد بن صالح الطبرى حدثنا عبد الله بن عمران الأصبهاني - بالرى - حدثنا يحيى بن ضريس ، حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا سفيان الثورى عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أحببوا الداعى ، ولا تردوا الهدية ، ولا تضرّبوا المسلمين »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : زجر النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الخبر عن ترك قبول الهدايا بين المسلمين .

فالواجب على المرء إذا هديت إليه هدية أن يقبلها ولا يردّها ، ثم يثيب عليها إذا قدر ، ويشكر عنها ، وإنى لأستحب للناس بعث الهدايا إلى الإخوان بينهم ، إذ الهدية تورث المحبة ، وتذهب الضغينة .

ولقد حدثنا محمد بن المهاجر ، حدثنا الدارمى ، حدثنا عبد الله بن صالح ،

أَبْنَانَا اللَّيْثُ قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ زُرَّاعَةَ الْفَهْمِيَّ يَقُولُ : الْهَدِيَّةُ هُوَ السَّحْرُ
الظَّاهِرُ

حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي أُمِيَّةَ بَطْرَسُوسَ ، حَدَّثَنَا حَامِدُ بْنُ يَحْيَى الْبَلْخِيُّ ، حَدَّثَنَا
سَفِيَّانُ قَالَ : لَمَّا قَعَدَ أَبُو حَنِيفَةَ قَالَ لِلنَّاسِ مُسَاوِرُ الْوَرَاقِ :

كُنَّا مِنَ الدِّينِ قَبْلَ الْيَوْمِ فِي سَعَةٍ حَتَّى بَلَيْنَا بِأَصْحَابِ الْمَقَائِسِ
قَوْمٌ إِذَا اجْتَمَعُوا صَاحُوا كَأَنَّهُمْ ثَعَالِبٌ ضَبَّحَتْ بَيْنَ النَّوَارِسِ

قَالَ : فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبُو حَنِيفَةَ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِمَالٍ ، فَقَالَ مَسَاوِرٌ حِينَ قَبْضِ الْمَالِ

إِذَا مَا النَّاسُ يَوْمًا قَاسُونَا بِأَبْدَةٍ مِنَ الْفَتْيَا طَرِيفَةٍ

أَتَيْنَاهُمْ بِمَقْيَاسٍ صَحِيحٍ مَصِيبٌ مِنْ طَرَازِ أَبِي حَنِيفَةَ

إِذَا سَمِعَ الْفَقِيهَ بِهَا وَعَاهَا وَأَثْبَتَهَا بِحَبْرٍ فِي صَحِيفَةٍ

وَأَشْدَنِي الْكُرَيْزِيُّ :

إِنَّ الْهَدِيَّةَ حَلْوَةٌ كَالسَّحْرِ تَخْتَلِبُ الْقُلُوبَا

تَدْنِي الْبَعِيدَ مِنَ الْهَوَى حَتَّى تُصِيرَهُ قَرِيبَا

وَتُعِيدُ مَضْطَظْنَ الْعَدَا وَتَعْدُ بَغْضَتَهُ حَبِيبَا

تَنْفِي السَّخِيمَةَ مِنْ ذَوَى الشَّحْنَا وَتَمْتَحِقُ الذَّنُوبَا

أَبْنَانَا الْحُسَيْنُ بْنُ إِسْحَاقِ الْأَصْبَهَانِيِّ - بِالكَرَجِ - وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ الدِّسْتَوَائِيِّ
بِتَسْتَرِ قَالَا : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمِيْدَ بْنِ عَتْبَةَ الْكَنْدِيُّ حَدَّثَنَا بَكَارُ بْنُ أَسْوَدِ الْعَامِرِيُّ
حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبَانَ قَالَ : بَلَغَ الْحَسَنُ بْنُ عِمَارَةَ أَنَّ الْأَعْمَشَ يَقَعُ فِيهِ ، فَبَعَثَ
إِلَيْهِ بِكَسْوَةٍ ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ مَدَحَهُ الْأَعْمَشُ ، فَقِيلَ لَهُ : كَيْفَ تَذَمُّهُ ثُمَّ تَمْدَحُهُ ؟
قَالَ : إِنَّ خَيْمَةَ حَدَّثَنِي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ « إِنَّ الْقُلُوبَ جَبَلَتْ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ
إِلَيْهَا ، وَبَغْضِ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهَا » .

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قَالَ لَنَا هَذَا الشَّيْخَانُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَنَا أَهَابُهُ ، قَالَ : وَالْبَشَرُ مَجْبُولُونَ عَلَى مَحَبَّةِ الْإِحْسَانِ ، وَكَرَاهِيَةِ

الأذى ، واتخاذ المحسن إليهم حبيباً ، واتخاذ المسيء إليهم عدوا .
فالعاقل يستعمل مع أهل زمانه لزوم بعث الهدايا بما قدر عليه لاستجلاب
محبتهن إياه ، ويفارقه تركه مخافة بغضهم .
ولقد أنشدني الأبرش :

هدايا الناس بعضهم لبعض تولد في قلوبهم الوصلا
وتزرع في الضمير هوى وودا وتكسوك المهابة والجلالا
مسايد للقلوب بغير لقب^(١) وتمنحك المحبة والجمالا

حدثني محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا عبد الله بن لقمان البهراني النجراتي
حدثنا موسى بن أيوب ، حدثنا خدش بن المهاجر عن الحسن بن دينار عن ابن
سيرين قال : كانوا يتهدأون الدراهم في الجواقات^(٢) والأطباق .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على العاقل أن يستعمل الأشياء على
ما يوجب الوقت ، ويرضى بنفاد القضاء ، ولا يتعمى ضد مارزق ، وإن كان
عنده الشيء التافه لا يجب أن يمتنع من بذله لاستحقاقه واستقلاله ؛ لأن أهون
مافيه لزوم البخل والمنع ، ومن حقر شيئاً منعه ، بل يكون عنده الكثرة والقلة في
الحالة سيان ؛ لأن ما يورث الكثير من الخصال أورش الصغير بقدره من الفعال .
حدثنا عمرو بن محمد الأنصاري ، حدثنا الغلابي ، حدثنا إبراهيم بن عمر بن
حبيب عن الأصمعي قال : دخلنا على كهمس العابد ، فناء بخمسة وعشرين
بصرة حمراء ، فقال : هذا الجهد من أخيكم ، والله المستعان .

وأنشدني ابن زنجي :

إن المنى عجبٌ لله صاحبها لعلَّ حَتَفَ امرئٍ فيما تمناه
فإن ترى عبراً فيهنَّ معتبرٌ يجري بها قدر ، فإله أجراه

(١) كذا بالأصل . واللغب واللغوب : التعب

(٢) الجواقات : أوعية من الخيش ونحوه كالزكايب والأخراج ، واحدها جوالق

لا تحقِرَنَّ من الإحسان محقرة أحسن ، فعاقة الإحسان حسناه
حدثنا محمد بن أيوب بن مشكان - بطبرية قصبة الأردن - حدثنا أبو عتبة
حدثنا سلمة بن عبد الملك العرضي حدثنا المعافي بن عمران قال : سمعت ميمون
يقول : من رضى من خلة الإخوان بلا شيء فليواخ أهل القبور .

حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد القيسي حدثنا محمد بن الوليد بن أبان العقيلي
حدثنا نعيم بن حماد قال : أنشدني ابن المبارك :

ما ذاق طعم الغنى من لا قنوع له ولن ترى قانعا ما عاش مفتقرا
والعرف من يآته يحمده عواقبه ما ضاع عُرف ، ولو أوليته حجرا
سمعت يوسف بن يونس الفرغاني يقول : بعث أبو السنور الشاعر إلى الأمير

أبي الأشعث بطبق ورد يوم النيروز هدية ، وبعث إليه بهذه الأبيات :

بعثنا ببرِّ تافهٍ ، دون قدركم وما تبعث الألفاظ للقلِّ والكثر
ولكن ظرفا أن تزيد مودة فهل تكرمنا بالقبول وبالعذر ؟
فلو كان برى حسب ما أنت أهله أتاك إذا روحى على طبق البر

سمعت عمر بن محمد الهمداني يقول : سمعت وزيره بن محمد الغساني يقول :

قدم بعض الكتاب العسكر ، فأهدى إليه إخوانه ، وكان فيهم من قعدت به
الحال ، فوجّه إليه بدقّة وأشنان ، وكتب إليه : لو تمت الإرادة - جعلت فداك ! -
يلوغ النية فيه ، ومكنتي الجدة بسط القدرة لأتعب السابقين إلى برك ،
ولبرزت أمام المجتهدين في فضلك ، ولكن البضاعة قعدت بالهمة ، وقصرت عن
مساماة أهل النعمة ، وكرهت أن تطوى صحيفة الر ، وليس لي فيها ذكر ،
فوجهت إليك بالابتداء به ليمه وبركته ، وبالختتم به لطيبه ونفعه ، مقتصرأ عن
ألم التقصير فيه ، فأما ما سوى ذلك فالعبر عنى فيه قول الله (٩ : ٩١) ليس على
الضعفاء ولا على المرضى ، ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج) والسلام .
حدثنا محمد بن يوسف الأرمي ، حدثنا إبراهيم بن عبدالعزيز الموصلي ، حدثنا

محمد بن علي بن الفضل المدني ، حدثنا عبد الله بن شعيب الزبيرى ، حدثنا محمد ابن إسحاق المسيبى عن القاسم بن المعتمر عن حميد بن معيوف عن أبيه قال « كنت ممن شهد الحكم بن حنطب بمنبج ، وهو يريد أن يموت ، وقد كان لقي من الموت شدة ، فقلت - أو قال رجل - : اللهم هَوِّنْ عليه الموت ، فلقد كان ، ولقد كان . فأثنى عليه ، فأفاق من غشيته ، قال : من المتكلم ؟ قال المتكلم : أنا . قال : إن ملك الموت يقول : إني بكل رجل سخي رقيق ، قال : ثم كأن فتيلة أطفئت . فات ، فبلغ ابن هرمة الشاعر موته فأنشأ يقول :

سألا عن المجد والمعروف أين هما ؟ فقلت : إنهما ماتا مع الحكم .
ماتا مع الرجل الموفى بدمته يوم الحفاظ إذا لم يوف بالدم .
ماذا بمنبج لو تُنبش مقابرها من التهدم بالمعروف والكرم .

حدثنا محمد بن المهاجر ، حدثنا محمد بن موسى السمرى عن حماد بن إسحاق ابن إبراهيم عن أبيه قال : قيل للمغيرة بن شعبة : مابق من لذتك ؟ قال : الإفضال على الإخوان ، قيل : فمن أحسن الناس عيشاً ؟ قال : من عاش بعيشه غيره ، قيل : فمن أسوأ الناس عيشاً ؟ قال : من لا يعيش بعيشه أحد .

ذكر استحباب التفرج عن الناس بقضاء الحوائج

حدثنا أبو عمرو محمد بن محمود النسائي ، حدثنا حميد بن زنجويه ، حدثنا محاضر بن المورع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من نفس عن أخيه كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر ، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر على مسلم ستر الله عليه في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على المسلمين كافة نصيحة المسلمين والقيام بالكشف عن همومهم وكربهم ؛ لأن من نفس كربة من كرب الدنيا عن مسلم

نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن تَحَرَّى قضاء حاجته ولم يُقْضَ قضاؤها على يديه فكأنه لم يقصر في قضاؤها ، وأيسر ما يكون في قضاء الحوائج استحقاق الثناء ، والإخوان يعرفون عند الحوائج ، كما أن الأهل تختبر عند الفقر ؛ لأن كل الناس في الرخاء أصدقاء ، وشر الإخوان الخاذل لإخوانه عند الشدة والحاجة ، كما أن شر البلاد بلدة ليس فيها خِصْب ولا أمن .

وأنشدني الكريزي :

خيرُ أيامِ الفتي يومٌ نَفَعَ واصطناع العرف أبقى مصطنع
ما يُنالُ الخيرُ بالشر ، ولا يَحْصُدُ الزارع إلا ما زرع
ليس كلُّ الدهرِ يوماً واحداً ربما انجط الفتي ، ثم ارتفع

حدثنا محمد بن سليمان بن فارس ، حدثنا أحمد بن سعيد الدارمي ، حدثنا بشر بن عمر ، حدثنا الربيع قال : كان الحسن يقول « قضاء حاجة أخ مسلم أحب إلي من اعتكاف شهرين » .

وأنشدني علي بن محمد البسامي :

سابق إلى الخير وبادر به فإن من خَلَقَكَ ما تعلم
وقدم الخير ، فكل امرئ على الذي قدمه يَقدِّمُ

حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد القيسي ، حدثنا محمد بن موسى البصري ، حدثنا الأصمعي ، حدثنا أبو معمر شبيب بن شيبه الخطيب قال : لما حضرت ابن سعيد ابن العاص الوفاة قال لبيته « يا بني ، أيكم يقبل وصيتي ؟ فقال ابنه الأكبر : أنا قال : إن فيها قضاء ديني ، قال : وما دينك يا أبت ؟ قال : ثمانون ألف دينار ، قال : يا أبت فم أخذتها ؟ قال : يا بني في كريم سددت خَلَّتَه ^(١) ، ورجل جاءني في حاجة وقد رأيت السوء في وجهه من الحياء ، فبدأت بحاجته قبل أن يسألها » قال أبو حاتم رضي الله عنه : حقيق على من علم الثواب أن لا يمنع ما ملك

(١) الخلة ، بالفتح : الحاجة والفقر .

من جاه أو مال إن وجد السبيل إليه قبل حلول المنية ، فيبقى عن الخيرات كلها ، ويتأسف على ما فاته من المعروف .

والعاقل يعلم أن من صحب النعمة في دار الزوال لم يخلُ من فقدها ، وأن من تمام الصنائع وأهناها إذا كان ابتداء من غير سؤال .

حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن المهلبى قال : دخل أبو العتاهية على الرشيد ، فقال : سل يا أبا العتاهية ، فقال :

إذا كان المال يبذل وجهه فلا قرّبتُ من ذلك المال
وأشدنى عبد العزيز بن سليمان :

يبقى الثناء وتنفدُ الأموال ولكل دهر دولةٌ ورجال
ما نال محمّدة الرجال وشكرهم إلا الصبور عليهم المفضل

حدثني محمد بن عبدل بن المهدي الشعراني ، حدثنا محمد بن يزيد الطرسوسى
حدثنا ابن عائشة قال : قال أبى « جاء رجل إلى يحيى بن طلحة بن عبيد الله ،
فقال له : هبلى شيئا ، قال : يا غلام أعطه مامعك ، فأعطاء عشرين ألفا ، فأخذها
ليحملها فقلت عليه ، فقعده بيكى ، فقال : ما بيكيك ؟ لعلك استقلتها فأز يدك ،
قال : لا ، والله ما استقلتها ، ولكن بكيت على ما تأكل الأرض من كرمك ،
فقال له يحيى : هذا الذى قلت لنا أكثر مما أعطيناك » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يجب الإلحاف عند السؤال فى الحوائج ؛ لأن
شدة الاجتهاد ربما كانت سبباً للحرمان والمنع ، والطالب للفلاح كالضرباب
بالقداح : سهم له ، وسهم عليه ، فإن أعطى وجب عليه الحمد ، وإن منع لزمه
الرضاء بالقضاء ، ولا يجب أن يكون السؤال إلا فى ديار القوم ومنازلهم ، لا فى
لحافل والمساجد والملاأ ؛ لأن محمد بن محمود النسائى حدثنا ، قال : حدثنا
على بن خشم ، حدثنا جرير بن عبد الحميد الضبى عن جنيف المؤذن قال :
قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « لا تسألوا الناس فى مجالسهم ومساجدهم

فتفحشوم ، ولكن سلوهم في منازلهم ، فمن أعطى أعطى ، ومن منع منع .
 قال أبو حاتم رضى عنه : الذى قاله عمر بن الخطاب رحمة الله عليه ورضوانه
 إذا كان المستول كريما ، فإنه إن سئل الحاجة في نادى قومه ولم يكن عنده قضاؤها
 تشور وخجل . وأما إذا كان المستول لثيما ودُفع المرء إلى مسألته في الحاجة تقع
 له فإنه إن سأله في مجلسه ومسجده كان ذلك أفضى لحاجته ؛ لأن اللثيم لا يقضى
 الحاجة ديانة ولا مروءة ، وإنما يقضيها إذا قضاها طلباً للذكر والمحمدة في الناس .
 على أنى أستحب للعاقل أن لو دفعه الوقت إلى أكل القَدِّ (١) ومَصِّ الحَصَى
 ثم صبر عليه لكان أحرى به من أن يسأل لثيما حاجة ؛ لأن إعطاء اللثيم شين ،
 ومنعه حَتْف .

ولقد أنشدنى محمد بن عبد الله البغدادي :

إذا أعطى القليل فتى شريف فإن قليل ما يعطيك زين
 وإن تكن العطية من دني فإن كثير ما يعطيك شين

أبنا أحمد بن محمد بن الفضل السجستاني بدمشق ، حدثنا على بن خشرم
 قال : سمعت سعيد بن مسلم بن قتيبة بن مسلم الباهلي يقول : خرجت حاجا فللت
 الحمل ، فنزلت أسائر القطرات ، فقال : أتانا أعرابي ، فقال لى : يافتي لمن الجمال
 بما عليها ؟ قلت : لرجل من باهلة ، قال : يا لله أن يعطى الله باهليا كل ما أرى ،
 قال : فأعجبني از دراؤه بهم ، ومعى صُرَّة فيها مائة دينار ، فرميت بها إليه ،
 فقال : مجزأك الله خيراً ! وافقت منى حاجة ، فقلت : يا أعرابي ، أيسرك أن
 تكون الجمال بما عليها لك وأنت من باهلة ؟ قال : لا ، قلت : أفسرك أن
 تكون من أهل الجنة وأنت باهلي ؟ قال : بشرط أن لا يعلم أهل الجنة أنى من
 باهلة ، فقلت : يا أعرابي ، الجمال بما عليها لى وأنا من باهلة ، قال : فرمى بالصرّة
 إلى ، فقلت : سبحان الله ! ذكرت أنها وافقت منك حاجة ، قال : ما يسرنى

(١) القد : السير من الجلود تخصف به النعال .

أن ألقى الله ولباهليّ عندي يد ، فحدثت بها المأمون ، فجعل يتعجب ويقول :
ويحك ياسعيد ! ما كان أصبرك عليه .

حدثنا محمد بن الرقام بنستر حدثنا أبو حاتم السجستاني حدثنا الأصمعي حدثنا
هاشم بن القاسم قال : سألت سالم بن قتيبة حاجة ، فقضاها ، ثم سألته أخرى ،
فانتهرني وقال : حاجتين في حاجة ، أو قال : على الريق ؟ ثم دعا بالطعام ، فلما
تعدى قال : هات حاجتك ، أما سمعت قول الصبيان :

إذا تغديت وطابتُ نفسي فليس في الحق غلام مثلي
* إلا غلام قد تغدى قبلي *

أبنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابي حدثنا مهدي بن سابق عن عطاء بن مصعب
قال : قال أبو عمرو المنذري : أتيت مسلم بن قتيبة في حاجة ، وكان له صديق
من أهل الشام فكلمته أن يكلمه في حاجتي ، فجعل يقول : اليوم ، غداً ، فطال
عليّ ، فقرأت له ، وقد كان يعرفني ، فدعاني فقال : أبا عمرو ، إنك لههنا ؟
قلت : نعم ، أطلبك بحاجة منذ كذا وكذا وسيلقي فيها فلان ، فضحك وقال :
قد كنت أراك قد أحكمت الآداب ، لا تستعن إلى من تطلب إليه حاجة بمن له
معه طُعمَةٌ : فإنه لا يؤثرُك على طعمته ، ولا تستعن بكذاب : فإنه يقرب لك
البعيد ويبعد لك القريب ، ولا تستعن بأحمق ، فإن الأحمق يجهد لك نفسه ،
ولا يكون عنده شيء ، ولا يبلغ لك ما تريد ، فانصرفت ، فقلت : يكفيني هذا ،
قال : لا ، ولكن تقضى لك حاجتك ، فقضاها .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : لا يجب للعاقل أن يتوسل في قضاء حاجته
بالعدو ، ولا بالأحمق ، ولا بالفاسق ، ولا بالكذاب ، ولا بمن له عند المسئول
طعمة ، ولا يجب أن يجعل حاجتين في حاجة ، ولا أن يجمع بين سؤال وتقاض ،
ولا يظهر شدة الحرص في اقتضاء حاجته ، فإن الكريم يكفيه العلم بالحاجة دون
المطالبة والاقتضاء .

ولقد أنشدني منصور بن محمد الكريزي :
وإذا طلبتَ إلى كريم حاجة فاصبر ، ولا تكُ للمطل مَلُولاً
لا تُظهِرنَ شرهَ الحريص ، ولا تكن عند الأمور إذا نهضت ثقيلًا
وأنشدني محمد بن إسحاق الواسطي العزمي :

وإذا طلبتَ إلى كريم حاجة فحضوره يكفيك والتسليم
فإذا رآك مسلماً عرف الذي حملته فكأنه ملزوم
قال أبو حاتم رضي الله عنه : العاقل لا يتسخط ما أعطى ، وإن كان تافهاً ؛
لأن من لم يكن له شيء فكل شيء يستفيده ربح ، ولا يجب أن يسأل الحاجة
كل إنسان : فرب مهروب منه أنفع من مستغاث إليه ، ولا يجب أن يكون
السائل متشفعاً لآخر ؛ لأن من لم يقدر على أن يسبح فلا يجب أن يحمل على
عنفه آخر ، ومن سئل فليبدل ؛ لأن مال المرء نصفان ، له ما قدم ، ولوارثه
ما خلف ، وأقرب الأشياء في الدنيا زوال المال والولاية ، والتماهد للصنعة
بالتحفظ عليها أحسن من ابتدائها ، ومن غرس غراساً فلا يضمن بالنفقة على
تربيته ، فتذهب النفقة الأولى ضياعاً .

حدثني محمد بن أبي علي الخلابي حدثني محمد بن أبي يعقوب الربعي حدثنا
عبد الكريم بن محمد الموصلي حدثنا أبي ، قال : سمعت أبا تمام حبيب بن أوس
الطائي يقول : وقفت على باب مالك بن طوق الرجبي أشهراً فلم أصل إليه ، ولم
يعلم بمكاني ، فلما أردت الانصراف قلت للحاجب : أتأذن لي إليه أم أنصرف ؟
قال : أما الآن فلا سبيل إليه ، قلت : فأبصال رقعة ؟ قال : لا ، ولا يمكن
هذا ، ولكن هو خارج اليوم إلى بستان له فاكتب الرقعة وارزم بها في موضع
أرانيه الحاجب ، فكتبت :

لعمري ، لئن حجبتني العيب عنك ، فلم تحجب التافيه
سأرمي بها من وراء الجدار شعاعاً تأتيك بالداهية

تصم السميع وتعمى البصير ومن بعدها تسأل العافية
فكسبت بها ورميت بها من المكان الذي أرائه الحاجب فوقعت بين يديه ،
فأخرجها فنظر فيها ، فقال : عليّ بصاحب الرقعة ، فخرج الخادم ، فقال : من
صاحب الرقعة ؟ قلت : أنا ، فأدخلت عليه ، فقال لي : أنت صاحب الرقعة ؟
قلت : نعم ، فاستندني ، فأنشدته . فلما بلغت - ومن بعدها تسأل العافية -
قال : لا ، بل نسأل العافية من قبلها ، ثم قال : حاجتك ؟ فأنشأت أقول :
ماذا أقول إذا انصرفت وقيل لي : ماذا أصبت من الجواد المفصل ؟
وإن قلت : أغناني كذبت ، وإن أقل ضنّ الجواد عماله ، لم يحمل
فاختر لنفسك ما أقول ، فإنني لآلد أخبرهم ، وإن لم أسأل
فقال : إذا والله لا أختار إلا أحسنها ، كم أقتت بيابي ؟ قلت : أربعة أشهر ،
قال : يعطى بعدد أيامه أوفاً ، فقبضت مائة وعشرين ألف درهم .

سمعت محمد بن نصر بن نوفل بقول يقول : سمعت أبا داود السنجي يقول :
كان ببغداد رجل يقال له : ابن الهفت ، فر يوماً على سائل واقف على الجسر ،
وهو يقول : اللهم ارزق المسلمين حتى يعطوني ، فقال له : تسأل ربك الحوالة ؟

ذكر الحث على إعطاء السؤال وطلب المعالي

حدثنا محمد بن صالح الطبري بالصيمرة حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء
الهمداني حدثنا مصعب بن المقدم حدثنا سفيان عن محمد بن المنكدر عن
جابر قال « ما سئل النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً قط فقال : لا ، ولا ضرب بيده
شيئاً قط » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إني لأستحب للمرء طلب المعالي من
الأخلاق ، مع ترك رد السؤال ؛ لأن عدم المال خير من عدم محاسن الأخلاق ،
والندامة موكلة بترك معالجة الفرصة ، وإن الحرّ - حقّ الحرّ - من أعتقته الأخلاق
الجميلة ، كما أن أسوأ العبيد من استعبده الأخلاق الدنية ، ومن أفضل الزاد في

للعاد اعتقاد المحامد الباقية ، ومن لزم معالى الأخلاق أنتج له سلوكها فراخا تطير
بالسرور .

ولقد حدثنى محمد بن سعيد الفزاز حدثنا هارون بن صدقة القاضى حدثنا
المسيب بن واضح يقول : سمعت يوسف بن أسباط يقول : ما كان المال مذ
كانت الدنيا أنفع منه فى هذا الزمان .

وأشدنى محمد بن عبد الله بن زنجى البغداسى :

بادر هواك إذا هممت بصالح خوف العوائق أن تجيء فتغلب
وإذا هممت بسىء فتعدّه وتجنب الأمر الذى يتجنب

قال أبو حاتم رضى الله عنه : ما ضاع مال ورث صاحبه مجداً ، ولولا
المتفضلون مات المتجملون ، وليس يستحق المرء اسم الكرم بالكف عن الأذى
إلا أن يقرنه بالإحسان إليهم ، فمن كثر فى الخير رغبته ، وكان اصطناع المعروف
همته ، قصده الراجون ، وتأمله المتأملون ، ومن كان عيشه وحده ولم يعيش بعيشه
غيره فهو - وإن طال عمره - قليل العمر ، والبأس من طال عمره فى غير الخير ،
ومن لم يتأس بغيره فى الخير كان عاجزاً ، كان أن من استحسن من نفسه
ما يستقبحه من غيره كان كالغاش لمن تجب عليه نصيحته ، ومن لم يكن له همة إلا
بطنه وفرجه عدّ من البهائم ، والهمة تبلغ الرتبة العالية ؛ لأن الناس بهمتهم .

ولقد حدثنا عمرو بن محمد الأنصارى حدثنا الغلابى حدثنا ابن عائشة قال :

قال عبید الله بن زياد بن ظبيان : كان لى خال من كلب ، فكان يقول لى :
يا عبید الله ، هم ؛ فإن الهمة نصف المروءة .

وأشدنى محمد بن إسحاق الواسطى .

قد بلونا الناس فى أخلاقهم فرأيناهم لذى المال تبع
وحبيب الناس من أطمعهم إنما الناس جميعاً بالطمع

حدثنا عمر بن حفص البزار - بجنديسابور - حدثنا إسحاق بن الضيف

حدثنا الحسن بن واقع الرملي حدثنا ضمرة بن ربيعة ، قال : سمعت كديرا
أبا سليمان الضبي يقول « كان لقصر إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم ثمانية أبواب
من حيث جاء السائل أعطى » .

حدثنا محمد بن أحمد الرقام - بتستر - حدثنا إسحاق بن الضيف حدثنا
أبو مسهر حدثنا سعيد بن عبد العزيز أن الحسن بن علي بن أبي طالب رضى الله
عنهم : سمع رجلا إلى جنبه يسأل الله أن يرزقه عشرة آلاف درهم ، فانصرف
فبعث بها إليه .

وأشدنى الكريزى :

لا تحقرنَّ صنيع الخير تفعله ولا صغير فعال الشر من صغره
فلو رأيت الذى استصغرت من حسن عند الثواب أطلت العجب من كبره
سمعت أحمد بن محمد بن عبد الله اليماني يقول : سمعت صالح بن آدم يقول :
أشد إنسان عند عبد الله بن جعفر هذين البيتين :

إن الصنعة لا تكون صنعة حتى يُصابَ بها طريق المصنع
فإذا صنعت صنعة فاعمد بها لله ، أولذوى القرابة ، أودع
فقال عبد الله بن جعفر : إن هذين البيتين يبخلان الناس ؛ ينبغي لمن عمل
بهذا أن يدعو لمن طلب حاجة بالبينة ، بل تَبَّتْ الصنائع وَيُرِّي بها مواضع
القطر حيث حَلَّت ، وفي مثله يقول العتابي :

له في ذوى المعروف نَعْمَى ، كأنه مواقعُ ماء القطر في البلد القفر
إذا ما أتاه السائلون لحاجة علته مصابيحُ الطلاقة والبشر
حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد القيسي حدثنا أحمد بن مسروق حدثني ابن
أبي سعيد عن شيخ له قال : رأيت ابن المبارك يعصُّ يد خادم له ، فقلت له :
تعصُّ يدَ خادمك ؟ قال : كم أمره أن لا يعد الدرهم على السؤال ، أقول له :
أحْتُ لهم حَسْواً

حدثنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابي حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه قال : قال إبراهيم بن أبي البلاد : حدثني أخي قال : رأيت الحجاج بمنى في عمله على العراق ، وقام إليه رجال من أهل الحجاز يسألونه ، فقال : توهمتم بنا أننا بغير بلادنا وما لكم متّرك ، من ههنا من أهل العراق ؟ فقام إليه تجار أهل العراق ، فقال : هل من سلف ؟ فقالوا : نعم ، فحملوا إليه ألف ألف درهم ، فقسّمها ، فلما قدم العراق ردها ، وأكثرتني أنها ومثلها معها .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على العاقل أن يبدأ بالصنائع والإحسان الأقرض فالأقرض ، يبدأ بأهل بيته ، ثم بإخوانه وجيرانه ، ثم الأقرب فالأقرب ، ويتحرى المعروف والإحسان في أهل الدين والعلم منهم ، ويحتب ضد ما قلنا ؛ لأن مثل من لم يفعل ما أوامنا إليه كما أنشدني الحسين بن أحمد البغدادي :

تصوّل على الأدنى ، وتجتنب العداً وما هكذا تُبني المكارمُ يا يحيى
فكنتَ كفحل السوء يزو بأمه ويترك باقي الخيل سائمة ترعى
وأنشدني البسامي :

وكنت كهمريق الذي في سقائه لرقرق ماءً فوق رابية صدّد
كمرضة أولادٍ أخرى ، وضيّعت بني بطنها ، هذا الضلال من القصد

قال أبو حاتم رضي الله عنه : العاقل يبتدىء بالصنائع قبل أن يسأل ؛ لأن الابتداء بالصنّعة أحسن من المكافأة عليها ، والإمساك عن التعرض خير من البذل ، والصنائع إنما تحسن بإتمامها ، والتحافظ عليها بعدها ؛ لأن بصلاح الخواتم تزكو الأوائل ، والعطية بعد المنع أجمل من المنع بعد العطية ، والناس في الصنائع على ضربين : شاكر ، وكافر ، ولقد أنشدني بعض إخواننا :

وما الناسُ في حسن الصنّعة عندهم وفي كفرهم إلا كبعض المزارع

فزرعة طابت وأضف ريعها ومزرعة أكثت^(١) على كل زارع

وأنشدني محمد بن عبد الله البغدادي :

ومن يَصِحَّ المعروف في غير أهله يكن ضائعاً في غير حمد ولا أجر

وحسب امرئ من كُفِرُ نَعْمَى جُحُودُهَا إذا وقعت عند امرئ غير ذي شكر

وأنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

لعمرك ما للمعروف في غير أهله وفي أهله إلا كبعض الودائع

فستودع ضاع الذي كان عنده ومستودع ما عنده غير ضائع

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الهمج من الناس إذا أحسن إليه يرى ذلك

استحقاقاً منه له ، ثم يرى الفضل لنفسه على المحسن إليه ، فلا يحمد عند الخير ،

ولا يشكر عند البر ، ويتعجب ممن يشكر ، ويذم من يحمد ، وإذا امتحن العاقل

مثل من هذا نعتة استعمل معه ما أنشدني الكريزي :

إن ذا اللؤم إذا أكرمه حَسِبَ الإكرام حقاً لزمك

فأهنه بهوان ، إنه إن تهنه بهوان أكرمك

وأنشدني الأبرش :

إذا أوَّلتَ معروفًا ثيماً يَعُدُّكَ قد قتلت له قتيلاً

فكن من ذلك معتذراً إليه وقل : إني أتيتك مستقيلاً

فإن تغفر ، فمجتري عظيم وإن عاقبت لم تظلم فتَيْلاً

ولست بعائد أبدا لهذا وقد حَمَلْتَنِي حَمَلًا ثَقِيلًا

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أهنا الصنائع ، وأحسنها في الحقائق ، وأوقعها

بالقوب ، وأكثرها استدانة للنعم ، واستدفاعاً للنقم ، ما كانت خالية عن المن في

البداءة والنهاية ، متعرية عن الامتنان ، وهو الغاية في الصنعة ، والنهاية في

الإحسان .

(١) أى: منعت وخيبت ظن الزارع ، وأصله من الكدية ، وهى القطعة الغليظة

الصلبة من الأرض لا يعمل الفأس فيها .

ولقد أنشدني محمد بن عبد الله البغدادي :

أحسنُ من كلِّ حسنٍ في كلِّ وقتٍ وورنٍ
صنيفةٌ مربوبةٌ خاليةٌ من المننِ

حدثنا محمد بن غدار بن محمد الحارثي بالبصرة حدثنا سهل بن زادويه حدثنا

محمد بن أبي الدواهی عن أبيه قال : قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

ما أحسن الدنيا وإقبالها إذا أطاعَ اللهَ من نالها

من لم يؤاس الناس من فضلها عرض للإديار إقبالها

فاحذر زوال الفضل يا حائرأ واعط من الدنيا لمن سالها

فإن ذا العرش سريع الجزأ يُخلف بالحبة أمثالها

حدثنا محمد بن المهاجر حدثنا محمد بن أحمد بن النضر المعنى حدثني سعيد

حدثني أبوك - يعني أباه أحمد بن النضر - قال : كان بالكوفة قوم من العرب ،

فأصابت رجلا منهم حاجة ، فكان عياله يفتلون ويبيعون ، وكان يشركهم ،

فقالوا : لاتعود علينا بشيء ، وما نكسب تشركنا فيه ، فأنف من قولهم ، فخرج

يَوْمَ بغداد ، ولم يدخل بغداد قبل ذلك ، وليس له حميم ولا قريب بها ، فدخلها

ومرَّ على وجهه ، فر على باب يعقوب بن داود كاتب المهدي ، فرأى قوماً جلوساً

عليهم بزة ، فقال : ما أخلق هؤلاء دُعوا إلى وليمة ، لو دخلت معهم لعلِّي أصيب

شعبة ، فاندس معهم ، فخرج الإذن ، فقال : ادخلوا ، فدخلوا إلى دار قوراء

كبيرة ، وإذا بهو في صدر الدار ، فجلسوا في البهويةمنة ويسرة ، وأخلوا الصدر

فجاء يعقوب فسلم عليهم وقعد ، ثم قال : يا غلام ، هات ، فجاء بصوانٍ عليها

مناديل مغطى بها ، وإذا فيها أكياس ، فقال : أعطهم ، فوضعوا في حجر كل

رجل منهم كيسا ، ووضعوا في حجري كيسا ، حتى فرغ منهم ، ثم قال : أعد

عليهم ، فوضع في حجر كل رجل منهم كيسا ، ووضعوا في حجري كيسا حتى

والى بين خمسة أكياس ، ثم قال : قوموا مبارك لكم ، وقد تعينه الخدم ، وليس

له عندهم اسم ولم يعرفوه : فلما بلغ الدهليز ربطوه فصاح وصاحوا ، وسمع يعقوب الصوت ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : رجل دخل مع هؤلاء القوم لا نعرفه ، فقال : على به ، فقال له : يا عبد الله ، ما أدخلك هذه الدار ؟ قصص عليهم القصة والسبب الذي دخل له ، فقال له : من أين أنت ؟ قال : من أهل الكوفة ، قال : من يعرفك بالكوفة ؟ قال : يعرفني فلان وفلان ، فسمى له قوماً يعرفهم ، فقال : خلوا عن الرجل ، إنا كاتبون إلى هؤلاء القوم : فإن كان الأمر على ما ذكرت ، فتعال كل سنة في هذا الوقت ، ولك عندنا مثل هذا ، وكتب إلى القوم ، فسألم فكتبوا بمعرفته ، فكان يحيى أيام حياته يأخذ خمسة آلاف وينصرف .

ذكر الحث على الضيافة وإطعام الطعام

حدثنا حامد بن محمد بن شعيب البلخي ببغداد حدثنا منصور بن أبي مزاحم حدثنا أبو الأحوص عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إني لأستحب للعاقل المداومة على إطعام الطعام والمواظبة على قرى الضيف ؛ لأن إطعام الطعام من أشرف أركان الندى ، ومن أعظم مراتب ذوى الحجى ، ومن أحسن خصال أولى النهى ، ومن عرف بإطعام الطعام شرف عند الشاهد والغائب ، وقصده الراضى والعاتب ، وقرى الضيف يرفع المرء وإن رقَّ نسبه إلى منتهى بغيته ونهاية محبته ، ويشرفه برفيع الذكر وكال الذخر .

حدثنا محمد بن زنجويه القشيري حدثنا أبو مصعب حدثنا الدراوودي عن يحيى بن سعيد أنه سمع سعيد بن المسيب يقول : كان إبراهيم الخليل أول من أضاف الضيف .

حدثنا الأنصاري حدثنا الغلابي حدثنا إبراهيم بن عمر بن حبيب حدثنا الأصمعي أخبرني نافع بن أبي نعيم قال : قال رجل ممن قد أدرك الجاهلية « قدمت المدينة ، فإذا منادٍ ينادى : من أراد الشحم واللحم فليأت دار دليم ، وهو جد سعد ابن عبادة بن دليم سيد الخزرج ، ثم ضرب الزمان من ضربه ، فقدمت المدينة ، فإذا منادٍ ينادى : من أراد الشحم واللحم فليأت دار عبادة ، ثم ضرب الزمان من ضربه فقدمتها ، فإذا منادٍ ينادى : من أراد الشحم واللحم فليأت دار سعد .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : كل من ساد في الجاهلية والإسلام حتى عرف بالسؤدد ، واقاد له قومه ، ورحل إليه القريب والقاصي ، لم يكن كمال سؤدده إلا بإطعام الطعام ، وإكرام الضيف .

والعرب لم تكن تعدُّ الجود إلا قرئى الضيف ، وإطعام الطعام ، ولا تعد السخى من لم يكن فيه ذلك ، حتى إن أحدهم ربما سار في طلب الضيف الميل والميلين .

ولقد حدثني محمد بن المنذر حدثنا علي بن الحسن الفلسطيني حدثنا أبو بكر السني حدثنا محمد بن سليمان القرشي قال : بينا أنا أسير في طريق اليمن إذا أنا بفلام واقف على الطريق في أذنيه قرطان ، وفي كل قرطة جوهرة يضيء وجهه من ضوء تلك الجوهرة ، وهو يمجذ ربه بأبيات من شعر ، فسمعتة يقول :

ملك في السماء به افتخارى عزيز القدر ليس به خفاء
فدنوت إليه ، فسلمت عليه ، فقال : ما أنا براد عليك سلامك حتى تؤدي من حقى الذى يجب لى عليك ، قلت : وما حَقك ؟ قال : أنا غلام على مذهب إبراهيم الخليل ، لا أتعدى ولا أتعشى كل يوم حتى أسير الميل والميلين فى طلب الضيف ، فأجبتة إلى ذلك ، قال : فرحبت بى وسرت معى حتى قربنا من خيمة شعر ، فلما قربنا من الخيمة صاح : يا أخطاه ، فأجابتة جارية من الخيمة بالبيكاه

قال : قومى إلى ضيفنا هذا ، قال : قالت الجارية : اصبر حتى أبدأ بشكر المولى الذى سبب لنا هذا الضيف ، قال : قامت وصلت ركعتين شكر الله ، قال :

فأدخلني الخيمة ، فأجلسني ، فأخذ الغلام الشفرة ، وأخذ عناقاً له ليذبحها^(١) ، فلما جلست في الخيمة نظرت إلى جارية أحسن الناس وجهاً ، فكنت أسارقها النظر ، ففطنت لبعض لحظاتي ، فقالت لي : مه ، أما علمت أنه قد نقل إلينا عن صاحب يثرب - تعنى النبي صلى الله عليه وسلم - : أن « زناً العينين النظر » أما إني ما أردت بهذا أن أوبخك ، ولكني أردت أن أؤدبك لكيلا تعود لمثل هذا ، فلما كان وقت النوم بتُّ أنا والغلام خارج الخيمة ، وباتت الجارية في الخيمة ، قال : فكنت أسمع دويّ القرآن الليل كله أحسن صوت يكون وأرقه ، فلما أن أصبحت قلت للغلام : صوت من كان ذلك ؟ قال : فقال : تلك أختي تُحبي الليل كله إلى الصباح ، قال : فقلت : يا غلام ، أنت أحق بهذا العمل من أختك ، أنت رجلٌ وهى امرأة ، قال : فتبسّم ، ثم قال : ويحك يا فتى ! أما علمت أنه موفق ومخدول .

وأشدنى محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :

إذا ما أتاك الضيفُ فابدأ بحقه قبل العيال ، فإنَّ ذلك أظوب^(٢)
وعظّم حقوق الضيف واعلم بأنه عليك بما توليه مثنًى وذاهب

أبناً نا أحمد بن قريش بن عبد العزيز حدثنا إبراهيم بن محمد الذهلي عن الحسن بن عيسى بن ماسرجس قال : صحبت ابن المبارك من خراسان إلى بغداد فما رأيته أكلَ وحده .

حدثني محمد بن عثمان العقبي حدثنا أبو أمية حدثنا عصام بن عمرو أبو حميد الطائي حدثنا عمرو بن هانيء قال : كان رافع بن عميرة بن عمرو السنبسي - فخذٌ من طيء - يُفدّي أهل ثلاثة مساجد ، ويعشيهم ، يوماً بثراند ، ويوماً برطبة ، يعنى الحيس ، وماله قيص إلا قيص هو لجمته وهو للبيت .

(١) الشفرة - بالفتح - السكين . والعناق - بوزن السحاب - الأثني من ولد المبرز

(٢) عجز هذا البيت لا يستقيم مع صدره ولا مع ما بعده

قال أبو حاتم رضى الله عنه : يجب على العاقل ابتغاء الأضياف ، وبذل الكسْر ؛ لأن نعمة الله إذا لم تُصنَّ بالقيام في حقوقها ترجع من حيث بدأت ، ثم لا ينفع من زالت عنه التلطف عليها ، ولا الإفكار في الظفر بها ، وإذا أدى حق الله فيها استجلب النماء والزيادة ، واستذخر الأجر في القيامة ، واستقصر إطعام الطعام .

وعنصر قرى الضيف هو ترك استحقاق القليل ، وتقديم ما حضر للأضياف ؛ لأن من حَقَّرَ منع ، مع إكرام الضيف بما قدر عليه ، وترك الادخار عنه .
ولقد حدثني كامل بن مكرم حدثنا محمد بن يعقوب الفرجى حدثنا الوليد ابن شجاع حدثنا عقبه بن علقمة ومبشر بن إسماعيل أنهما سألا الأوزاعى : ما إكرام الضيف ؟ قال : طَلَاقة الوجه ، وطيب الكلام .

وأنشدنى الكريزى فى قوم لم يكونوا يضيفون :

أقاموا الدَّيدبانَ على يَفَاعٍ ^(١) وقالوا : لا تَمَّ للديدبان

إذا أبصرت شخصاً من بعيد فصقَّ بالبنان على البنان

تراهم خشية الأضياف خُرْساً يُصَلُّون الصلاة بلا أذان

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أبجل البخلاء من بخل بإطعام الطعام ، كما أن من أجود الجود بذله ، ومن صنَّ بما لا بد للجنة منه ، ولا تربو النفس إلا عليه : كان بغيره أبجل ، وعليه أشجع .

ومن إكرام الضيف طيب الكلام ، وطلاقة الوجه ، والخدمة بالنفس ، فإنه لا يَدِلُّ من خدم أضيافه ، كما لا يعزُّ من استخدمهم ، أو طلب لقراه أجراً .

وأنشدنى كامل بن مكرم أنشدنى محمد بن سهيل :

وإني لطلق الوجه للمبتغى القرى وإنَّ فِنائى للقرى لرحيبُ

أضحك ضيفي عند إنزال رحله فيخصبُ عندى ، والمحلُّ جديبُ

(١) اليفاع : الأرض المرتفعة .

وما للخصب للأضياف أن يكثر القرى ولكننا وجه الكريم خصيب
وأشدنى الأبرش :

لا تبخلنّ بدنيا ، وهي مقبلة فليس ينقصها التبذير والسرف
وإن تولت فأحري أن تجود بها فالحمد منها إذا ما أدبرت خلف
أبنا أنصاري حدثنا الغلابي حدثنا العقبى عن أبي مخنف لوط بن يحيى
حدثني هشام بن عروة عن أبيه : أن قيس بن سعد بن عبادة خرج من مصر ،
فمر بأهل بيت من القين فنزل بهم ، فنحر لهم المنزل جزوراً وأنام به ،
فقال : دونكم ، فلما كان من الغد نحر لهم آخر ، ثم حبستهم السماء اليوم
الثالث ، فنحر لهم مثله ، فلما أراد قيس أن يرتحل وضع عشرين ثوباً من ثياب
مصر وأربعة آلاف درهم عند امرأة الرجل ، وخرج قيس ، فمأسار إلا قليلا
حتى أتاه صاحب البيت على فرس كريم ورمح طويل ، وقدامه الثياب والدرهم ،
فقال : يا هؤلاء ، خذوا بضاعتكم عنى ، قال قيس : انصرف أيها الرجل ، فإننا لم
نكن لناخذها ، فقال الرجل : لتأخذنّها ، أو لا ينفذ منكم رجل ، أو تذهب
نفسى ، فعجب قيس منه ، وقال : لِمَ ؟ الله أبوك ! ألم تكرمنا وتحسن إلينا ؟
فكافأناك ، مافى هذا من بأس ، فقال الرجل : إنا لا نأخذ قري ابن السليل
وقرى الضيف نمتاً ، لا والله لا أفعل أبداً ، قال لهم قيس : أما إذ أبى فخذوها
منه ، فأخذوها ، ثم قال قيس : ما فضلنى ^(١) رجل غير هذا .

حدثني أحمد بن عمرو الزنبقي بالبصرة حدثنا الحسن بن مدرك السدوسى
حدثنا عبد العزيز بن عبد الله القرشى حدثنا سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب
قال : لأن أشبع كبداً جائعة أحب إلى من حجة بعد حجة .

حدثنا محمد بن سعيد القزاز حدثني عيسى بن أبي موسى الأنصارى حدثني
أبي حدثنا أحمد بن بشير عن هشام بن عروة عن أبيه ، قال : كان من دعاء قيس

(١) فضلنى : زاد على فى الفضل وأرى .

ابن سعد بن عبادة « اللهم ارزقني مالا وفعالا؛ فإنه لا يصلح الفعّال إلا بالمال »
ذكر الحمت على المجازاة على الصنائع

حدثنا الفضل بن الحباب الجمحي حدثنا عبد الرحمن بن بكر بن الربيع
ابن مسلم ، قال : سمعت الربيع بن مسلم يقول : سمعت محمد بن زياد يقول : سمعت
أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من لا يشكر الناس
لا يشكر الله » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على من أسدى إليه معروف أن يشكره
بأفضل منه أو مثله ؛ لأن الإفضال على المعروف في الشكر لا يقوم مقام ابتدائه
وإن قلَّ ، فمن لم يجد فليُثِن عليه ؛ فإن الثناء عند العدم يقوم مقام الشكر
للمعروف ، وما استغنى أحد عن شكر أحد .

ولقد أنشدني محمد بن زنجي البغدادي :

فلو كان يستغنى عن الشكر ماجد لعزة مُلْك ، أو علوَّ مكان
لأمر الله العباد بشكره فقال : اشكروني أيها الثقلان
وأنشدني الكريزي :

إذا المرء لم يشكر قليلا أصابه فليس له عند الكثير سُكُور
ومن يشكر الخلق يشكر لربه ومن يكفر الخلق فهو كفور

وأنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

حافظ على الشكر كي تستجزل القسا من ضيِّع الشكر لم يستكمل النعا
الشكر لله كنز لا نفاذ له من يلزم الشكر لم يكسب به ندما
حدثنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابي حدثنا العقبى قال : مر سعيد بن العاص
بدار رجل بالمدينة فاستسقى فسقوه ، ثم مر بعد ذلك بالدار ومناد ينادى عليها
فيمين يزيد ، فقال لمولاه : سل ، لم تباع هذه ؟ فرجع إليه فقال : على صاحبها دين
قال : فارجع إلى الدار ، فرجع ، فوجد صاحبها جالسا وغريمه معه ، فقال : لم تباع

دارك؟ قال: لهذا علي أربعة آلاف دينار، فنزل وتحدث معهما، وبعث غلامه فأتاه ببذرة فدفع إلى الغريم أربعة آلاف، ودفع الباقي إلى صاحب الدار، وركب ومضى.

وأنشدني المنتصر بن بلال:

ومن يُسدِّ معروفًا إليك، فكن له
ولا تبخلن بالشكر، والقرضَ فاجزِه
وأنشدني بعض أهل العلم.

فكن شاكرًا للمنعين لفضلهم
ومن كان ذا شكر فأهلُ زيادة
وأنشدني الكريزي:

أحق الناس منك بحسن عون لمن سلفت لكم نعم عليه
وأشكرهم أحقهم جميعا بحسن صنيعه منكم إليه
قال أبو حاتم رضى الله عنه: الحر لا يكفر النعمة، ولا يتسخط المصيبة،

بل عند النعم يشكر، وعند المصائب يصبر، ومن لم يكن لقليل المعروف عنده وقع أو شك أن لا يشكر الكثير منه، والنعم لا تستجلب زيادتها ولا تدفع الآفات عنها إلا بالشكر لله جل وعلا، ولمن أسداها إليه.

ولقد حدثني أحمد بن محمد القيسي حدثني محمد بن المنذر حدثنا إسحاق بن إبراهيم القرشي قال: سمعت أبا عبيدة معمر بن المثنى يقول ماتت لعبيد بن معمر بنت، فقعده في المأتم في مسجده في سكة سبانوش، فجاء عبيد الله بن أبي بكره معزيا، وإذا الأشراف قد أخذوا مواضعهم، فنظر إليه رجل قد كان سبق إلى مجلسه مع الأشراف قد عرفه، فقام فأما، وجعل يقول له: ههنا، حتى أخذ بيده فأقعده في مجلسه، ثم ذهب فقعده في أخريات الناس، فأمر عبيد الله غلاما كان معه أن يتعاهده إلى قيامه، فلما قام دعا الرجل، فقال: أتعرفني؟ قال: نعم، قال: من أنا؟ قال: أنت عبيد الله بن أبي بكره صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال : فما حملك على تركك مجلسك لي ؟ قال : إجلالا لولد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما أوجب الله على أمثالي خصوصا من التبجيل ، فقال له عبيد الله : هل لك على أن تصحبنا إلى ضيعة نريد أن نصير إليها ؟ قال نعم ، قال فصحبه الرجل إلى تلك الضيعة في نهر مكحول ، ضيعة فيها ثلاثمائة جريب نخيل وعلى وجه الضيعة قصر بُني بأجرٍ وجص وخشب ساج ، فلما دخل الضيعة أخذ عبيد الله بيد الرجل وجعل يدور به في تلك النخيل ، فقال للرجل : كيف ترى هذه الضيعة ؟ قال : تالله ما رأيت نخيلا أحسن منها ، ولا أكثر ثمرة ولا أسرى ضيعة منها ، قال : قد جعلناها لك بما فيها من الخدم والآلة نبعث إليك بصكها ، قال : فاستطار الرجل فرحا وبكاء ، وقال : أنعشتني وأنعشت عيالي ، فقال عبيد الله : وكم لك من العيال ؟ قال : ثلاثة عشر نفسا ، قال : فإنني قد جعلت اسم عيالك في اسم عيالي : أنفق عليهم ما عشت ، فقال له عبيد الله : من تكون له مثل هذه الضيعة يحتاج أن يكون منزله في سرّة البصرة ، إذا صرنا إلى منزلنا فاغد علينا نأمر لك بشراء دار تشبه هذه الضيعة ، ورأس مال وخدم تصلح لدارك تعيش بها إن شاء الله ، قال : فعدا الرجل عليه ، فأمر له بشراء دار بخمسة آلاف دينار ، وأعطاه عشرة آلاف دينار ، ودفع إليه صك الضيعة ، وأمر له بدابة وبغل وسائس وكسوة وصرفه .

وأنشدني الأبرش :

الشكر يفتح أبوابا مغلقة لله فيها على من رامه نعم
فبادر الشكر ، واستغلق وثائقه واستدفع الله ما تجرى به النقم
حدثنا أحمد بن الحسن اللدائني بمصر قال : سمعت الربيع بن سليمان يقول :
أخذ رجل بركاب الشافعي ، فقال : ياربيع أعطه أربعة دنانير ، قال : فأعطيته إياها
وأنشدني محمد بن إسحاق بن حبيب :

ومن يشكر العرف الصغير فإنه سينى ، ويحتر المزيّد أصاغره

ومن يشكر المعروف يحمّد إليه ويضعف أضعافاً على الحمد شاكره
وأشدني ابن زنجي البغدادي :

وإذا اصطنعتَ إلى أخيك صنيعاً ، فانسَ الصنيعه
والشكر من كرمِ الفتى والكفر من لؤمِ الطبعه
والصبر أكرمُ صاحبِ فاصبه ، إن تزكّت فبجعه

حدثنا أحمد بن قريش بن بشر بن عبد العزيز حدثنا إبراهيم بن محمد الذهلي
حدثنا أحمد بن خليل حدثنا يحيى بن أيوب عن أبي عيسى قال : كان إبراهيم
ابن آدم إذا صنع إليه أحد معروفًا حرص على أن يكافئه ، أو يتفضل عليه ، قال
أبو عيسى : فلقيني وأنا على حمار ، وأنا أريد بيت المقدس ، جئت من الرملة ،
قال : وقد اشترى بأربعة دوانيق تَفاحاً وسَفَرَجَلاً وَخَوْحاً وفاكهة ، فقال :
يا أبا عيسى : أحب أن تحمل هذا ، قال : وإذا عجوز يهودية في كوخ لها ، فقال :
أحب أن توصل هذا إليها ، فإني مررت وأنا نائمٌ ، فبيتتني عندها ، فأحب أن
أكافئها على ذلك .

وأشدني الكريزي .

يدُ المعروف غمٌّ حيث تُسدَى تحمّلها شكورٌ ، أم كفورٌ
أكفي شكر الشكور لها جزاءً وعند الله ما كفر الكفور
وأشدني بعض أهل العلم :

رهنتُ يدي للعجز عن شكر برّه وما فوق شكري للشكور مزيد
ولو كان شيء يستطيعُ استطعته ولكنّ مالا يستطيعُ شديد
قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على المرء أن يشكر النعمة ، ويحمد
المعروف على حسب وسعهِ وطاقته ، إن قدر في الضعف ، وإلا فبالمثل ،
وإلا فبالمعرفة بوقوع النعمة عنده ، مع بذل الجزاء له بالشكر ، وقوله : جزاك الله
خيراً ، فمن قال له ذلك عند العدم فكأنه أبلغ في التناء .

ومن الناس من يكفر النعم ، وكفران النعم يكون من أحد رجلين : إما رجل لا معرفة له بأسباب النعم والمجازاة عليها ، لما لم يركب فيه من التفقد لمراعاة العشرة ، فإذا كان كذلك وجب الإغضاء عنه ، وترك المناقشة على فعله ، والرجل الآخر : أن يكون ذا عقل لم يشكر النعمة ، استخفافاً بالمنعم ، واستحقاراً للنعمة ، وتهاوناً في نفسه لها أو لأحدهما ، فإذا كان كذلك يجب على العاقل ترك العود إلى فعل مثله ، والخروج باللائمة على نفسه إذا كان له خبرة به .

وأنشدني علي بن محمد :

علامة شكر المرء إعلان حمده فن كتم المعروف منهم فما شكر
إذا ما صديقي نال خيراً ، فخانني فما الذنب عندي للذي خان أو فخر
ولكن إذا أكرمه بعد كفره فإني ملوم حيث أكرم من كفر

وأنشدني محمد بن إسحاق بن حبيب :

إذا أنا أعطيت القليل شكرتم وإن أنا أعطيت الكثير فلا شكر
وما ملت نفسي في قضاء حقوقكم وقد كان لي فيما اعتذرت به عذر

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إني لأستحب للمرء أن يلزم الشكر للصنائع والسعى فيها من غير قضاؤها إذا كان المنعم من ذوى القدر فيه ، والاهتمام بالصنائع لأن الاهتمام ربما فاق المعروف ، وزاد على فعل الإحسان . إذ المعروف يعمل المرء لنفسه ، والإحسان يصطنعه إلى الناس ، وهو غير مهم به ، ولا مشفق عليه ، وربما أفعله الإنسان وهو مكاره . والاهتمام لا يكون إلا من قرط عناية وفضل ود ، فالعاقل يشكر الاهتمام أكثر من شكره للمعروف .

أنشدني عبد العزيز بن سليمان :

لأشكرنك معروفًا همتَ به إنَّ اهتمامك بالمعروفِ معروفُ
ولا ألومك إن لم يمضه قدرٌ فالشيء بالقدر المجلوب مصروفُ

وأنشدني ابن زنجي البغدادى .

بَطَرَ النِّعْمَةَ مَنْ ضَيَّعَهَا وَمُضِيعَ الشُّكْرِ مُسْتَدْعَى الْفِتْرِ
فاجعل الشكر عليها حازساً ربما ابتزَّ الفتى النعمى البطر
حدثني عمرو بن محمد حدثنا محمد بن زكريا حدثنا محمد بن عبد الله الجشمي
حدثنا علي بن محمد قال : مر عمر بن هبيرة - لما انصرف في طريقه -
فسمع امرأة من قيس تقول : لا والذي ينجي عمر بن هبيرة ، فقال : يا غلام ،
أعطاها مامعك ، وأعلمها أني قد نجوت .

ذكر الحث على سياسة الرياسة ، ورعاية الرعية

حدثنا عبد الله بن قحطبة حدثنا العباس بن عبد العظيم العنبري حدثنا مؤمل
ابن إسماعيل حدثنا سفيان حدثنا عبد الله بن دينار قال : سمعت ابن عمر يقول :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته ،
فالأمريراع على رعيته ، ومسئول عنهم ، والرجل راع على أهل بيته ، وهو مسئول
عنهم ، والمرأة راعية على بيت زوجها ، وهي مسئولة عنه ، والعبد راع على مال
سيده ، وهو مسئول عنه » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : صرحت السنة عن المصطفى صلى الله عليه
وسلم بأن كل راع مسئول عن رعيته ، فالواجب على كل من كان راعياً لزوم
التعاهد لرعيته ، فرعاة الناس العلماء ، وراعى الملوك العقل ، وراعى الصالحين تقواهم
وراعى المتعلم معلمه ، وراعى الولد والده ، كما أن حارس المرأة زوجها ، وحارس
العبد مولاه ، وكلُّ راع من الناس مسئول عن رعيته .

وأكثر ما يجب تعاهد الرعية للملوك ؛ إذ هم رعاة لها ، وهم أرفع الرعاة لكثرة
نفاذ أمورهم ، وعقد الأشياء وحلها من ناحيتهم ، فإذا لم يراعوا أوقاتهم ولم
يحتاطوا لرعيتهم هلكوا وأهلكوا ، وربما كان هلاك عالم في فساد ملك واحد ،
ولا يدوم مُلْكُ ملك إلا بأعوان تطيعه ، ولا يطيعه الأعوان إلا بوزير ، ولا يتم
ذلك إلا أن يكون الوزير ودوداً نصحوا ، ولا يوجد ذلك من الوزير إلا بالعفاف

والرأى ، ولا يتم قوام هؤلاء إلا بالمال ، ولا يوجد المال إلا بصلاح الرعية ، ولا تصلح الرعية إلا بإقامة العدل ، فكأن ثبات الملك لا يكون إلا بلزوم العدل ، وزواله لا يكون إلا بفارقه .

فالواجب على الملك أن يتفقد أمور عماله ، حتى لا يخفى عليه إحسان محسن ، ولا إساءة مسيء ؛ لأنه إذا جنى عليه أعمال عماله لم يكن قائماً بالعدل .

ولقد أنشدني علي بن محمد البسامي :

إذا سئمت قوما فاجمل العدل بينهم وبينك : تأمن كل ماتتخوف

وإن خفت من أهواء قوم تشتتا فبالجود فاجمع بينهم يتألقوا

حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا إبراهيم بن عمر بن حبيب القاضي حدثنا الأصمعي قال : قال ملك طخارستان لنصر بن سيار : ينبغي للأمير أن يكون له ستة أشياء : وزير يثق به ويفضى إليه بسره ، وحصان يلجأ إليه إذا فرغ أنجاه يعني فرساً ، وسيف إذا نازل به الأقران لم يخف أن يخونه ، وذخيرة خفيفة الحمل إذا نابتة نائبة أخذها ، وامرأة إذا دخل إليها أذهبت همه ، وطباخ إذا لم يشته الطعام صنع له شيئاً يشتهي .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : لا يجب للسلطان أن يفرط البشاشة والمهاشة للناس ، ولا أن يقلل منهما . فإن الإكثار منهما يؤدي إلى الخفة والسخف ، والإقلال منهما يؤدي إلى العجب والكبر ، ولا ينبغي له أن يقضب ؛ لأن قدرته من وراء حاجته ، ولا أن يكذب ؛ لأنه لا يقدر أحد على استكراهه ، ولا له أن يبخل ؛ لأنه لا عذر له في منع الأموال والجاه معا ، ولا له أن يحقد ؛ لأنه يجب أن يترفع عن المجازاة ، فأفضل السلطان مالم يخاطه البطر ، وأعجزم آخذهم بالمؤينا . وأقلهم نظراً في العواقب ، وخير السلطان من أشبه التسر حوله الجيف ، لامن أشبه الجيف حولها النسور .

ويجب عليه استنباط الرياسة ، وما فيه من نعمة الله عليه ، بلزوم تقوى الله وتفقد

أمور الرعية ، وإنصاف بعضهم بعضاً ؛ لأنه مامن قوى في الدنيا إلا وفوقه أقوى منه ، فمتى ما عرف السلطان فضل قوته على الضعفاء ففرَّه ذلك من قوة الأقوياء كانت قوته حينئذٍ عليه وهلاكه ، والضعيفُ المحترسُ أقرب إلى السلامة من القوى المغتر ؛ لأن سرعة الاسترسال لا تكاد تستقال ، ولا يجب أن يجعل في سلطانه بعقاب من يخاف أن يندم عليه ، ولا يتقن بمن عاقبه من غير جرم .

وما أشبه السلطان إلا بالنار ، إن قصرت بطل نفعها ، وإن جاوزت عظم ضررها ، فخير السلطان من أشبه الغيث في أحيائه في نفع من يليه ، لا من أشبه النار في أكلها ما يليها .

والسلطان إذا كان عادلاً خيراً من المطر إذا كان ابلاً ، وسلطان غشوم خيراً من فتنة تدوم ، والناس إلى عدل سلطانهم أحوج منهم إلى خصبِ زمانهم .
ولقد حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا مرجي بن المؤمل بن المنى المرى عن أبيه قال : قال الأحنف بن قيس « الولي من الرعية مكان الروح من الجسد الذي لا حياة له إلا به ، وموضع الرأس من أركان الجسد الذي لا بقاء له إلا معه » .

وأشدني ابن زنجي البغدادي للأفوه الأودي :

لا يصلحُ الناسَ فَوْضَى لاسرَّةَ لهم ولا سرَّاةَ إذا جُهاَلهمُ سادوا
والبيتُ لا يُبتنى إلا بأعمدة ولا عماد إذا لم تُرسَ أوتادُ
فإن تجمَّعَ أوتادُ وأعمدة وساكنُ أدركوا الأمر الذي كادوا
تهدى الأمور بأهل الرأي ماصلحت فإن تولَّت فبالأشْرار تنقادُ

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على السلطان قبل كل شيء أن يبدأ بتقوى الله وإصلاح سريرته بينه وبين خالقه ، ثم يتفكر فيما قدره الله من أمر إخوانه ، ورفضه عليهم ؛ ليعلم أنه مسئول عنهم في دق الأمور وجلها ، ومحاسبٌ على قليلها وكثيرها ، ثم يتخذ وزيراً صالحاً عاقلاً غنياً نصحاً ، وعمالاً صالحين

بررة راشدين ، وأعوانا مستورين ، وخداما مملووين . ثم يقلد عماله مالاغنى له
عنهم ، ويشترط عليهم تقوى الله وطاعته ، وأخذ المال من حله ، ويفرقه في أهله ،
ثم يتفقد أمر بيت المال بأن لا يدخله حبةً فما فوقها من قهر أو جور ، أو سلب
أو نهب أو رشوة ؛ فإنه مسئول عن كل ذرة منه ، ومحاسب على كل حبة فيه ،
ثم لا يخرجها إلا في المواضع التي أمر الله جل وعلا في سورة الأنفال ^(١) .

ثم يتفقد أمور الحرمين وطريق الحاج ومجاورى بيت الله ، وقبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، ثم يتفقد ثغور المسلمين ، ولا يولى على الثغور من عماله إلا
من يعلم أن القتل في سبيل الله يكون آثر عنده من البقاء في الدنيا ليغزى الناس
ولا يعطل الثغر .

ثم يتفقد ثغور المسلمين ومراقبهم والأبرجة التي بين المسلمين وبين عدوهم ،
بأن يعمرها ويقم فيها أعيننا من المسلمين تتجسس أخبار العدو ، ويجرى عليهم من
بيت مالهم .

ثم يتفقد أولاد المهاجرين والأنصار بعتاياهم ، ويعرف فضيلتهم ، وسابقة
آبائهم ، وأنه إنما نال ما نال بهم .

ثم يتفقد أمور الحكام بأن لا يولى أحداً على قضاء المسلمين إلا من يعلم
منه العفاف والعلم ، وترك الميل إلى الهوى ، والحكم بغير ما يوجب العلم .

ثم يتفقد أهل العلم والقراء والمؤذنين والصالحين وضعفاء المسلمين ، وليكن
لمن هو أضعف سناً منه آباء ، ولمن هو أكبر منه ابناً ، ولا تراه ^(٢) أخاً ، فيكون
في تفقد الأمور ولصالح أسبابهم أكثر من تفقدهم بأنفسهم .

(١) في قوله تعالى (٨ : ٤١) واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن هو حسنة
والرسول وليها القرى والقري والمساكين وابن السبيل
هنا التي كثيرة .

(٢) لا يراه : جمع تراه - بالكسر - وهو المثل

ثم يختار من الرعية أقواماً أمناء ، يبعث بهم في كل سنة إلى المدن ؛ ليشرفوا على العمال والحكام ، ويتفقدوا أسبابهم وسيرهم ، ويخبروه بها ، فيعزل من استحق منهم العزل ، ويقر من اتبع الحق .

ثم يجعل لنفسه موضعاً لا يمنع منه لطرح القصص ، ويبرز للرعية في كل يوم مرة ، أو في كل ثلاثة أيام ، أو في كل أسبوع ، ليرفخوا إليه حوائجهم ، وليجتنب الحدة ، وليزيم الحلم الدائم فيما يرد عليه من أسبابهم

ولقد حدثنا عبد الله بن قحطبة ، حدثنا محمد بن زنبور ، حدثنا أبو بكر ابن عياش : أن أهل الجاهلية لم يكونوا يسودون عليهم أحداً لشجاعة ولا لسخاء إنما كانوا يسودون من إذا شتم حلم ، وإذا سئل حاجة قضاها ، أو قام معهم فيها .

وأنشدني الأبرش :

وقد يُبغِضُ الحياتِ أولادُ آدمٍ وأبغضُ ما فيها إليهم رهوسها
وما ابتليتُ يوماً بِبشرِ قبيلةٍ أضرَّ عليها من سفية يسوسها
قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يستحق أحد اسم الرياسة حتى يكون فيه ثلاثة أشياء : العقل ، والعلم ، والمنطق .

ثم يتعزى عن ستة أشياء : عن الحدة ، والعجلة ، والحسد ، والهوى ، والكذب ، وترك المشاورة .

ثم ليلزم في سياسته على دائم الأوقات ثلاثة أشياء : الرفق في الأمور ، والصبر على الأشياء ، وطول الصمت .

فمن تعزى عن هذه الأشياء - وهو ذو سلطان - عمى عليه قلبه ، وتشتت عليه أموره ، ومن لم يكن فيه خصلة من هذه الخصال نقص من ضوء بصر قلبه مثلها ، ودخل الخلل في أموره نحوها .

وإنما مثل الرئيس والرعية ، كمثل جماعة ليس فيهم إلا قائد واحد ؟ فإن لم يكن

ذلك القائد أحدَّ الناس بصراً ، وألطفهم نظراً ، كان خليقاً أن يوقعهم وإياه في
وهدة تَدَقُّ أعناقهم وعنقه معهم .

والواجب على السلطان أن لا يغفل عن الأشياء الأربعة التي صلاحه في دينه
ودنياه فيها ، وهي ما حدثنا به عمرو بن محمد ، حدثنا الفلابي حدثنا محمد بن
عبيد الله الجشمي حدثنا المدائني قال : « خرج الزهري يوماً من عند هشام بن
عبد الملك فقال : ما رأيت كاليوم ، ولا سمعت به كأربع كلمات تكلم بهنَّ رجل
أنفا عند هشام بن عبد الملك ، فقيل له : وما هنَّ ؟ قال : قال له رجل : يا أمير
المؤمنين ، احفظ عني أربع كلمات ، فيهن سلاحُ ملكك ، واستقامة رعيتك .
قال : هاتهن ، قال : لا تَعِدَنَّ عِدَّةً لا تثق من نفسك بإنجازها ، ولا يفرنك
المرتقى ، وإن كان سهلاً ، إذا كان المنحدرُ وعرًا ، واعلم أن للأعمال جزاءً ،
فاتق العواقب ، وأن للأمر بغتات ، فكن على حذر .

وأنشدني المنتصر بن بلال :

بلاء الناس مذ كانوا إلى أن تأتي الساعةُ
بجبِّ الأمر والنهي وحب السمع والطاعة
قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يجب للعاقل طلب الإمارة ؛ لأن من أوتيتها
عن مسألة وُكِّلُ إليها ، ومن أعطيها من غير مسألة أعين عليها ، ومن اشتهر
بالرياسة فليحترز ؛ لأن الريح الشديدة لا تحطم الكلاً ، وهي تحطم دَوح الشجر
ومُشيد البنيان .

وليُزِم المشورة ؛ فإن في المشورة صلاح الرعية ومادة الرأى ، وليصنع إلى
الناس كافة في الوقت الذى يقدر على الصنائع والمعروف قبل أن يجيئه الوقت الذى
يفقد فيه القدرة عليها ، وليعتبر بمن كان قبله من الملوك والأمراء والسادة والوزراء
لأن من ظفر بأمر جسم فأضاعه فاته ، ومن أمكنته الفرصة فأخر العمل فيها
لا تكاد تعود إليه .

والسلطنة إنما هي قول الحق والعمل بالعدل، لا التفاخر في الدنيا واستعمال البذل.
ولقد حدثنا محمد بن سعيد القرزاز، حدثنا خطاب بن عبد الرحمن الجندي،
حدثنا عبد الله بن سليمان قال: قال أبو عمرة بن العلاء: « كانوا لا يسوّدون إلا من
تكاملت فيه ست خصال وتماهن في الإسلام السابعة: السخاء، والنجدة،
والصبر، والحلم، والبيان، والتواضع، وتماهن في الإسلام: الحياء ». وأشدني الكريزي:

إذا نلت الإمارة فانمُ فيها إلى العلياء بالعمل الوثيق
محمض خليقة لا عيب فيها وليس المحض كاللبن المذيق^(١)
ولا تكُ عندها حلواً فتحسى ولا مرّاً فتنشَب في الخلوقة
وكلُّ إمارة إلا قليلاً مُغَيِّرة الصديق عن الصديق
قال أبو حاتم رضى الله عنه: من صحب السلطان فلا يجب أن يكتمه نصيحته؛
لأن من كتم السلطان نصيحته، والأطباء مرضه، والإخوان بشه^(٢)؛ فقد خان
نفسه، ومن يصحب السلطان لا ينجو من الآثام، كما أن راكب العجل لا يأمن
الثمار، ولا يجب أن يأمن غضب السلطان إن صدقه، ولا عقوبته إن كذبه،
ولا يجترىء عليه، وإن أدناه؛ لأن الحازم العاقل لا يشرب الشم اتكالا على
ما عنده من الترياق والأدوية.

وإني لأستحب لمن امتحن بصحبة السلطان أن يعلمه لزوم تقوى الله والعمل
الصالح، كأنه يتعلم منه، ويؤدبه كأنه يتأدب به، ويتقى سخطاته، والسخط إذا
كان من علة كان الرضا عنه موجودا، وإذا كان من غير علة ينقطع حينئذ الرجاء
ولا يجب أن يعلم كل ما تأتي الملوك من أمورها؛ لأن في معرفتهم إياها بعض الفتنة

(١) المحض: الخالص في جسسه لا يشوبه شيء من جنس آخر، واللبن المذيق:
المخلوط بالماء.

(٢) البث — بفتح الباء — الحزن.

وهيئات ! من ذا صحب السلطان فلم يفتتن ، ومن اتبع المهوى فلم يعطب ؟ إن الشجرة الحسنة ربما كان سبب هلاكها طيب ثمرتها ، وربما كان ذنب الطاووس الذي فيه جماله سبب حتفه ؛ لأنه يتقله حتى يمنعه من الهرب ، ومن صحب السلطان لم يأمن التغيير على نفسه ؛ لأن الأنهار إنما تكون عذبة ما لم تنصب إلى البحور ، فإذا وقعت في البحور ملحت ، على أن قعود العلماء عن أبواب الملوك زيادة في نور علمهم ، وكثرة غشيانهم إياهم غشاوة على قلوبهم ، ومن صحب الملوك لم يأمن تغييرهم ومن زایلهم لم يأمن تفقدهم ، وإن قطع الأمور دوسهم لم يأمن فيها مخالفتهم ، وإن عزم على شيء لم يجد بدءاً من مؤامرتهم ، وأسمح شيء بالملوك الخدعة .

ولقد حدثنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي ، حدثنا يحيى بن معين ، حدثنا المبارك بن سعيد الثوري قال : كان يقال : خمس خلال هن أقبح شيء من كن فيه : الخدعة في السلطان ، والكبر في ذي الحسب ، والبخل في الغنى ، والحرص في العالم ، والفتوة في الشيخ .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : رؤساء القوم أعظمهم هوماً ، وأدومهم غموماً ، وأشغلهم قلوباً ، وأشهرهم عيوباً ، وأكثرهم عدواً ، وأشدهم أحزاناً ، وأنكاهم أشجاناً ، وأكثرهم في القيامة حساباً ، وأشدهم - إن لم يعف الله عنهم - عذاباً . ومن أحسن ما يستعين به السلطان على أسبابه ، اتخاذ وزير عفيف ناصح على ما تقدم ذكرنا له ، فإن الوزير إذا غفل الأمير ذكره ، وإن ذكر أعانه ، وإن سؤلت له نفسه سيئة صده ، وإن أراد طاعة نشطه ، فهو الحبيب له إلى الناس ، والمستجلب له دعاءهم .

ولقد أشدني على بن محمد البسامي :

إذا نسي الأمير قضاء حق فإن الذنب فيه للوزير
لأن على الوزير ، إذا تولى أمور الناس ، تذكير الأمير
قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على كل من يعشي السلطان وامتنح

بصحبته أن لا يعد شتمه شتما ، ولا إغلاظه إغلاظا ، ولا التقصير في حقه ذنبا ؛ لأن ريح العزة بسطت لسانه ويده بالغلظة ، فإن أنزله الوالى منزلة رفيعة من نفسه فلا يثقن بها ، وليجانب معه كلام المَلَقِ والإكثار من الدعاء في كل وقت ، وكثرة الانبساط ، فربَّ كلمة أثارَت الوحشة ، بل يجتهد في توقيره وتعظيمه عند الناس ، فإن غضب فليَحْتَلْ في تسكين غضبه باللين والمدارة ، ولا يكون سبباً لتهييجه .

ولقد حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا ابن عائشة عن أبيه قال : بعث أبو جعفر إلى جعفر بن محمد قال : إني أستشيرك في أمر ، إني قد تأنيت أهل المدينة مرة بعد أخرى فلا أراهم يرجعون ، ولا يُعْتَبُونَ^(١) . وقد رأيت أن أبعث فأحرق نخلها ، وأُغَوَّرَ عيونها ، فما ترى ؟ فسكت جعفر . فقال : مالك لا تكلم ؟ قال : إن أذنت لى تكلمت . قال : قل ، قال : يا أمير المؤمنين ، إن سليمان أعطى فشكر ، وإن أيوب ابتلى فصبر ، وإن يوسف قدر فغفر . وقد جعلك الله من النسل الذى يعفون ويصفحون . قال : فطفى غضبه وسكن .

حدثني محمد بن أبي على الخلابي ، حدثنا محمد بن إبراهيم بن سعيد عن محمد ابن حميد بن فروة عن أبيه قال : لما استقرت للمأمون الخلافة ، دعا إبراهيم بن مهدى المعروف بابن شكلة ، فوقف بين يديه ، فقال : أنت المتوثب علينا تدعى الخلافة ؟ فقال إبراهيم : يا أمير المؤمنين ، أنت ولى النار ، مُحْكَمٌ فى القصاص ، والعفو أقرب للتقوى ، وقد جعلك الله فوق كل ذنب ، كما جعل كل ذنب ذنب دونك ، فإن أخذت أخذت بحق ، وإن عفوت عفوت بفضل ، ولقد حضرت أبى وهو جدك أتى برجل كان جرمه أعظم من جرمى ، فأمر الخليفة بقتله وعنده المبارك بن فضالة ، فقال المبارك بن فضالة : إن رأى أمير المؤمنين أن يستأنى فى أمر هذا الرجل حتى أحدثه بحديث سمعته من الحسن يحدث به عن رسول الله

(١) يعْتَبُونَ — بضم حرف المضارعة — يزيلون عتبي عليهم بترضيهم إياى .

صلى الله عليه وسلم؟ قال: إيه يا مبارك، قال: حدثني الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ منادٍ من بطنان العرش الأليقِمُ العاقونَ من الخلفاء، فلا يقوم إلا من عفا» فقال الخليفة له: يا مبارك، قد قبلت الحديث، وعفوت عنه، أخرج أيها الرجل، فلا سبيل لأحد عليك، فقال المأمون: يا عم، ههنا، يا عم ههنا.

قال أبو حاتم رضى الله عنه: الواجب على من ملك أمور المسلمين الرجوع إلى الله جل وعلا في كل لحظة وطرفة؛ لئلا يطغيه ما هو فيه من تسلطه، بل يذكر عظمة الله وقدرته وسلطانه، وأنه هو المنتقم من ظلم، والجازي لمن أحسن، فليزِم في إمرته السلوك الذي يؤديه إلى اكتساب الخير في الدارين، وليعتبر بمن كان قبله من أشكاله؛ فإنه لا محالة مستول عن شكر ما هو فيه، كما هو لا محالة مستول عن حسابه، إذ المصطفى صلى الله عليه وسلم قال: «يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة: ألم أحملك على الخير، ورزقتك النساء، وجعلتك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى، فيقول: فأين شكر ذلك؟».

وأنشدني ابن زنجي البغدادى:

يدبرُ أسبابَ الرجال مؤمَّر
إذا صلحت في الصدر أشفى وأبين
من العقل أن تحتاط فيما وليته
وتحسم ماتخشا، والأمر ممكن

ذكر الدنيا وتقلبها بأهلها

حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد السلام، حدثنا عبد الله بن هانيء بن عبد الرحمن بن أبي عبله، حدثنا أبي عن عمه إبراهيم بن أبي عبله عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أصبح معافي في بدنه، آمنأ في سربه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا»^(١) يا ابن

(١) كذا في الأصل، وليس لسراقة بن مالك بن جعشم ذكر في الحديث، ولعله حديثان، وفي الترغيب والترهيب: يروى عن ثوبان قال: قلت «يا رسول الله =

جُشْم ، يكفيك منها ما سد جَوْعَتَكَ ، ووارى عورتك ، فإن يكن ثوبا تلبسه
فذاك ، وإن كانت دابة تركبها فبئح فَلَقَ الخبز ، وماء الحب ، وما فوق الإزار
حساب عليك .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن لا يفتخر بالدنيا وزهرتها ،
وحسنها وبهجتها ، فيشتغل بها عن الآخرة الباقية ، والنعم الدائمة ، بل ينزلها حيث
أنزلها الله ؛ لأن عاقبتها لا محالة تصير إلى فناء ، يخرب عمرانها ، ويموت سكانها ،
وتذهب بهجتها ، وتبيد خضرتها ، فلا يبقى رئيس متكبر مؤمراً ، ولا فقير مسكين
محتقر ، إلا ويجرى عليهم كأسُ المنايا ، ثم يصيرون إلى التراب ، فييلون حتى
يرجعون إلى ما كانوا عليه في البداية إلى الفناء ، ثم يرث الأرض ومن عليها
علام الغيوب ، فالعاقل لا يركن إلى دار هذا نعتها ، ولا يطمئن إلى دنيا هذه صفتها ،
وقد ادخر له ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، فيضن
بترك هذا القليل ، ويرضى بقوت ذلك الكثير .

حدثنا محمد بن المسيب بن إسحاق ، حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي قال :

سمعت بشر بن الحارث يقول :

لا تأس في الدنيا على فائتٍ وعندك الإسلام والعافية
إن فات أمرٌ كنت تسعى له ففيهما من فائتٍ كافية
وأشدنى الكريزى ، أنشدنى شعيب بن أحمد لسليمان بن يزيد العدوى :
ألم تر أنّ المرء يُودى شبابه وأنّ المنايا للرجال تشعبُ
فمن ذائق كأساً من الموت مرّة وآخرَ أخرى مثلها يترقبُ
لها. منهمُ زادٌ حثيثٌ وسائق وكل بكأس الموت يوما سيشربُ
وما وارثٌ إلا سيورث ماله ولا سالبٌ إلا وشيكا سيُسلبُ

== ما يكتفى من الدنيا ؟ قال : ما سدجوعتك ، ووارى عورتك ، وإن كان لك بيت
يظلك فذاك ، وإن كانت لك دابة فبئح « رواه الطبراني في الأوسط .

ولا آلفٌ إلا سيتبع إلفه ولا نِمةٌ إلا تبيد وتذهب
وما من مَعانٍ والمصائب حجة يعاورها العصران إلا سيعطبُ
أرى الناسَ أصنافاً أقاموا بغربة تقلبهم أيامها وتقلبوا
بدارٍ غرور حلوة يعمرونها وقد عاينوا فيها زوالاً وجربوا
يذمون دنيا لا يريحون دَرَّها فلم أر كالدنيا تدم وتحلب
تسرم طورا ، وطورا تذيبهم مَضِيضَ مكاوٍ حرَّها يتلهب
حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا محمد بن عبيد الله قال : عاد

رجل مريضا فسمع قائلا يقول من ناحية البيت :

ناد ربَّ الدار ذا المال الذي جمع الدنيا بحرص : ما قَعَلُ ؟
فأجابه مجيب :

كان في دار سواها داره علاقته بالمتى ، ثم انتقل
لم يُمتع بالذي كان حوى من حُطام المال ، إذ حلَّ الأجل
إنما الدنيا كظللٍ زائل طلعت شمسٌ عليه فاضحل

قال أبو حاتم رضى الله عنه : رأيت على حجر بطبرستان مكتوب :

الميش لوان : فلو ومرة والدهر نصفان : فريف^(١) وضر
والنطق جرآن : فبعر ، ودَّر والناس اثنان : فنذل ، وخر
يومك يومان : فخير ، وشر نهار يزول ، وليل يُكرُّ
وكذاك الزمان على من مضى وكل السنين على ذا تمرَّ
وأشدنى الأبرش :

إنما الدنيا نهارٌ ضوءها ضوء معارٍ
بينما عُصْنُكَ غَضٌّ ناعمٌ فيه اخضرار

(١) الريف - بالكسر - أرض فيها زرع وخبث ، وسعة في المأكل والمشرب
والأبيات غير متسقة الوزن .

إذ رماه زمانه
وكذلك الليل يأتي
فإذا فيه اصفرار
ثم يحوه النهار
وأنشدني ابن زنجي البغدادي :

يا لائم الدهر إذا ما نيا
الدهرُ مأمور له أمر
لا تلم الدهر على غدّره
كم كافرٍ بالله أمواله
ينصرف الدهر إلى أمره
ومؤمن ليس له درهم
تزداد أضعافاً على كفره
يزداد إيماناً على فقره
لاخير فيمن لم يكن عاقلاً
يبسط رجله على قدره

وأنشدني الكريزي :

ما الدهر إلا ليلةٌ ويومٌ
يعيش قوم ، ويموت قوم
والعيش إلا يقظة ونومٌ
والدهر قاضٍ ، ما عليه لومٌ

أبنا عبد الله بن محمد بن سلم ، حدثنا أحمد بن أبي الحواري ، حدثنا إسحاق
الموصلی قال : قال أبو حازم : بضاعة الآخرة كاسدة ، فاستكثر منها في أوان
كساده ؛ فإنه لو جاء أوان نفاقها لم تصل منها لا إلى قليل ولا إلى كثير .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الدنيا بحر طفاح ، والناس في أمواجها يعومون ،
وفي أمثال تضر بها الأيام للأنام — وما أكثر أشباهها منها — لأن كل ما يصير
إلى فناء منها يشبهها ، فمن أوتي من الدنيا أشياء ثلاثة فقد أوتي الدنيا بحذافيرها :
الأمن ، والقوت ، والصحة ، لا يعتر بشيء منها إلا كل خداع ، ولا يركن إليها
إلا كل مناع .

فالعاقل يعلم أن ما لم يبق لغيره عليه غير باق ، وأن ما سلب عن غيره لا يترك
عليه ، فالقصد إلى ما يعود بالنفع في الآخرة للعاقل من الدنيا ، أخرى من السلوك
في قصد الصن بها ، والجمع لها من غير تقديم ما يقدم عليه في الآخرة من الأعمال
الصالحة ، وترك الاغترار بها ، والاعتبار بتقلبها بأهلها ، ولا شيء أعظم خطراً من

الحياة ، ولا غبن أعظم من إفنائها لغير حياة الأبد ، ومن اشتبهى أن يكون حراً
فليجتنب الشهوات ، وإن كانت لذينة ، وليعلم أن كل لذية ليس بنافع ، ولكن
كل نافع هو اللذية ، وكل الشهوات مملولة إلا الأرباح فإنها لا تمل ، وأعظم
الأرباح الجنة ، والاستغناء بالله عن الناس .

ولقد أنشدني علي بن محمد البسامي :

فأعظم بصبر للزمان ، فإنه على حالة المكروه ليس بدائم
تدورُ لنا أفلاكه بعجائب إذا ما انقضت كانت كأحلام نائم
سُرورٌ وهمٌّ واتعاشٌ ، وسقطه إلى أجل دانٍ لذلك هادم
وبالله دون الناس - فاستغن واستغن إذا أنزلت إحدى الأمور العظام

وأنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

والناس في هذه الدنيا على رتب هذا يحطُّ ، وذا يعلو فيرتفعُ
فأخلصِ الشكر فيما قد حُيبت به وآثرِ الصبر ، كلُّ سوف ينقطع

وأنشدني المنتصر بن بلال :

فيوم علينا ويوم لنا ويوماً نساءً ، ويوماً نُسِرُ
كذلك التقارُض بين الأنام فخير بخير ، وشرٌّ بشرُ

أبنا محمد بن عبد الله بن الجنيد ، حدثنا عبد الوارث بن عبد الله عن عبد الله
عن مسعر عن معن بن عون قال : كم من مستقبِل يوماً لا يستكمله ، ومنتظرٍ غداً
لا يُدرِكه ، لو نظرون إلى الأجن ومسيره ، لأبغضتم الأمل وغروره .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : السبب المؤدى للعاقل إلى إنزاله الدنيا منزلتها ،
ترك الركون إليها مع تقديم ما قدرَ منها للعيش الدائم ، والنعيم المقيم هو تركُ
طول الأمل ، و مراقبة ورود الموت عليه في كل لحظة وطرفة ؛ لأن طول الآمال
قطعت أعناق الرجال ، كالسراب أخلف من رجاء ، وخاب من رآه .

فالعاقل يلزم تركها ، مع الاعتبار الدائم بمن مضى من الأمم السالفة ، والقرون

الماضية ، كيف عَقَّتْ آثارهم ، واضمحلّت أنباؤهم ، فما بقي منهم إلا الذكر ، ولا من ديارهم إلا الرسم ، فسبحان من هو قادر على بعثهم وجمعهم للجزاء والعقاب .
ولقد أنشدنا عمرو بن محمد ، قال : أنشدنا الغلابي قال : أنشدني مهدي بن سابق :

كنا على ظهرها ، والعيش ذومهلٍ والدهر يجمعنا ، والدارُ والوطنُ
ففرق الدهر ذو التصريف ألفتنا فاليوم يجمعنا في بطنها الكفن
كذلك الدهر لا يبقى على أحد تأتي بأقداره الأيامُ والزمنُ
وأنشدني محمد بن عبد الله البغدادي :

حتى متى ييسق حليفَ الأسي مستشعراً للدهر أحزانا
فلا يرُدُّ الحزنُ شيئا ، ولا يُعْتَبُ هذا الدهر إنسانا
قد يُقبل الدهر بسرّائه طَوَّراً ، وقد يدبر أحيانا
فاصبر على ما جرَّ من حادث مازال غداً راء وخوانا
وأحسن الظنَّ بمن لم يزل عليك مفضالاً ومنانا
وأنشدني عمرو بن محمد قال : أنشدنا الغلابي لابن أبي عيينة المهلبى :

مراح يوم على حى ولا ابتكرا إلا رأى عبرة فيها إن اعتبرا
ولا أت ساعة في الدهر فانصرفت حتى توثر في قوم لها غيرا
إن الليالى والأيامَ أنفسها عن غياب أنفسها لم تكتب الخبرا

أنبأنا على بن سعيد العسكري ، حدثنا إبراهيم بن الجعيد ، حدثنا الحسن بن سعيد الجرجاني قال : سمعت أبا مريم الصلت بن كَثْم يقول : كانت امرأة من نبي إسرائيل متعبدةً ، وكانت تظفر كل سبت ، فبينما هي ذات يوم قد وضعت إفطارها بين يديها جعلت تقول : محب يحب حبيبه يتشاغل بالأكل عن خدمة محبه ، فيوشك أن يقدم عليه رسول حبيبه وهو متشاغل بأكله عن خدمته ، فلا تقرُّ عينه في لقائه ، فكنت كذلك مدة لا تظفر . قال : ثم وضعت إفطارها بين يديها ، وجعلت تقول مثل ما كانت تقول ، وإذا شاب من ناحية البيت جميل

الوجه طيب الريح ، فقال : سلام عليك ورحمة الله يا حبيبة الله ، أو يا ولية الله ،
قالت : وعليك السلام ، من أنت ؟ قال : أنا ملك الموت ، قالت : ياملك الموت ،
أتأذن لي أن أسجد سجدة أناجي فيها ربي ، فإذا رأيتني قد فعلت ذلك قبضت
روحي ؟ قال : لك ذلك ، قال : فنحّت إبطارها ، ثم وثبت فسجدت ، فقبض
روحها في اجتهادها رضى الله عنها .

ذكر الحث على لزوم ذكر الموت ، وتقديم الطاعات

حدثنا عبد الله بن محمد بن سليمان السعدى ، حدثنا يحيى بن أكرم ومحمود
ابن غيلان قالا : حدثنا الفضل بن موسى عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي
هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكثروا ذكر هادم اللذات :
الموت »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يضم إلى رعاية ما ذكرنا
من شعب العقل فى كتابنا هذا لزوم ذكر الموت على الأوقات كلها ، وترك
الاعتقار بالدنيا فى الأسباب كلها ، إذ الموت رحى دواردة بين الخلق ، وكأس يدار
بها عليهم ، لا بد لكل ذى روح أن يشربها ويذوق طعمها ، وهو هادم اللذات ،
ومنغص الشهوات ، ومكدر الأوقات ، ومزيل العاهات .

ولقد أنشدنى عبد العزيز بن سليمان :

أيا هادم اللذات ، مامنك مهرب
تحاظر نفسى منك ماسيبيها
رأيت للمنايا قسمت بين أنفس
ونفسى سيأتى بعدهن نصيبيها
وأنشدنى الكرىزى :

إن من عاش آمناً فى سرور
قاعد من سروره فى غرور
ما لمن يذكر المقابر واللو
ت إذا كان عاقلاً من سرور
حدثنا عمرو بن محمد الغلابى ، حدثنا مهدي بن سابق قال : قرئ على قصر

هذه الأبيات :

هذى منازل أقوام عهدتهم في ظل عيش عجيب ، ماله خطرُ
صاحت بهم حادثات الدهر ، فانقلبوا إلى القبور ، فلا عينٌ ، ولا أثرٌ
حدثنا محمد بن إبراهيم الخالدي ، حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثني إبراهيم
ابن عبد الملك ، حدثني علي بن سلمة الحلبي قال : سمعت أبي يقول : كان معاوية
يقول « أنا والله من زرع قد استخصد » ونعى له عبد الله بن عامر بن كريز ،
والوليد بن عقبة ، وكان أحدهما أكبر منه ، والآخرون ، فقال :
إذا سار من خلف امرئ وأمامه وأفرد من إخوانه فهو سائرٌ
حدثنا أحمد بن محمد بن مصعب الشافعي ، حدثنا عبد الله بن محمد قال : سمعت
عبيد الله بن مسلم بن زياد الهمداني قال : سمعت عمر بن ذر يقول :
ورثتني من الحى داراً عن آبائه وأجداده فهدمها ، ثم ابتناها وشيدها ،
فأتى في منامه فقيل له :

إن كنت تطمع في الحياة فقد ترى أرباب دارك ساكنوا الأموات
أي تحس من الأكارم ذكرهم ؟ خلت الديار وبادت الأصوات
قال : فأصبح الفتى مغتاضاً قد أمسك عن كثير مما كان يصنع ، وأقبل على
نفسه .

حدثنا عمر بن حفص البزاز ، حدثنا إسحاق بن الضيف ، حدثنا جعفر بن
عون قال سمعت مسعراً يقول :

ومشيد داراً ليسكن داره سكن القبور وداره لم يسكن
وأنشدني ابن زنجي البغدادي :

لو أني أعطيت سؤلى لما سألت إلا العفو والعافية
فكم فتى قد بات في نعمة فسئل منها الليلة الثانية ؟

حدثنا حمزة بن داود بن سليمان ، بالأبلة ، حدثنا ذهل بن أبي شراة القيسي ،
قال : حدثتني سكينه - وكانت علامة - قالت : قال لي أبو العتاهية : دخلت

على هارون أمير المؤمنين ، كلما بَصَّرَ بي قال : أبو العتاهية ؟ قلت : أبو العتاهية ،
قال : الذى يقول الشعر ؟ قلت : الذى يقول الشعر . قال : عظمى بأبيات شعر ،
وأوجز ، فأنشدته :

لاتأمن الموت فى طرف ولا نفسٍ ولو تمنعت بالحجَّاب والحرس
واعلم بأن سهام الموت قاصدة لكل مُدَّرِيعٍ منا ومترس
ترجوا النجاة ، ولم تسلك مسالكها؟ إن السفينة لاتجرى على اليبس
قال : فخر مغشياً عليه ، أو كما قال .

حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا أبو جعفر البغدادي قال : قرأت
على باب قصر بالسند :

نزل الموت منزلاً سلب القوم وارتحل
فقلت : ما هذا ؟ فقالوا : مات أهل القصر كلهم ، فأصبحوا وهذا الكتاب
على الباب لا يدري من كتبه ، وأنشدنى البسامي :

قد يصح المريض بعد إياس كان منه ويهلك العواد
يُصَادُ القطا فينجو سليماً بعد هُلك ، ويهلك الصياد
قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لا ينسى ذكر شيء هو مترقب له ، ومنتظر
وقوعه من قدم إلى قدم ، ومن لحظة إلى شزرة ، فكف من مكرّم فى أهله ، معظم
فى قومه ، مبجل فى جيرته ، لا يخاف الضيق فى المعيشة ، ولا الصنك فى المصيبة ،
إذ ورد عليه مدلل الملوك ، وقاهر الجبابرة ، وقاصم الطغاة ، فألقاه صريعاً بين الأحبة
وجيرانه ، مفارقاً لأهل بيته وإخوانه ، لا يملكون له نفعاً ، ولا يستطيعون عنه
دفعاً . فكف من أمة قد أبادها الموت ، وبلدة قد عطلها ، وذات بعل قد أرملها ،
وذى أب أيتسه ، وذى إخوة أقرده .

فالعاقل لا يغير بحالة نهايتها تؤدى إلى ماقلنا ، ولا يركن إلى عيش مغيبة
ما ذكرنا ولا ينسى حالة لا بحالة هر مؤاقعها ، وما لاشك يأتيه ، إذ الموت طالب
لا يمجزه المقيم ولا ينفلت منه الهارب .

ولقد حدثنا محمد بن إبراهيم الخالدي ، حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثني سلمة
ابن شبيب حدثنا سهل بن عاصم قال : سمعت الوضح بن حسان يقول : سمعت
ابن السماك يحدث قال : بينا صياد في الدهر الأول يصطاد السمك ، إذ رمى
بشبكة في البحر ، فخرج فيها جمجمة إنسان ، فجعل الصياد ينظر إليها ويبكي ،
ويقول : عزيز ، فلم تُترك لعزك ، غني ، فلم تُترك لغناك فقير ، فلم تُترك لفقرك ،
جواد ، فلم تُترك لجودك ، شديد ، فلم تُترك لشدتك ، عالم ، فلم تُترك لعلمك ؟ يردد
هذا الكلام ويبكي .

وأنشدني الكريزي :

أموالنا لذوى الميراث نجمها ودورنا لخراب الدهر نبتها
والنفس تكلف بالدينيا، وقد علمت أن السلامة فيها ترك نافيها
فلا الإقامة تنجى النفس من تلف ولا الفرار من الأحداث ينجيها
وكل نفس لها زورٌ يصبِّحها من المنية يوما أو يمسيها

حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، قال سمعت ابن واقد المدني قال :
حدثنا عبد المنعم الرياحي قال : فُقد مالكُ بن دينار يوما ، فقالوا : أين كنت
يا أبا يحيى ؟ قال : خرجت إلى الأبله ، قالوا : ما أحسنُ ما رأيت ؟ قال : ما رأيتُ
شيئاً أعجبتُ به إلا أني رأيت امرأة تصلي ، فقالوا له : يا أبا يحيى ، فما أعجبُ شيء
رأيت ؟ قال : رأيت بالبحرين قصرأ مشيداً ، وإذا على بابه مكتوب :

طلبتُ العيش أسعدَ ناعميه وعشتُ من المعاش والنعيم
فلم ألبثُ وربَّ الناس طوراً سلبت من الأقارب والحميم
وأنشدني الأبرش :

والنفس وإن كانت على وجل من المنية آمال تقويها
والمرء يبسطها ، والدهر يقبضها والنفس تنشرها ، والموت يطويها
أبنا حمزة بن داود بن سليمان بالأبله ، حدثنا الهادي ، حدثنا جليس الكلبي

عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال : لقيني عمران بن حطان فقال لي :
يا أعمى ، إنني عالم بخلافك ، ولكنك رجل تحفظ ؟ فاحفظ عني هذه الأبيات :

حتى متى تسقى النفوس بكأسها ريب المنون وأنت لاهٍ ترتعُ ؟
أفقد رضيت بأن تعلقَ بالمني وإلى المنية كلَّ يومٍ تدفعُ ؟
أحلام نوم ، أو كظل زائل إنَّ الليبَ بمثلها لا يندع
فتزودنَّ ليومٍ فقرك دائباً واجمع لنفسك لا لغيرك تجمع

حدثنا محمد بن نصر بن نوفل المروزي ، قال : سمعت أبا داود السنجي
يقول : خرج أبو معاذ النحوي يوماً مع أصحابه فقال : إنه قد نُعيت إلى نفسي
البارحة ، أتاني آت فقال :

يا أيها الإنسان ، إنك ميتٌ عما قليل فمُ لنفسك واقعدِ
فكانَ ما قد كان لم يكِ إذ مضى وكانَ ما هو كائن فكانَ قدِ

حدثنا الحسن بن سفيان ، حدثنا حرمة بن يحيى قال : سمعت الشافعي
كثيراً ما ينشد :

تمنيَ رجال أن أموتَ ، وإن أمتُ فتلك سبيلٌ لستُ فيها بأوحدِ
فقل للذي يبقى خلافَ الذي مضى تهباً لأخرى مثلها فكانَ قدِ
حدثنا أحمد بن محمد الشافعي ، حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثني إسماعيل

ابن عبد الله العجلي قال : أنشدنا رجل ونحن في المقابر :

ألا يا عسكرَ الأحياء ، هذا عسكر الموتى
أجابوا الدعوة الصغرى وهم منتظروا الكبرى
يحثون على الزاد وما زاد سوى التقوى
يقولون لكم : جدوا فهذا آخر الدنيا

قال أبو حاتم رضي الله عنه : إن الله جل وعلا خلق آدم وذريته من الأرض ،
فأمشاهم على ظهرها ، فأكلوا من ثمارها ، وشربوا من أنهارها ، ثم لا محالة تنزل

المنية بهم ، وتغنيهم عن السعى والحركات ، مع تعطل الجثث والآلات ، ثم تعيدهم إلى الأرض التي منها خلقهم ، حتى تأكل لحومهم ، كما أكلوا أعمارها ، وتشرب دماءهم كما شربوا من أنهارها ، وتقطع أوصالهم كما مشوا على ظهرها ، فالقبر أول منزل من منازل الآخرة ، وآخر منزل من منازل الدنيا ، فطوبى لمن مهد في دنياه لقبره ، وقدم منها لآخرته ، فكم عقرت الأرض من عزيز وأفقدت الغير من أنيس حدثني محمد بن إبراهيم الخالدي ، حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثني محمد بن

عباس ، حدثنا إبراهيم بن يزيد قال : رأيت أعرابياً وقف على مقبرة وهو يقول :

لِكُلِّ أَناسٍ مَقْبَرٌ بِنفائِهِمْ فهم ينقصون ، وَالقُبُورُ تَزِيدُ

وَمَا إِن تَرَى دَاراً لَحِيٍّ قَدَ أَقْفَرَتْ وقبراً لميتٍ بالفناء جَدِيدُ .

فهم جيرة الأحياء ، أما محلهم فدان ، وأما المتقى فبعيد

وَأَنشدني أحمد بن عبد الله الكرجي لعمر بن شبة في نفسه :

يا ابن سَبعين وعشْرِ وثمانِ كَاملاتِ

غرضاً للموت مشغو لا بُحْدُ مِنِّي وهاتِ

ويك لا تعلم ما تلقي به بعد الماتِ

من صفار موبقات وكبار مهلكاتِ

يا ابن من قد مات من آباءه والأمهاتِ

هل ترى من خالد من ذى طغاة وعُتاة؟

إن من يتتاع بالدين خسيسات الحياةِ

لغبي الرأي مخفوف بطول الحسراتِ

حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا شعيب بن واقد المري عن

عبد النعم الرياحي قال : سمعت صالح المري يقول : دخلت المقابر يوماً في شدة الحر

فنفذت إلى القبور حامدة ، كأنهم قوم صموت ، فقلت . يا سبحان الله ! من يجمع

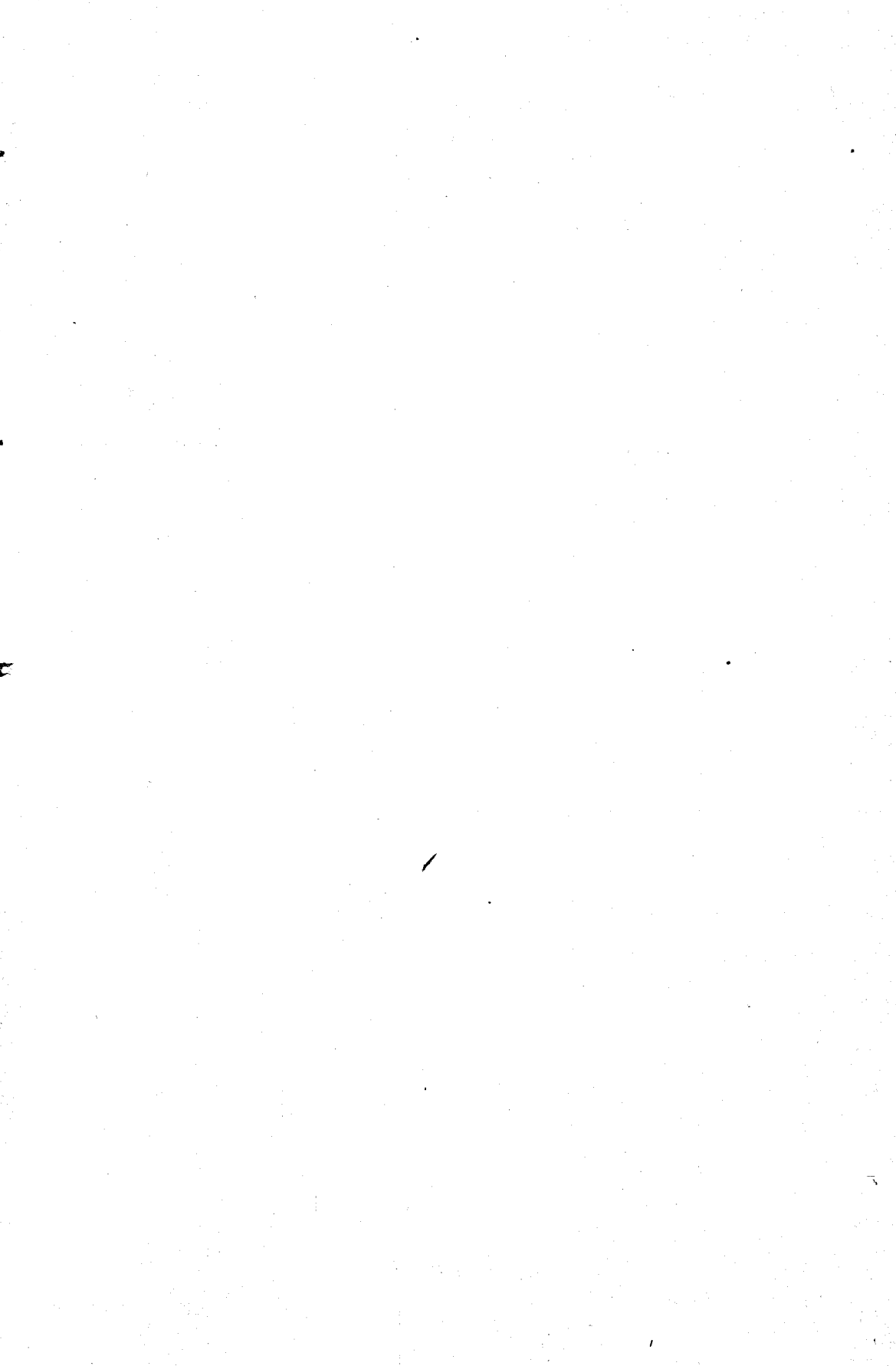
بين أرواحكم وأجسامكم بعد افتراقها ، ثم يحبسكم وينشئكم من طول البلى؟ قال :

فنادوا مناد من بين تلك الحفر : يا صالح (٣٠ : ٢٥) ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ، ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون) قال : فسقطت والله مغشياً على .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد ذكرنا السير من الكثير من الآثار ، والقليل من الجسم من الأخبار ، فى كتابنا هذا بما نرجوا أن القاصد إلى سلوك سبيل ذوى الحجب ، والسالك مقصد سبيل أولى النهى ، يكون له فيها غنية إن تدبرها واستعملها ، وإن كنا تنكبنا طرق المسانيد ، وتخرج الحكايات ، وأناشيد الأشعار ، إلا ما لم نجد بدا من إخراجها ، كالإيماء إلى الشيء ، والإشارة إلى القصد ، جعلنا الله ممن دعت تباثير التوفيق إلى القيام بحقائق التحقيق ؟ إنه منتهى الغاية عند رجاء المؤمنين ، والمأن على أوليائه بمنازل المقربين .
ووصلى الله على محمد خاتم النبيين ، وعلى آله الطاهرين الطيبين ، والحمد لله رب العالمين .

وجد فى النسخة الأصلية ماصورته :

فرغ من نسخه بعون الله ورحمته العبد الفقير إلى عفو ربه أحمد بن محمد ابن سالم بن جناب المنبجى ، بالرها المحروسة ، يوم الثلاثاء حادى عشر المحرم سنة ثمان وعشرين وستائة . ختم الله له بخير ولوالديه ولجميع المسلمين ! .



فهرس

روضه العقلاء ونزله الفضلاء

٧٤	ذكر استحباب إفشاء السلام وإظهار البشر والتبسم	٣	ترجمة الإمام ابن حبان
٧٧	ذكر ما يبيح من المزاح للمرء وما كره له منه	١٣	مسند الكتاب
٨١	ذكر استحباب الاعتزال من الناس عاماً	١٤	مقدمة »
٨٥	ذكر استحباب المؤاخاة للمرء مع الخاص	١٦	ذكر الحث على لزوم العقل وصفه العاقل اللبيب
٩٤	ذكر كراهية المعادة للناس	٢٦	ذكر إصلاح السرائر بلزوم تقوى الله تعالى
٩٩	« الحث على صحبة الأحيار والزجر عن عشرة الأشرار	٣٣	ذكر الحث على لزوم العلم والمداومة على طلبه
١٠٣	ذكر كراهية التلون في الوداد بين المؤاخين	٤١	ذكر الحث على لزوم الصمت وحفظ اللسان
١٠٧	ذكر ائتلاف الناس واختلافهم	٥١	ذكر الحث على لزوم الصدق ومجانبة الكذب
١١٤	« الحث على زيارة الإخوان وإكرامهم	٥٦	ذكر الحث على لزوم الحياء وترك القحة
١١٨	ذكر صفة الأحمق والجاهل	٥٩	ذكر الحث على لزوم التواضع ومجانبة الكبر
١٢٥	« الزجر عن التجسس وسوء الظن	٦٣	ذكر استحباب التعجب إلى الناس من غير مقارفة المأثم
١٢٩	ذكر الحث على مجانبة الحرص للعاقل	٧٠	ذكر استعمال لزوم المدارة وترك المداهنة مع الناس

- ٢١٥ ذكر الحث على لزوم الرفق في
أمور و كراهية العجلة فيها
- ٢١٩ ذكر الحث على تعلم الادب
ولزوم الفصاحة
- ٢٢٣ ذكر اباحة جمع المال للقائم بحقوقه
- ٢٢٩ « الحث على إقامة المروءات
- ٢٣٥ باب الحث على لزوم السخاء
ومجانبة البخل
- ٢٤٢ ذكر الزجر عن ترك قبول
الهدايا من الإخوان
- ٢٤٦ ذكر استجاب التفريج عن
الناس بقضاء الحوائج
- ٢٥٢ ذكر الحث على إعطاء السؤال
وطلب المعالي
- ٢٥٨ ذكر الحث على الضيافة
وإطعام الطعام
- ٢٦٣ ذكر الحث على المجازاة على
الصنائع
- ٢٦٨ ذكر الحث على سياسة الرياسة
ورعاية الرعية
- ٢٧٧ ذكر الدنيا وتقلبها بأهلها
- ٢٨٣ « الحث على لزوم ذكر
الموت وتقديم الطاعات
(تم الفهرست)

- ١٣٩ ذكر الزجر عن التحاسد
والبنضاء
- ١٣٨ ذكر الحث على مجانبه الغضب
و كراهية العجلة .
- ١٤١ ذكر الزجر عن الطمع إلى الناس
- ١٤٤ « الحث على مجانبه المسألة
و كراهيتها
- ١٤٨ ذكر الحث على لزوم القناعة
- ١٥٣ « الحث على لزوم التوكل على
من ضمن الأرزاق
- ١٥٧ ذكر الحث على لزوم الرضا
بالشدائد والصبر عليها
- ١٦٦ ذكر الحث على العفو عن الجاني
- ١٧١ « صفة الكريم والثلثم
- ١٧٦ « الزجر عن قبول الوشاة
- ١٨٧ « استجاب قبول الاعتذار
من المعتذر
- ١٨٣ ذكر الحث على لزوم كتمان السر
- ١٩٤ « الحث على لزوم النصيحة
للمسلمين كافة
- ١٩٨ وصية الخطاب بن المعلى الخزومي
ابنه
- ٢٠٤ ذكر الزجر عن تهاجر المسلمين كافة
- ٢٠٨ « الحث على لزوم الحلم عند
الأذى